بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات الإسلامية – برنامج ما جستير التربية في الإسلام

الجوانب التربوية من سيرة أمهات المؤمنين
– رضي الله تعالى عنهن–

إعداد الطالبة: كلثم عمر عبيد الماجد

إشراف
الأستاذ الدكتور محمد علي العمري (مشرفا شرعيـــا)
الأستاذ الدكتور محمد ذيبان الغزاوي (مشرفا تربويا)

١٤٢٢ هجرية – ٢٠٠١ ميلادية

الجوانب التربوية من سيرة أمهات المؤمنين
- رضي الله عنهن-

كلثم عمر عبيد الماجد
بكالوريوس كلية الآداب/ قسم الدراسات الإسلامية
جامعة الإمارات العربية المتحدة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في
جامعة اليرموك - تخصص التربية في الإسلام

لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور محمد علي العمري.....رئيسا ومشرفا
الأستاذ الدكتور محمد ذيبان غزاوي.....عضوا ومشرفا
الأستاذ الدكتور مروان القيسي.....عضو لجنة المناقشة
الأستاذ الدكتور عبد المجيد محمود.....عضوا ومناقشا
الدكتور محمد مقدادي.....عضوا ومناقشا

بسم الله الرحمن الرحيم

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم

صدق الله العظيم
سورة الأحزاب آية: ٦

الإهـــــــــــــداء

إلى سيدي وسيد البشرية وإلى أزواجه الطاهرات الفاضلات. . .
إلى والدي الكريمين اللذين غرسا في نفسي بذور الصبر والثبات
إلى إخوتي وأخواتي الكرام. . .

إلى كل من قدم يد العون لي في إنجاز هذه الرسالة وإخراجها على هذا الوجه، أو أكرمني بالدعاء في ظهر الغيب . . .

أقدم هذا الجهد

كلثم

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير الكبير للوالد الشيخ عمر الماجد الذي بذل في سبيل التحاقي بالدراسات العليا جهدا كبيرا طيبا، كما أتقدم بالشكر والإمتنان إلى الأستاذين الفاضلين الأستاذ الدكتور محمد علي العمري، والأستاذ الدكتور محمد ذيبان غزاوي، اللذين تكرما بالإشراف على هذه الرسالة، وبذلا من جهدهما ووقتهما.

وأتقدم كذلك بالشكر والعرفان للأساتذة الأفاضل الذين تكرموا بمناقشة الرسالة، الأستاذ الدكتور عبد المجيد محمود، والأستاذ الدكتور مروان القيسي، والدكتور محمد المقدادي.

كما أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى فضيلة الشيخ شحادة العمري، والأخت الكريمة أمامة شحادة العمري، لما قدّماه من عون كبير.

وأتقدم كذلك بخالص الشكر والامتنان إلى وزارة التربية والتعليم بدبي وأخص منهم سعادة الوزير الدكتور علي عبد العزيز الشرهان، وسعادة وكيل الوزارة الدكتور جمال المهيري الفاضلين. كما أشكر جميع القائمين على وزارة التعليم العالي بأبوظبي، وأتقدم كذلك بالشكر والتقدير لسعادة سفير دولة الإمارات العربية المتحدة بعمان، والأستاذ الفاضل زهدي الخطيب المستشار الثقافي للملحقية الثقافية لسفارة الإمارت.

ولا يفوتني أن أشكر جميع الأساتذة في كلية الشريعة، وموظفيها، وأخص منهم الأخوة القائمين على مكتبة الكلية. وكذلك موظفي مكتبة عبد الحميد شومان في عمان لما قدموه من تسهيلات وخدمات، ومكتبة جمعة الماجد للتراث.

وأخيرا أتقدم بالشكر الجزيل لكل من مدّ يد العون، وأسهم في إخراج الرسالة على هذا الوجه. ولكل من تكرم بسؤال المولى – عز وجل– لي بالتوفيق والسداد.

كلثم

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى إبراز التطبيق التربوي والتعليمي الناتج عن المهمة الدعوية لأمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن– ، ولتحقيق هذا الهدف أجابت الباحثة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

١) من هن أمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن–، وما هي القيمة الفعلية لهذا اللقب، وما الميزة التي أهلتهن للحظوة به، وما علاقة التربية بالرباط الزوجي النبوي؟

٢) ما العوامل التي أثرت في توعية أمهات المؤمنين، وتربيتهن على العلم والفضيلة، وأهلتهن لمرتبة أفضل المعلمات والمربيات؟

٣) ما الجوانب التربوية التي تكفلت أمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن– بغرسها في نفوس المسلمين، وما الوسائل التربوية التي اتبعنها لتحقيق ذلك؟

واتبعت الباحثة في سبيل تحقيق ذلك؛ منهج الاستقراء التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي؛ إذ قامت بتتبع سير أمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن– من مظان وجودها في كتب السير والتراجم، وكتب الحديث، وما ارتبط بها من كتب شروح الحديث الشريف، وغيرها من الكتب، وحددت من خلالها أهم النقاط التي ينبغي دراستها، وتفصيلها؛ فعملت على تنسيقها وترتيبها وفق وحدات منظمة، ومتدرجة بتدرج الحاجة إلى إبراز العمل التعليمي والتربوي لدى أمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن–.

وقد تمت الإجابة عن الأسئلة من خلال فصول ثلاثة: تضمن الأول منها التعريف بمصطلح أمهات المؤمنين، ونسبهن، وذكر فضائلهن، ومناقبهن، ثم إيضاح العلاقة المتينة، والرابطة الوطيدة بين الزواج النبوي والتربية.

وتضمن الفصل الثاني إيضاح التربية القرآنية والنبوية التي أحاطت بأمهات المؤمنين توجيها، وإرشادا، وتوعية، وصقلت شخصياتهن، ووهبتهن مكانة تربوية قيادية.

وتضمن الفصل الثالث عرض وإيضاح بعض الجوانب التربوية، التي تم استخلاصها، والتوصل إلى حقيقتها عن طريق إيراد بعض مآثر ومرويات أمهات المؤمنين، وتصنيفها، ثم تحليلها تحليلا تربويا، يكشف عن حقيقة العمل التربوي الذي يعد منهجا من مناهج التربية الإسلامية.

وقد خلصت الباحثة من خلال الدراسة إلى النتائج التالية:

- أهمية مصطلح أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، وضرورة الاعتناء بشأنه، وبشأن من لُقّبن به؛ حيث اتضحت تلك الأهمية من خلال القداسة الشرعية لهذا المصطلح، ومن خلال ما اتسمت به أمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن- من فضائل أهلتهن للحظوة بهذا اللقب.

- تعددُ البيئات التي نشأت فيها أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، وما لهذا التعدد من أثر فاعل في تقريب القبائل، وكسب تأييدها.

- بروز الأثر الفعلي لتعدد زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم- من خلال تحقق الحكم المختلفة، وما نتج عنه من فاعلية في نشر دعوة الإسلام، وما تم إحكامه من تشريعات مختلفة.

- وضوح القيمة الفعلية لمصطلح أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، لما نتج عنه من أثر فاعل في التربية والتعليم؛ برز في وعي أمهات المؤمنين لحقيقة منزلتهن، وأهمية المهمة الملقاة على عاتقهن، كما كان له أثر إيجابي برز في توقيرهن من قبل الصحابة والتابعين، وفي حسن الأخذ عنهن.

وفي ضوء هذه الدراسة؛ توصي الباحثة جميع المربين للإفادة من مصطلح أمهات المؤمنين في تحري مفهومه، وقيمته، وآثاره؛ في إيضاح حقيقة المهمة الدعوية الخاصة بهن – رضوان الله تعالى عنهن-، وما يترتب على ذلك من غرس محبتهن في النفوس، وما تدعو له تلك المحبة من إقبال على الاقتداء بهن، والتمثل بأخلاقهن.

كما ترى ضرورة الإفادة من الأساليب التربوية القرآنية والنبوية في التربية والتعليم؛ الموجهة لنساء النبي خاصة؛ للسير على نهجها في تربية النساء، والموجهة للأمة الإسلامية عامة للسير على نهجها في تربية المسلمين.

فهرس الموضوعات

الموضوع رقم الصفحة

الفصل التمهيدي: التعريف بالدراسة.....(١٤-٢١)

المقدمة.....١٥

مشكلة الدراسة وأسئلتها.....١٦

أهمية الدراسة.....١٧

أهداف الدراسة.....١٨

منهج الدرسة.....١٨

الدراسات السابقة.....١٩

خطة الدراسة.....٢٠

الفصل الأول: أمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن-.....(٢٢-٧١)

المبحث الأول: التعريف بأمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن-.....(٢٢-٢٨)

-أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.....٢٥

-أم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها.....٢٥

-أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما.....٢٥

-أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.....٢٦

-أم المؤمنين السيدة أم سلمة بنت أمية رضي الله عنها.....٢٦

-أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها.....٢٧

-أم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنهما.....٢٧

-أم المؤمنين السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما.....٢٧

-أم المؤمنين السيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها.....٢٧

-أم المؤمنين السيدة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها.....٢٨

المبحث الثاني: فضائل أمهات المؤمنين –رضي الله تعالى عنهن-.....(٢٩-٤٦)

-فضائل أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.....٣٣

-فضائل أم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها.....٣٦

-فضائل أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما.....٣٧

-فضائل أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنهما.....٤٠

الموضوع رقم الصفحة

-فضائل أم المؤمنين السيدة أم سلمة بنت أمية رضي الله عنها.....٤٠
-فضائل أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها.....٤١
-فضائل أم المؤمنين السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما....٤٣
-فضائل أم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنهما.....٤٤
-فضائل أم المؤمنين السيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها...٤٤
-فضائل أم المؤمنين السيدة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها.....٤٥
المبحث الثالث: الزواج النبوي وعلاقته بالتربية.....(٤٧-٧١)
المطلب الأول: اختيار الزوجة على أساس الدين والشرف.....٥٠
المطلب الثاني: الحكمة من تعدد زوجات الرسول -صلى الله عليه وسلم-٥٦
-الحكمة التشريعية.....٦٠
-الحكمة التعليمية.....٦٣
-الحكمة الاجتماعية.....٦٦
-الحكمة الدعوية.....٦٨
الفصل الثاني: التربية في البيت النبوي.....(٧٢-١٢٤)
المبحث الأول: القرآن الكريم وأهميته في توجيه أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن.....(٧٢-٩١)
-أولا: القرار القرآني بالأمومة.....٧٣
-ثانيا: الدعوة إلى السمو والرفعة.....٧٤
-ثالثا: الدعوة إلى كمال الخلق.....٧٥
-رابعا: الأفضلية لهن على سائر نساء الأمة وموجبات ذلك.....٧٦
-خامسا: المهمة التربوية.....٧٩
-سادسا: تسيير النفس لا تخييرها فيما يقضيه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.....٨٠
-سابعا: العون على الرضا بقضاء الله تعالى، والعرفان بجميل رسول الله صلى الله عليه وسلم.....٨٢
-ثامنا: الحجاب وسيلة الطهر والعفاف.....٨٣
-تاسعا: التوبة والإصلاح.....٨٤
-عاشرا: الابتلاء وما فيه من الخير.....٨٦
-حادي عشر: العناية الربانية بآل بيت النبوة خاصة والمؤمنين عامة.....٨٧

الموضوع رقم الصفحة

المبحث الثاني: الحديث الشريف وأهميته في توجيه أمهات المؤمنين
– رضي الله تعالى عنهن–.....(٩٢–١١٠)
المطلب الأول: التوجيه إلى القول الحسن.....٩٤
المطلب الثاني: التوجيهات السلوكية.....٩٨
-أولا: توجيه سلوكي في ضبط النفس.....٩٨
-ثانيا: توجيه سلوكي في تطييب الخواطر.....٩٨
-ثالثا: توجيه سلوكي في ضرورة تعليم العدل.....٩٩
-رابعا: توجيه سلوكي في تلبية حاجة الطفولة.....١٠٠
-خامسا: توجيه سلوكي في الارتقاء بالعلاقة الزوجية.....١٠١
-سادسا: توجيهات سلوكية في الأخلاق الفاضلة.....١٠٣
-احترام الآخرين.....١٠٣
-التواضع.....١٠٣
-البر والكرم والتبسم.....١٠٤
-الشكر على النعمة.....١٠٤
-القناعة باليسير.....١٠٥
-الصدق.....١٠٥
-الرعاية والعناية.....١٠٥
-الوفاء.....١٠٦
المطلب الثالث: التوجيهات الفقهية والتفسيرية.....١٠٧
-أولا: توجيهات تتعلق بإيضاح مفهوم بعض الآيات القرآنية....١٠٧
-ثانيا: توجيهات تتعلق بالأعمال التعبدية.....١٠٧
-ثالثا: توجيهات تتعلق بالطاعات.....١٠٩
-رابعا: توجيهات فقهية تحث على التقوى.....١٠٩
-خامسا: توجيهات تتعلق بأمور غيبية.....١١٠
المبحث الثالث: بعض مظاهر التربية في بيت النبوة.....(١١١–١٢٤)
المطلب الأول: التربية الروحية.....١١٣
-أولا: التربية بمجاهدة النفس وقيام الليل.....١١٣
-ثانيا: التربية على الزهد والرضا باليسير.....١١٥

الموضوع رقم الصفحة

-ثالثا: التربية على التوقي بالآيات القرآنية الكريمة.....١١٧
-رابعا: التربية على المبالغة في الصدقة.....١١٧
-خامسا: التربية بتعليم الدعاء.....١١٨
المطلب الثاني: التربية الاجتماعية.....١١٩
-التربية على تنمية العلاقات الاجتماعية الطيبة.....١١٩
-التربية على حماية العلاقات الاجتماعية من الأسباب المؤدية
إلى الوهن.....١٢٠
المطلب الثالث: التربية الجسمية.....١٢٢
-أولا: التربية على ممارسة الرياضة والحركة الجسمية.....١٢٢
-ثانيا: التربية على العناية بالمظهر والطيب.....١٢٣
-ثالثا: التربية على العناية بالنظافة.....١٢٣
الفصل الثالث: الجوانب التربوية المستمدة من واقع التربية عند أمهات المؤمنين -رضي الله تعالى عنهن-.....(١٢٥-٢٣٩)
المبحث الأول: الجانب التربوي الإيماني والتعبدي.....(١٢٧-١٦٤)
المطلب الأول: الجوانب التربوية الإيمانية.....١٢٨
-الحض على ذكر الله تعالى وشكره.....١٢٨
-الحض على امتثال أمر الخالق – سبحانه-.....١٣١
-الحض على الصبر.....١٣٣
المطلب الثاني: الجوانب التربوية التعبدية.....١٣٥
-أولا: الحض على أداء السنن.....١٣٥
-الحث على الدوام على العبادة ولو كانت قليلة.....١٣٥
-الحث على أداء النوافل وقيام الليل.....١٣٦
-الحث على الصيام.....١٤١
-ثانيا: حض النساء على التفقه في الدين وضبط خلق الحياء....١٣٤
-ثالثا: الحض على إتقان تلاوة القرآن الكريم والتفاعل معه
والخشوع أثناء تلاوته.....١٤٤
-رابعا: الحض على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم
والصلاة عليه ١٤٩

الموضوع رقم الصفحة

-خامسا: إيضاح مسائل متعلقة بالطهارة.....١٥٣
-سادسا: الحض على الجهاد.....١٥٦
-سابعا: الحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....١٥٧
-ثامنا: العناية بستر المرأة.....١٥٩
-تاسعا: الحض على الصدقة.....١٦١
-عاشرا: الحض على تحسين الدعاء.....١٦٢
-حادي عشر: الاعتبار بالمواقف المختلفة.....١٦٣
المبحث الثاني: الجانب التربوي الأخلاقي والسلوكي.....(١٦٥-١٩٤)
المطلب الأول: التوجيهات الأخلاقية.....١٦٧
المطلب الثاني: التوجيهات السلوكية.....١٧١
-التوجيه إلى أهمية التيمن.....١٧١
-التوعية إلى ضرورة الشورى.....١٧١
-الإرشاد إلى أحب الشراب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم١٧٢
-الإرشاد إلى عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالطعام.....١٧٢
-العمل على إخضاع النفس وقيادتها لتحقيق اتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم.....١٧٣
المطلب الثالث: توجيهات أخلاقية وسلوكية تتعلق بالعلاقة الزوجية.....١٧٥
المطلب الرابع: توجيهات أخلاقية وسلوكية تتعلق بالعلاقات الاجتماعية ١٨٣
المطلب الخامس: توجيهات سلوكية تحض على الاعتناء بالهيئة.....١٨٨
المطلب السادس: حث المرأة على الخضاب بالحناء.....١٩٠
المطلب السابع: حث المرأة على تحمل التعدد، والإحسان إلى الضرة...١٩٢
المبحث الثالث: الجانب التربوي العلمي.....(١٩٥-٢١٣)
المطلب الأول: المكانة العلمية لأمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن ١٩٧
المطلب الثاني: مواقف ترشد إلى الوعي وحسن السلوك الذي تمتعت به
أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.....٢٠٠
المطلب الثالث: مرويات ومآثر علمية قيمة تتجلى فيها توجيهات تربوية
مختلفة.....٢٠٦
-أولا فيما يتعلق بنقل أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم.....٢٠٦

الموضوع رقم الصفحة

-ثانيا: فيما يتعلق بنقل السلوكات التعليمية.....٢٠٧
-ثالثا: فيما يتعلق بالاستفسارات المختلفة.....٢٠٨
-رابعا: فيما يتعلق بالتوجيهات والتوعية العلمية.....٢١٠
المبحث الرابع: الجانب التربوي الوقائي.....(٢١٤-٢٢٦)
المطلب الأول: تمثل التقوى في خلق أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ٢١٧
المطلب الثاني: تحري التقوى في خلق المسلمين وحثهم عليه.....٢٢٣
المبحث الخامس: الجانب التربوي الجسماني.....(٢٢٧-٢٣٩)
أولا: الحث على النظافة.....٢٢٩
ثانيا: التذكير بمساوئ الإكثار من تناول الطعام.....٢٣٠
ثالثا: بيان إيجابية الرياضة والحركة.....٢٣٢
رابعا: التوجيه إلى الطريقة المثلى في شرب الماء.....٢٣٤
خامسا: الثناء على بعض الأطعمة ذات الفائدة الغذائية والصحية.....٢٣٥
سادسا: الحث على اللجوء إلى الله تعالى، وسؤاله العفو والعافية.....٢٣٨
الخاتمة والفهارس العامة.....(٢٤٠-٢٦٣)
الخاتمة.....٢٤١
النتائج.....٢٤١
التوصيات.....٢٤٣
فهرس الآيات القرآنية.....٢٤٤
فهرس الأحاديث النبوية.....٢٤٧
فهرس المصادر والمراجع.....٢٥٥
الملخص باللغة الانجليزية.....٢٦٢

الفـــصل التـــمهيـــدي

المقدمـــــــــة

مشكلة الدراسة وأسئلتها

أهمية الدراســـــة

أهداف الدراســـــة

منهج الدراســـــة

الدراسات السابقة

خطة الدراســـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين رسول الرحمة وقائد الغر المحجلين، وعلى أصحابه وأنصاره وآل بيته الطيبين الطاهرين، ومن والاهم واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الحديث عن أمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن- يدعو إلى العيش في كنف بيت النبوة، الذي طهره الخالق – جل وعلا- وجعله معدن الخير للبشرية، ومنطلق نجاتها وسعادتها؛ مما يشير إلى ما تحلت به تلك الكوكبة من مصداقية تربوية نهلت من خيراته وبركاته ؛ خير نساء عرفتها البشرية.

ومن ذلك المعين الثرّ النقي، نبعت الأسس المتينة الصادقة، التي شكلت إطارا عاما للتربية الإسلامية الحقة؛ مما كان له الأثر الكبير في إبراز الحكمة العظيمة في قوله – تعالى-: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض، وقلن قولا معروفا. . .).

ومما ينبغي الإشارة إليه أن العناية الربانية بأزواج النبي – صلى الله عليه وسلم-، وما ترتب على تلك العناية من أسس تربوية عظيمة، تجعلهن قدوة لنساء الأمة في تحمل المسؤولية التي يساندن بها الرجال، مما يدل على أن التربية أساس مهم لحياة البشرية.

ومن هنا تتجلى ضرورة دراسة هذا الجانب، وإبراز بعض الحقائق الداعية إلى إعادة النظر في ضرورة الاعتناء بشأن ما ينبغي للمرأة أن تضطلع به من مهمات تربوية تتناسب وقدراتها.

وما هذه الدراسة إلا محاولة لإبراز تلك القدرات، وإثبات النجاح الذي يمكن للمرأة أن تحققه في مجال التربية والتعليم.

وهذا مما تفضل الخالق – جل وعلا- به، ثم مما وسعه جهد الباحثة ووقتها، فما كان صوابا فمن الله – تعالى-، وله الحمد والمنة، وما كان فيه خطأ أو نقص فمن نفسي والشيطان. وأسأل الله العلي العظيم أن ينفع به.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تسود العالم الإسلامي تيارات فكرية منحرفة، انحرفت بكثير من نساء الأمة الإسلامية عن الجادة، وسلكت بهن سبيلا غير سبيل المؤمنات، فخالفن مبادئ الإسلام وتعاليمه.

وظهر أثر تلك التيارات فيما يسود من اختلال الموازين، وتشويه الحقائق، وانعكاس المفاهيم، وتحطم القيم، فأصبحت المرأة في هذا الخِضَمّ الجارف تفتقد الدليل والمرشد.

وقد شعرت الباحثة بضرورة العمل على إبراز الحلول الأصيلة التي تأخذ بيد المرأة إلى الخير والحق، ونبذ كل السبل المنحرفة الضالة. ولتحقيق ذلك أجابت الباحثة عن السؤال الرئيس الآتي:

= ما أثر أمهات المؤمنين في تصحيح مفاهيم النساء وتقويم سلوكهن؟

وللإجابة عن هذا السؤال قامت الباحثة بالإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

١) من هن أمهات المؤمنين -رضي الله تعالى عنهن-؟ وما القيمة الفعلية لهذا اللقب؟ وما الميزة التي أهلتهن للحظوة به؟ وما علاقة التربية بالرباط الزوجي النبوي؟

٢) ما العوامل التي أثرت في توعية أمهات المؤمنين وتربيتهن على العمل والفضيلة وأهلتهن لمرتبة أفضل المعلمات والمربيات؟

٣) ما الجوانب التربوية التي تكفلت أمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن- بغرسها في نفوس المسلمين؟

وتمت الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال فصول ثلاثة، تناول الفصل الأول منها التعريف بأمهات المؤمنين، وذكر فضائلهن، وبيان العلاقة بين الزواج النبوي والتربية. وتناول الفصل الثاني التربية القرآنية والنبوية لأمهات المؤمنين. وأخيرا تناول الفصل الثالث الجوانب التربوية المستمدة من واقع التربية عند أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-.

أهميـــــة الدراســـة:

تنبع أهمية هذه الدراسة؛ من خلال المقارنة بين العناية التي شملت كتب السيرة النبوية، وما نتج عن ذلك من دراسة سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم- دراسة شملت النواحي الفقهية، والتربوية، والتاريخية، والجهادية والاجتماعية، وغيرها. . .، بينما اقتصرت الدراسات المتعلقة بسيرة أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-؛ على النواحي التاريخية، والفقهية، والجهادية؛ ولم تنل الدراسات التربوية إلا النزر اليسير الذي يبرز في ثنايا الكتب التي تناولت سيرهن – رضوان الله تعالى عنهن- في النواحي المذكورة آنفا.

ولما كان العمل التربوي لدى أمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن- يشكل جزءا هاما من الدعوة الإسلامية؛ شعرت الباحثة بضرورة دراسة هذا الجانب؛ لتُبرز من خلاله الأمور الآتية:

- تشكل التربية والتعليم لدى أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- ضرورة ملحة للوفاء بحاجة الأمة الإسلامية؛ فيما يتعلق بفقه النساء خاصة، وفيما يتعلق بالفقه الشرعي عامة.
- يشير العمل التربوي لديهن – رضوان الله تعالى عنهن- إلى المهمة التكميلية في نشر دعوة الإسلام.
- تعالج تلك المهمة الجوانب التي تساير ما فُطرت المرأة عليه من قدرات وإمكانات تربوية.
- النتيجة الإيجابية في اختصاص زواج الرسول – صلى الله عليه وسلم- بعدد من النساء يفوق العدد المباح شرعا للرجال.

أهـــــداف الدراســـة:

تهدف هذه الدراسة بصورة عامة إلى استخلاص بعض العوامل الفاعلة في تهيئة الإنسان ليكون قادرا على البذل والعطاء. كما تهدف إلى استعراض بعض العمل الدعوي، ومضمونه، وأساليبه، وآدابه.

وتهدف بصورة خاصة إلى ما يلي:

- التعرف على المكانة الدينية والعلمية والاجتماعية التي بلغتها أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-.
- إبراز المكانة المرموقة التي حظيت بها أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- خاصة، ونساء الأمة عامة، في دين الإسلام.
- إبراز وتأكيد المهمة التربوية الواقعة على عاتق زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم- خاصة، وعلى نساء الأمة عامة.
- الكشف عن زيف الدعوات التي امتهنت المرأة، وجعلت منها أداة للفساد والإفساد، وأظهرتها في صورة بشعة قلبت بها الحقائق والموازين، فعدّت تلك الصورة هي سر نجاح المرأة وجمالها، لتنسيها الهدف الحق من وجودها.

منهج الدراسة:

اتبعت الباحثة في هذه الدراسة؛ منهج الاستقراء، والوصف، والتحليل؛ حيث قامت بالاطلاع على كتب التفسير والحديث والسير والتراجم والتربية والمعاجم اللغوية والفقهية. والكتب التي اعتنت بسيرة أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- خاصة، وأسباب التعدد . وقد أفادت الباحثة منها على النحو الآتي:

- أفادت الباحثة من كتب التراجم في التعريف بأمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، وذكر فضائلهن.
- وأفادت كذلك من كتب السير في التعرف إلى الظروف المحيطة بهن قبل زواجهن بالرسول – صلى الله عليه وسلم-، وظروف ذلك الزواج، وما ترتب عليه من حكم، إلى جانب المراجع التي عالجت تلك الظروف بأسلوب تربوي.
- كما أفادت من كتب التفسير والحديث في التعرف إلى أساليب القرآن الكريم، وأساليب الرسول – صلى الله عليه وسلم- في تربية وتوجيه وتوعية أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-.

- وتمت الإفادة أيضا من كتب الحديث والتراجم في جمع بعض مرويات أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-. ثم تصنيفها حسب الحاجة في تصنيف الجوانب التربوية.
- وتمت الإفادة من الكتب التربوية في التعرف إلى أساليب التحليل التربوي الذي يمكن استنباطه من خلال الوصف الوراد في المآثر.
- وأخيرا تمت الإفادة من المعاجم اللغوية والفقهية في إيضاح بعض المصطلحات التي تضمنتها الأحاديث والمآثر، التي شكلت لب هذه الدراسة وعمودها.

وقد احتجّت الباحثة بالأحاديث الصحيحة والحسنة في هذه الدراسة التربوية،وأفادت من بعض رواية الأحاديث الضعيفة، كونها في الفضائل، وهو ما ذهب إليه الإمام النووي – رحمه الله – القائل في مقدمة كتابه الأربعين في الأحاديث النووية: "وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال".[1]

وأشارت الباحثة إلى بعض المواقف التي اتضح من خلالها مفهوم التربية، ومفهوم التعليم؛ وذلك من خلال ذكر الموقف التربوي، وما دل عليه من عمل، ومن خلال ذكر الموقف التعليمي، وما دل عليه من عمل.

وبهذا يصبح من الضرورة بمكان إيضاح الفرق بينهما؛ والفرق كما ذكره عبد الرحمن الباني في كتابه "المدخل إلى التربية في ضوء الإسلام": "أن التربية تشمل جميع جوانب الشخصية الإنسانية، وهي تستعين بوسائل، منها "التعليم"، أي التعليم بمعناه المحدود أو الضيق، فالتعليم بمعناه العادي أو الشائع أقل عمقا من التربية.

ومثال ذلك أنك حين تعلم الطفل العدّ من ١- ١٠٠، فإنك تعلمه من خلال ذلك التعليم، –وبوسائلك الخالصة–، قدرته الفكرية، كما تربّيه على الوضوح في تفكيره، والدقة في تعابيره، والترتيب في أفكاره، وهذا يوضح أن التعليم يتناول تحصيل المعرفة وزيادتها لدى الطفل أو الناشئ، أما التربية – التي تتخذ التعليم وسيلة لها– فهي تتناول ما هو أشمل وأعمل في نفسية الطفل وكيانه وشخصيته".[2]

الدراسات السابقة:

اطلعت الباحثة على دليل الرسائل الجامعية في مركز الإيداع بالجامعة الأردنية، وجامعة اليرموك، وحصلت على إفادة من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فيما يتعلق بموضوع الرسالة. فلم تعثر في ضوء هذا التحري على دراسة تتناول الجوانب التربوية في حياة أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، سوى ما تضمنه بعض الكتب من إشارات تربوية تخللت السير التاريخية لهن – رضوان الله تعالى عنهن-. مثل كتاب عائشة أم المؤمنين

---

[1] الأربعين حديثا النووية، يحي بن شرف النووي، ص٥

[2] المدخل إلى التربية في ضوء الإسلام، عبد الرحمن الباني، ص٢٤، بتصرف.

للدكتورة زاهية قدورة، وكتب سلسلة أعلام المسلمين، لمجموعة من المؤلفين، وغيرها من الكتب .

وعليه؛ فإن موضوع هذه الرسالة تناول جانبا جديدا ومهما من سيرتهن – رضوان الله تعالى عنهن–.

وقد أفادت الباحثة إفادة كبيرة من كتاب الظلال، لسيد قطب في التحليل التربوي المتعلق بالتربية القرآنية لأمهات المؤمنين، وكتب شروح الحديث مثل كتابي فتح الباري، وصحيح مسلم بشرح النووي، وكذلك كتب التراجم في تتبع بعض المرويات والمآثر، مثل كتاب تهذيب التهذيب، والإصابة، وأسد الغابة، وسير أعلام النبلاء، وغيرها.

كما أفادت في تحصيل مؤشرات للجانب التربوي؛ من خلال الكتب التي تناولت سير أمهات المؤمنين، ومناقبهن، وفضائلهن، بالتحليل الفقهي، والتاريخي، والعلمي؛ كسلسلة أعلام المسلمين، وموسوعة أمهات المؤمنين لعبد الصبور شاهين، وإصلاح عبد السلام، وموسوعة حياة الصحابيات، لمحمد مبيض، وكتب المرحوم الشيخ محمد الشعراوي، وغيرها من الكتب.

خطة الدراسة

تشتمل هذه الدراسة على ما يلي:

- الفصل التمهيدي: ويتضمن المقدمة، ومشكلة الدراسة وأسئلتها، وأهمية الدراسة، وأهدافها، ومنهجها والدراسات السابقة.
- الفصل الأول: وهو بعنوان (أمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن–) ويتضمن ثلاثة مباحث؛ أولها بعنوان: التعريف بأمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن–، والثاني بعنوان: فضائل أمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن–، والثالث بعنوان: الزواج النبوي وعلاقته بالتربية، ويضم مطلبين؛ الأول بعنوان اختيار الزوجة على أساس الدين والشرف، والثاني بعنوان: الحكمة من تعدد زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم– .
- الفصل الثاني: وهو بعنوان (التربية في البيت النبوي)؛ ويتضمن ثلاثة مباحث: أولها بعنوان: القرآن الكريم وأهميته في توجيه أمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن–، والثاني بعنوان: الحديث الشريف وأهميته في توجيه أمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن–، ويتضمن ثلاثة مطالب؛ أولهابعنوان التوجيه إلى القول الحسن، والثاني بعنوان: التوجيهات السلوكية، والثالث: بعنوان: التوجيهات الفقهية والتفسيرية، أما المبحث الثالث؛ فهو بعنوان: بعض مظاهر التربية في بيت النبوة، ويتضمن ثلاثة

مطالب؛ أولها بعنوان: التربية الروحية، والثاني بعنوان: التربية الاجتماعية، والثالث بعنوان: التربية الجسمية.

- الفصل الثالث: وهو بعنوان: الجوانب التربوية المستمدة من واقع التربية عند أمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن–؛ ويتضمن خمسة مباحث؛ أولها بعنوان الجانب التربوي الإيماني والتعبدي، ويضم مطلبين؛ الأول بعنوان: الجوانب التربوية الإيمانية، والثاني بعنوان: الجوانب التربوية التعبدية، والمبحث الثاني بعنوان الجانب التربوي الأخلاقي والسلوكي، ويضم سبعة مطالب؛ الأول بعنوان: التوجيهات الأخلاقية، والثاني بعنوان التوجيهات السلوكية، والثالث بعنوان: توجيهات أخلاقية وسلوكية تتعلق بالعلاقة الزوجية، والرابع بعنوان: توجيهات أخلاقية وسلوكية تتعلق بالعلاقات الاجتماعية، والخامس بعنوان: توجيهات سلوكية تحض على الاعتناء بالهيئة، والسادس بعنوان: حث المرأة على الخضاب بالحناء، والسابع بعنوان: حث المرأة على تحمل التعدد، والإحسان إلى الضرة. والمبحث الثالث بعنوان: الجانب التربوي العلمي؛ ويتضمن ثلاثة مطالب؛ الأول بعنوان: المكانة العلمية لأمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن–، والثاني بعنوان: مواقف ترشد إلى حسن السلوك والوعي الذي تمتعت به أمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن–، والثالث بعنوان: مرويات ومآثر تتجلى فيها توجيهات تربوية مختلفة. والمبحث الرابع بعنوان: الجانب التربوي الوقائي، ويضم مطلبين؛ الأول بعنوان: تمثل التقوى في خلق أمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن–، والثاني بعنوان: تحري التقوى في خلق المسلمين وحثهم عليه، وأخيرا المبحث الخامس، وهو بعنوان: الجانب التربوي الجسماني. ويلي هذه المباحث الخاتمة؛ وتشمل النتائج والتوصيات ثم فهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ثم فهرس المصادر والمراجع، والملخص باللغة الانجليزية.

الفصل الأول
أمهات المؤمنين
-رضي الله تعالى عنهن-

المبحث الأول
التعريف بأمهات المؤمنين
-رضي الله تعالى عنهن-

- أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها
- أم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها
- أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما
- أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما
- أم المؤمنين السيدة أم سلمة بنت أبي أمية رضي الله عنها
- أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها
- أم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنهما
- أم المؤمنين السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما
- أم المؤمنين السيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها
- أم المؤمنين السيدة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

شرّف الله – تعالى- أزواج نبيه – صلى الله عليه وسلم- بأن سمّاهنّ أمهات للمؤمنين. وفرض على المؤمنين، القيام بحق هذه الأمومة، بما يلائمها. وفي ذلك من التكريم ما يستدعي البحث في مفهوم هذا المصطلح، والبحث فيما يترتب عليه.

وقد وردت تلك التسمية في قوله – سبحانه-: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾.[1]

وعند البحث في مفهوم هذا المصطلح، اتضح أنه يشير إلى وجوب التعظيم، والمبرة، والإجلال، وحرمة النكاح على الرجال. وذلك يعني أنه لا يترتب على هذا اللقب ما يترتب على الأمومة من جواز إبداء الزينة، وكشف الستر، أو أن يترتب عليه ميراث أو غيره مما هو معروف في علاقة الولد بأمه.

وعلى الرغم من كونهن – رضوان الله تعالى عنهن-، قد حظين بهذا اللقب، ويحرم الزواج منهن بعد النبي – صلى الله علي وسلم- إلا أن الخالق – جل وعلا-، قد أمرهن بالحجاب، بخلاف الأمهات، وفي ذلك ما يدل على جواز الزواج ببناتهن، بحيث لا تصبح بناتهن أخوات للمؤمنين، لكونهن – رضوان الله تعالى عنهن- أمهات للمؤمنين.[2]

وفي تحريم الزواج بهن، وسبب إكرامهن بهذا الاسم، يقول الفخر الرازي: "والمعقول في جعل أزواجه أمهاتنا، هو أن الله – تعالى- جعل زوجة الأب محرمة على الإبن، لأن الزوجة محل الغيرة، والتنازع فيها، فإن تزوج الإبن بمن كانت تحت الأب، يفضي ذلك إلى قطع الرحم، والعقوق، لكن النبي – صلى الله عليه وسلم-، أشرف وأعلى درجة من الأب، وأولى بالإرضاء، فإن الأب يربي في الدنيا فحسب، والنبي – عليه الصلاة والسلام- يربي في الدنيا، والآخرة؛ فوجب أن تكون زوجاته مثل زوجات الآباء".[3]

واختلف في كونهن أمهات الرجال والنساء، أم أمهات الرجال خاصة، على قولين: لما رواه الشعبي[4] عن مسروق عن عائشة – رضي الله تعالى عنها- أن امرأة قالت لها: "يا أمه"، فقالت لها: " لست لك بأم، إنما أنا أم رجالكم"، وبناء على هذا، قال ابن العربي: "هو الصحيح"،[5] أي أنها أم الرجال فقط. أما القرطبي، فقال: "لا فائدة في اختصاص الحصر في الإباحة للرجال

---

١) سورة الأحزاب، الآية: ٦

٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص١٢٣ بتصرف.

٣) تفسير الفخر الرازي، ج٢٥ ، ص١٩٦

٤) الشعبي هو عامر بن شراحيل أبو عمرو الكوفي، ولد لست سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب، روى عن أنس بن مالك، وأسامة بن زيد وغيرهم، مناقبه وفضائله كثيرة جدا، مات سنة ١٠٥ هجرية، روى له الجماعة. تهذيب الكمال، للمزي، ج١٤، ص٢٨.

٥) ابن العربي: أحكام القرآن، المجلد الثالث، ص١٥٠٩.

دون النساء"؛ لذا فهو يرى أنهن أمهات الرجال والنساء؛ وذلك تعظيما لحقهن على الرجال والنساء ضرورة، وأن هذا هو العموم الذي يسبق إلى الفهوم.[1]

وفي كل الأحوال؛ فإن تسميتهن بأمهات المؤمنين، فيه من التعظيم، والكمال، ما يغني عن الالتفات إلى ذلك الخلاف؛ حيث تتضمن تلك التسمية، الإشارة إلى وجوب التوقير، والتقدير، والاحترام، ومعرفة الفضل لهن.

وهذا الموقف هو الموقف الذي يطالب به كل مؤمن ومؤمنة، محب لله – تعالى-، ولرسوله – صلى الله عليه وسلم-؛ ومن لوازم محبته – عليه الصلاة والسلام- محبة أزواجه الطاهرات، ومعرفة قدرهن.

وقد اختلف في عدد أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم-، فقيل: تزوج اثنتي عشرة عربية،[2] وقيل: تزوج خمس عشرة امرأة،[3] وقيل: تزوج من ثماني عشرة امرأة[4]. وقيل إن "المجمع عليه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- تزوج أربع عشرة امرأة، وفارق منهن الجونية والكلابية،[5] وماتت عنده خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة الهلالية، وريحانة بنت زيد النضرية، وقبض رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، عن تسع لا اختلاف فيهن، وهن: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم سلمة بنت أمية بن عمر بن مخزوم، وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، و سودة بنت زمعة، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وصفية بنت حيي بن أخطب النضرية".[6]

وفي هذه الدراسة، لسنا بحاجة إلى الخوض في ذلك الخلاف، حيث يمكن الاكتفاء بالتعرف إلى العدد المجمع عليه، والاقتصار على أزواجه – عليه الصلاة والسلام- اللواتي عاشرنه، ونهلن من مدرسته، فكن سراجا مضيئا، ينير للأمة الإسلامية، كثيرا من الجوانب المهمة، المتعلقة بالدنيا والآخرة.

وعلى ذلك، تم التعريف بالسيدة خديجة – رضي الله تعالى عنها-، ثم زوجاته – عليه الصلاة والسلام-، اللواتي توفي عنهن.

---

١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص١٢٣ بتصرف.
٢) ذكر ذلك الزهري، انظر سير أعلام النبلاء ج٣ ص٥٠٥
٣) ذكر ذلك قتادة: المرجع نفسه
٤) ذكر ذلك أبو عبيد: المرجع نفسه
٥) الجونية: هي أسماء بنت النعمان الجونية، والكلابية: هي فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية.
٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٣ ص٥٠٥

أولا: أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد – رضي الله تعالى عنها-:

هي خديجة سيدة نساء العالمين في زمانها، أم القاسم، ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، القرشية الأسدية، أم أولاد رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وأول من آمن به وصدقه قبل كل أحد.[1]

كانت تدعى في الجاهلية (الطاهرة). وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم من بني عامر بن لؤي.

وكانت خديجة قبل زواجها من الرسول – صلى الله عليه وسلم- عند أبي هالة هند بن النباش ابن زرارة، ثم خلف عليها بعد أبي هالة عتيق ابن عائذ المخزومي، ثم خلف عليها بعد عتيق رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، و كانت إذ تزوجها رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بنت أربعين سنة، فأقامت معه – صلى الله عليه وسلم- أربعا وعشرين سنة، وتوفيت وهي بنت أربع وستين سنة وستة أشهر.

ولد لرسول الله – صلى الله عليه وسلم- منها ولده كلهم إلا إبراهيم، ولم يتزوج قبل بعثته غير خديجة، ولم يتزوج عليها أحدا من نسائه حتى ماتت. وهي أول من آمن بالله – عز وجل – ورسوله.[2]

ثانيا: أم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة – رضي الله تعالى عنها-:

هي سودة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية، وأمها الشموس بنت قيس بن زيد الأنصارية.[3] تزوجها رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بعد خديجة وقبل عائشة، وكانت قبله عند السكران بن عمرو. أسلمت بمكة قديما، وهاجرت هي وزوجها إلى الحبشة، الهجرة الثانية، وقيل إن زوجها توفي هناك.[4]

ثالثا: أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر – رضي الله تعالى عنهما-:

هي عائشة بنت أبي بكر، عبد الله بن أبي قحافة، وأبو قحافة هو عثمان بن عامر بن عمرو.[5] وأم السيدة عائشة هي أم رومان ابنة عامر بن عويمر.

---

١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣ ص٥٠٣

٢) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤ ص١٨١٧ ، بتصرف.

٣) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٥ ص٤٨٤

٤) هذا القول للزبير ابن بكار: انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج١٢ ص٤٥٥

٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣ ص٤٣٤

تزوجها رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وهي بكر بنت ست سنوات، وبنى بها[1] وهي بنت تسع سنوات.[2] وكان زواجه – صلى الله عليه وسلم- بها في شوال سنة عشر من النبوة، قبل الهجرة بثلاث سنين، ثم أعرس بها في المدينة، في شوال على رأس ثمانية عشر شهرا من مهاجره إلى المدينة.[3] وكانت – رضي الله تعالى عنها- تكنى بأم عبد الله.

رابعا: أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنهما-:

هي حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل القرشية العدوية.[4] ولدت قبل المبعث بخمسة أعوام، وتزوجها النبي – صلى الله عليه وسلم- سنة ثلاث، وقيل سنة اثنتين للهجرة.[5] وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمي،[6] فلما تأيمت ذكرها عمر لأبي بكر، وعرضها عليه فلم يراجع أبو بكر كلمة، فغضب من ذلك عمر، ثم عرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فقال عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم. إلا أن مشيئة الخالق سبحانه، قضت أن يتزوجها رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وكان ذلك في سنة ثلاث من الهجرة.[7]

خامسا: أم المؤمنين السيدة أم سلمة – رضي الله تعالى عنها-:

هي هند بنت سهيل ، المعروف بأبي أمية ابن المغيرة، القرشية المخزومية،[8] وأبوها أحد أجواد قريش، المشهورين بالكرم، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن خزيمة.[9]

كانت قبل النبي – صلى الله عليه وسلم- عند أخيه من الرضاعة: أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، الرجل الصالح.[10] وقد شهد أبو سلمة أحدا، ورُمي بسهم، فعاش بعده خمسة أشهر أو سبعة، ومات. فاعتدّت أم سلمة، ثم انتهت عدتها في شوال من السنة الرابعة للهجرة، فتزوجها رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، في السنة نفسها.[11]

---

١) بنى بها: أي عروسه جامعها: وأصله أن الداخل بأهله كان يضرب عليها قبة ليلة دخوله بها، فقيل لكل داخل بأهله بانٍ ، ثم كثر فكني به عن الوطء. انظر محيط المحيط، بطرس البستاني، ص٥٦

٢) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٥ ص٥٠١

٣) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤ ص١٨٨١

٤) المرجع نفسه، ج٣ ص١١٤٤

٥) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج١٢ ص٤٣٩

٦)خنيس بن حذافة السهمي: من السابقين الأولين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، وشهد بدرا، وأصابه جرح بليغ في أحد، فمات منه – رضي الله تعالى عنه- . انظر سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٩٠

٧) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤ ص١٨١١

٨) الزركلي: الأعلام، ج٣ ص٦٠

٩) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤ ص١٩٢٠، بتصرف يسير.

١٠) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣ ص٤٧٤

١١) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج١٢ ص٤٨٣ ، بتصرف.

سادسا: أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش – رضي الله تعالى عنها-:

هي زينب بنت جحش بن رئاب، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، عمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، تزوجها الرسول – صلى الله عليه وسلم- سنة خمس من الهجرة، وكانت قبله تحت زيد بن حارثة.[1]

سابعا: أم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث – رضي الله تعالى عنهما-:

هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، الخزاعية المصطلقية. سباها رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، يوم المريسيع، وهو غزوة بني المصطلق، سنة خمس، وقيل سنة ست، و كانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقي. أعانها الرسول – صلى الله عليه وسلم- على الفكاك من أسرها، ثم تزوجها، فكانت بركتها على قومها عظيمة؛ فحين علم المسلمون بزواج الرسول – صلى الله عليه وسلم- منها، قالوا: أصهار رسول الله !! فأرسلوا ما كان في أيديهم من أسرى بني المصطلق، فأعتق بذلك مئة من أهل بيت بني المصطلق.[2]

ثامنا: أم المؤمنين السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان – رضي الله تعالى عنهما-:

هي رملة بنت أبي سفيان، صخر بن حرب بن أمية،[3] وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية، (عمة عثمان بن عفان).[4] وأخوها معاوية بن أبي سفيان – رضي الله تعالى عنهم جميعا-[5] أسلمت قديما، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش، وهناك تنصر ومات، فتزوجها رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وهي في الحبشة، سنة ست، وقيل سنة سبع.[6]

تاسعا: أم المؤمنين السيدة صفية بنت حيي بن أخطب – رضي الله تعالى عنها-:

هي صفية بنت حيي بن أخطب، من سبط هارون بن عمران – عليه السلام-، وأمها برة بنت سموءل.

كانت صفية عند سلام بن مشكم، وكان شاعرا، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق، وهو شاعر أيضا، فقتل يوم خيبر.

---

١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤ ص١٨٤٩ ، بتصرف.
٢) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٥ ص٤١٩ ، بتصرف.
٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣ ص٤٨٤
٤) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٥ ص٤٤٥٧
٥) الزركلي: الأعلام، ج٣ ص٦٠
٦) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج١٢ ص٤٤٨ ، بتصرف.

" سباها الرسول – صلى الله عليه وسلم- في هذه الغزوة، ثم أعتقها، ثم تزوجها"،[1] وكانت صفية حليمة عاقلة فاضلة.[2]

عاشرا: أم المؤمنين السيدة ميمونة بنت الحارث – رضي الله تعالى عنها-:

هي ميمونة بنت الحارث بن حزن، وأمها هند بنت عوف بن زهير. وهي أخت أم الفضل زوجة العباس، و خالة خالد بن الوليد، وخالة حبر الأمة عبد الله بن عباس – رضي الله تعالى عنهم-.[3]

كانت قبل النبي – صلى الله عليه وسلم- عند أبي رهم بن عبد العزى العامري، فمات عنها، فتزوجها الرسول – عليه الصلاة والسلام- سنة سبع للهجرة.[4]

---

١) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج١٢ ص٤٥٨
٢) ابن عبد البر: الاستيعاب ج٤ ص ١٨٧١ بتصرف.
٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣ ص٤٩٦ بتصرف.
٤) الزركلي: الأعلام، ج٨ ص٣٠٢

المبحث الثاني
فضائل أمهات المؤمنين
-رضى الله تعالى عنهن-

- فضائل أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها
- فضائل أم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها
- فضائل أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما
- فضائل أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما
- فضائل أم المؤمنين السيدة أم سلمة بنت أبي امية رضي الله عنها
- فضائل أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها
- فضائل أم المؤمنين السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما
- فضائل أم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنهما
- فضائل أم المؤمنين السيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها
- فضائل أم المؤمنين السيدة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

إن الحديث عن فضائل أمهات المؤمنين حديث طويل لا يمكن استقصاؤه؛ فكل ما قيل فيه ليس إلا غيض من فيض؛ ذلك لأن الحديث عن فضائلهن – رضي الله عنهن- يستلزم البحث عن السر في اختيارهن ليكن زوجات لسيد البشرية وقائدها، ورسولها – صلى الله عليه وسلم-، وهذا أمر يعجز البشر عنه حتما؛ لأنه من الأمور الغيبية التي استأثر الخالق – عز وجل- بعلمها؛ وما علّمنا منه إلا النزر اليسير الذي شاء أن يُظهره من خلال سيرهن ومآثرهن.

ومن هنا فإن الانطلاق نحو حصر تلك الفضائل أمر متعذر. إلا أن بعض ما ورد في فضائلهن يمثل إشارات لها دلالاتها الواضحة في إبراز صورة المنزلة الرفيعة التي حظين بها، ويوضح الأهلية التربوية التي ينبغي أن تُنسب إليهن، ليكن في هذه الدراسة، منارات هاديات، ترشد إلى بعض معالم التربية الإسلامية.

بلغت أمهات المؤمنين منزلة سامية رفيعة لا تضاهى؛ فقد اعتنى المولى – عز وجل- بهن، وشملهن بلطفه وكرمه؛ عندما شاء – سبحانه- أن يكن زوجات رسوله – صلى الله عليه وسلم-، وعندما شاء أن تشملهن كرامة لقب ﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾،[1] وعندما شاء أن يعشن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة. وهذه هي مشيئة الخبير الحكيم. مما يبين سبب استحقاقهن هذه المنزلة.[2] فقد " كن – رضي الله تعالى عنهن- تسع ضرائر من قبائل شتى وأعمار مختلفة، ولكنهن كن على مستوى من المسئولية التي وصفهن الخالق بها، عندما قال – جل شأنه- : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴾ ".[3]

كما، تمتعن بعناية رسوله الكريم – صلى الله عليه وسلم-؛ وحبه ورفقه بهن، مما جعله يوصي بهن كل مسلم ومسلمة؛ فقد ورد عنه -عليه الصلاة والسلام-، قوله: (. . . **وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي . . .**)[4]. وهذه المنزلة أدركها المسلمون جيدا، ومنهم سيدنا أبو بكر الصديق – رضي الله تعالى عنه-، الذي استجاب لأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ فقال : "**ارقبوا محمدا -صلى الله عليه وسلم- في أهل بيته**"[5]. وكذلك سيدنا عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- الذي عمل على اتباع ما حث

---

١) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٣٣

٢) أحمد خليل جمعة: نساء أهل البيت، ص ٢٥٠ ، بتصرف.

٣) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٣٢

٤) جزء من حديث في صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب (٤) فضائل علي بن أبي طالب، رقم الحديث:٢٤٠٨، ج١٥، ص١٥٠

٥) منتخب الكنز، بهامش مسند أحمد، ج٥ ، ص٩٤

عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم- في قوله: (**إن الذي يحنو عليكن بعدي لهو الصادق البار، اللهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة**) [1]، فكان حينما " يسافر بزوجات الرسول –صلى الله عليه وسلم- ينزلهن الشعب الذي ليس له منفذ، ويجعل على هوادجهن الطيالسة"[2،3]، وكل ذلك اعتناء منه وحرص على الحفاظ على سلامتهن.

وهذه العناية تشير إلى فضيلة عظيمة حظيت بها أمهات المؤمنين، رضوان الله عنهن؛ فقد شاء سبحانه أن يكنّ من أهل الجنة، وذلك ما دل عليه قول الرسول –صلى الله عليه وسلم- فيهن: (**سألت ربي عز وجل أن لا أزوج أحدا من أمتي ولا أتزوّج إلا كان معي في الجنة فأعطاني**)[4].

ومما يؤكد ذلك؛ قول المولى – جل وعلا- : ﴿**الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**﴾[5]. ومن أطيب من رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ، فدل ذلك على اتصافهن بهذه الصفة التي تعكس طهارتهن المطلقة، فكن الطيبات المصطفيات لأطيب خلق الله تعالى.

وليس ذلك ببعيد؛ فشدة تقواهن لله –عز وجل- وحرصهن على مرضاته، ومرضاة رسوله –صلى الله عليه وسلم- جعلهن في حصن منيع يحميهن، ويلجئهن في كل الأحوال إلى الطاعات والقربات.

ومن الأمثلة على تقواهن، موقفهن في حادثة الإفك؛ فقد حماهن المولى – جل وعلا- من الخوض فيه؛ " فلم يؤثر عن واحدة منهن في عائشة كلمة واحدة، بل إشارة خفية، وهن ضرائرها وشريكاتها في القرب الداني من رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، وكان من الطبيعي أن يكنّ هنّ اللاتي يخشى عليهن بواعث الغيرة أن تدفعهن أو بعضهن إلى التحدث فيما يحوم حول ذلك. لكن الله ذو الفضل العظيم والخير العميم قد حفظهن جميعا حفظا مباركا لمقام حرم رسوله –صلى الله عليه وسلم- أن تظل عروش بيوتهن في خلوتهن أو جلوتهن معه – صلى الله عليه وسلم- معصومة عن الانزلاق إلى مزالق الباطل، والنقول على من يعرفن أنها أحب الناس إليه –صلى الله عليه وسلم- وأعزهن عنده، وأعرفهن بمطارح أنظاره، وأسرعهن إلى التعلق بأسباب رضاه في كل ما تَقَرُّ به عينه –صلى الله عليه وسلم-"[6].

---

١) مسند أحمد، ج٦، ص٢٩٩، وإسناده صحيح، انظر المسند للإمام أحمد، بشرح أحمد الزين ج١٨ ص٢٦١

٢) الطيالسة: ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف، أو يحيط بالبدن، خال عن التفصيل. المعجم الوسيط، ج٢، ص٥٦٧

٣) ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص ٢١٠

٤) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٤٨

٥) جزء من الآية: ٢٦ من سورة النور.

٦) أحمد خليل جمعة: نساء أهل البيت، ص ١٤٢،١٤٣

ومن فضائلهن أنهن كن أسوة حسنة في مختلف مناحي الحياة، ففي الفكر والعقيدة؛ لهن المقام الأرفع والذروة المختارة. وفي طاعة الله ورسوله؛ كن الفضليات اللواتي حزن عرش الطاعة، وفزن بقصب السبق،[1] وكان لهن القِدْح المعلى[2] الذي لا يجارى فيه ولا يبارى. وفي القول الحسن، والحكمة الصائبة، والدعوة إلى الله، والقيام بأعباء الوعظ والإرشاد؛ كن الداعيات الأول إلى الله -عز وجل-، والهاديات إلى طريقه المستقيم. وفي الأخلاق الطيبة، والعشرة الحسنة، والصفات الحميدة؛ كن المثاليات في هذا المضمار الحائزات على الجوائز الأولى، وهن المتخرجات في مدرسة النبوة ومعهد التربية التي صنعت على عين الله ورعايته.[3]

فنعم المعلم – صلى الله عليه وسلم-، ونعمت التلميذات – رضوان الله تعالى عنهن-.

وقد تحلت أمهات المؤمنين بفضائل عديدة، تعكس مدى التزامهن بالأوامر الشرعية الربانية، ومدى تأثرهن بأخلاق الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومبادئ الإسلام؛ فقد تحلين بالاتصال الدائم بالله -جل وعلا- والاقتداء بنهج الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- في كل فضيلة، وفي الأخلاق، والشمائل الحميدة؛ كالعبادة، وذكر الله تعالى في الغدو والآصال، والصبر، والتقى، والزهد، والورع، والصفاء، والجود، والتجاوز، والصفح عن المسيء، وحسن الأدب، والذكاء، والفطنة، وكريم الصفات، وجميع مكارم الأخلاق.

كما اشتركن في العلم والفقه وحفظ الحديث وروايته، وعلى الرغم مما اشتهرت به السيدة عائشة -رضي الله عنها- من علم ورواية الحديث، إلا أن أمهات المؤمنين كن " قسيمات لها في إذاعة العلم وإفاضة الدين ورواية الحديث على المسلمين وعلى طلاب العلم وشداة الدين من أصقاع المعمورة" [4]، -وإن كان بينهن تباين في ذلك-.

هذا وقد اتصفت كل واحدة من أمهات المؤمنين بصفات وسمات انفردت بها إحداهن عن الأخرى، لتبرز من خلال ذلك درجاتهن ومنازلهن اللاتي حُزنها عند الخالق -سبحانه وتعالى- وعند الزوج العظيم -صلى الله عليه سلم-. وليتجلى بهذه السمات ذلك التسابق والتنافس الذي كان بينهن لنيل مرضاة الله -تعالى- ومرضاة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وللفوز بقصب السبق إلى الدرجات العلى من الجنة.

---

١) قصب السبق: أصل هذا التعبير، أن الناس كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبة، فمن سبق اقتلعها، وأخذها ليُعلم أنه السابق؛ انظر المعجم الوسيط ج٢، ص٧٤٤

٢) القدح المعلى: أي الحظ الأوفر؛ انظر المعجم الوسيط، ج٢ ، ص٧٢٤

٣) أحمد خليل جمعة: نساء الأنبياء في ضوء القرآن والسنة، ص ١١

٤) أحمد خليل جمعة: نساء أهل البيت، ص ١٤٨

وفيما يلي تم عرض بعض تلك السمات، ليتضح بعض فضائلهن – رضوان الله تعالى عنهن:

أولا: فضائل أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد – رضي الله تعالى عنها-:

انفردت السيدة خديجة – رضي الله عنها- بالسبق إلى الإسلام، وتمتعت بأولويات في أمور عدة، فهي "أول امرأة تزوجها الرسول – صلى الله عليه وسلم- وأول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امرأة،[1]"، "وأول من صلى مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، وأول من رزق منها الأولاد، وأول من بُشرت بالجنة، وأول من أقرأها ربها السلام، وأول صديقة من المؤمنات، وأول زوجات النبي –صلى الله عليه وسلم- وفاة، وأول قبر نزل فيه الرسول –صلى الله عليه وسلم- قبرها بمكة"[2].

إلى جانب ذلك اللقب الذي تمتعت به قبل إسلامها؛ وهو لقب الطاهرة،[3] وهذا اللقب يدل على نقائها وطيب نفسها واتزانها ، مما جعلها أهلا للمنزلة التي حظيت بها. ومما يشير إلى ذلك موقفها في بدء نزول الوحي؛ إذ وقفت موقف الواثق من حقيقة نفسه، العالم بما يحيط به من ظروف تهيئه لتوقع وقوع الخير، وتمنع عنه المخاوف التي قد تعتريه مما يتعلق بمستقبله، وهذا ما يتضح من خلال قولها: **(كلا، أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا)**،[4] فهذه العبارة تعكس ما تحمله السيدة خديجة في طيات نفسها عن هذا الإنسان العظيم –عليه الصلاة والسلام- فهي ترى فيه معالم الإنسان الكامل، الذي لا يمكن أن يكون للشيطان عليه من سبيل، لذا أخذت بعد ذلك تعدد مزاياه وسماته، لتغرس في نفسه الثقة والتفاؤل فيما حدث له في الغار، وإنه أمر تبدو منه الكرامة لا الخزي، فهو كما قالت: **(إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقرئ الضيف وتعين على نوائب الحق)**[5]. ولتؤكد له حسن ظنها بما رآه، اتخذت موقفا عمليا حاسما، اتضح في قولها للرسول الله –صلى الله عليه وسلم: **(أي ابن عم، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاء؟ قال نعم، قالت: إذا جاءك فأخبرني به، فجاءه جبريل –عليه السلام- كما كان يصنع فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- لخديجة: (ياخديجة ، هذا جبريل قد جاءني) قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى، قال: فقام رسول الله –**

---

١) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٥، ص٤٣٤

٢) أحمد خليل جمعة: نساء مبشرات بالجنة، ص ٣٢

٣) قال الزبيربن بكار: كانت تدعى في الجاهلية: الطاهرة، انظر أسد الغابة ، ج٥، ص٤٣٤

٤) فتح الباري ، كتاب بدء الوحي ، رقم الحديث ٣ ، ج١ ص٣٣. وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ٧٣ ، بدء الوحي إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم-، ج٢ ص ١٦٦، رقم الحديث ١٦٠، بشرح النووي

٥) فتح الباري، كتاب بدء الوحي، رقم الحديث: ٣، ج١ ص٣٣، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي (٧٣)، رقم الحديث ١٦٠ ج٢ ص١٦٦.

صلى الله عليه وسلم- فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: (نعم) قالت: فتحول فاجلس على فخذي اليمنى، قال فتحول فجلس على فخذها اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: (نعم)، قالت: فتحول فاجلس في حجري، قالت: فتحول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: (نعم) قال: فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- جالس في حجرها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا قالت: يا ابن عم، اثبت وأبشر، فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان).[1]

هذا الموقف جعلها أول "مجتهدة في الإسلام"[2]، وجعلها نقطة تفوق المرأة في هذا الدين العظيم، فلم تعزل عن حادثة ولا أبعدت عن مشورة، وتلك – في الحقيقة- بداية الطريق الجديدة التي سوف تسير فيها المرأة الجديدة في ظل الإسلام الحنيف،[3]على أثر تلك الطاهرة التي أوتيت عقلا لمّاحا، ورزقت فطنة صافية زاكية، لم يعرف تاريخ الإنسانية لها ندا في صدق وفائها، وأمانة سرها، واستشراف عقلها إلى مطالعة أعماق النفوس البشرية في ظلال مرضاة الله –عز وجل- ومرضاة رسوله -صلى الله عليه وسلم- فكانت في مقدمة السبق، وكانت الظافرة في ذلك السباق الإيماني الميمون فرزقت الخلود مع الخالدين في سجل أوفى الأوفياء في دنيا الطهر والوفاء والصفاء.[4]

كانت رضي الله عنها: "**امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا**".[5]ويصف الذهبي فضلها؛ فيقول: (**ومناقبها جمة وهي ممن كمل من النساء، كانت عاقلة جليلة ديّنة مصونة كريمة من أهل الجنة، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يثني عليها ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين،. . .).**[6]

سخّرت إمكاناتها المادية والمعنوية في نصرة المسلمين، وانتشار الإسلام، حتى سمي العام الذي توفيت فيه (عام الحزن). فقد كانت -رضي الله عنها- أعرف الناس وأقدرهم، على وزن ما حُمّل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أمانة رسالته، لذا آمنت به وصدقته رسولا أمينا لله – تعالى- يتلقى وحيه ويبلغ رسالته، فيلقى من البلاء ما تنوء تحت ثقله ثوابت الرواسي، فتنفس عنه وتشجعه وتعينه على الصبر، كيما يتم تبليغ ما أمره الله.

---

١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٣٩

٢) محمد متولي الشعرواوي: سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم-، ص١١٠

٣) عبد الصبور شاهين: موسوعة أمهات المؤمنين، ص٨٢ ، بتصرف يسير

٤) أحمد خليل جمعة: نساء أهل البيت، ص ٥٦،٥٥ بتصرف يسير.

٥) ابن سعد: الطبقات، ج١، ص١٣١

٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج٣، ص٤١٩

قضت السيدة الطاهرة خديجة في كنف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أشق مراحل الدعوة، فكانت حياتها معه أوفى حياة زوجة لزوجها تهيئ له أسباب تفرغه لعبادة ربه، وتخدمه، وترد عنه عاديات الحياة بين قومه.[1]

وإلى جانب كل تلك الفضائل تمتعت بحسن العشرة، ونقائها، وصفائها، حيث لم تسؤه -صلى الله عليه وسلم- قط، ولم تغاضبه، ولم ينلها منه إيلاء، ولا عتب قط، ولا هجر.[2] فحازت بذلك حبه-صلى الله عليه وسلم- وثناءه، وعرفانه؛ فقد خلّد -صلى الله عليه وسلم- أسبقيتها إلى الإيمان بقوله: **(خديجة سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله وبمحمد - صلى الله عليه وسلم)**،[3] وأثنى على كرمها، وحسن رعايتها فقال: **(ما رأيت من صاحبة أجير خيرا من خديجة، ما كنا نرجع أنا وصاحبي إلا وجدنا عندها تحفة من طعام تخبئه لنا)**.[4] ووصفها بالكمال، فقال: **(حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد، وفاطمة ابنة محمد، وآسية امرأة فرعون)**.[5]

و"من الموافقات اللطيفة التي جمعتهن في نسق واحد - باستثناء السيدة فاطمة بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن كل واحدة منهن كفلت نبيا مرسلا، وأحسنت صحبته، وآمنت به، فآسية ربت موسى، وأحسنت إليه، وصدقت به حين بعث، ومريم كفلت عيسى، وربته، وصدقت به حين أرسل، وخديجة رغبت في النبي -صلى الله عليه وسلم- وواسته بنفسها ومالها، وأحسنت صحبته، وكانت أول من صدقه حين نزل عليه الوحي"[6]. وكل تلك المزايا استحقت بها المنزلة العظيمة التي أعدها الخالق سبحانه لها في الجنة، وعجل بتبشيرها بها في الدنيا.

ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(أتى جبريل - عليه السلام- فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب)** .[7]

ويعقب الإمام محمد أبو زهرة على هذا الحديث بقوله: **(إنها أقامت بيتا للنبي -صلى الله عليه وسلم- فيه الهدوء والبركة والأمن والسلام يلقى في خارجه غبار الصخب وعناء**

---

١) أحمد خليل جمعة: نساء أهل البيت، ص ٦٢ بتصرف.
٢) المرجع نفسه، ص ٧١ بتصرف يسير.
٣) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ج٣ ص١٨٤ .
٤) عبد الرزاق: المصنف، رقم الحديث: ٩٧١٨، كتاب المغازي، باب ما جاء في حفر زمزم، ج٥ ص٣٢٠، حديث مرسل، رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: إن أول ما ذكر من عبد المطلب . . .
٥) الفارسي: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ج٩ ص٧١
٦) أحمد خليل جمعة: نساء مبشرات بالجنة، ص ٢٩
٧) فتح الباري، كتاب مناقب الأنصار، باب (٢٠)، رقم الحديث: ٣٨٢٠ ، ج٧ ص٥١٢، ومسلم بشرح النووي ، كتاب فضائل الصحابة، باب (١١) رقم الحديث: ٢٤٣٢، ج ١٥ ص١٦٧

النصب، فكتب الله لها بيتا فيه الراحة التامة، وفيه الرونق، وفيه الجمال، فيلتقي فيه جمال المنظر بلطف الهدوء بعد اللغوب)[1].

ثانيا: فضائل أم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة – رضي الله تعالى عنها-:

انفردت السيدة سودة بنت زمعة – رضي الله تعالى عنها- بسمات خاصة ميزتها عن غيرها؛ فقد بكّرت بالدخول في الإسلام، مما جعلها تتفاعل مع الدين الجديد، حتى غدت تنطق بالحكمة وترى بعين البصيرة ما قد يكون، حتى إن الصديقة بنت الصديق –رضي الله عنها- تمنت أن تكون في مثل هديها وطريقتها، وصفاء نفسها وجودة قريحتها،[2] فقالت: **(ما رأيت امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها[3] من سودة بنت زمعة، من امرأة فيها حدة، فلما كبرت جعلت يومها من رسول الله –صلى الله عليه وسلم- لعائشة، قالت يا رسول الله: قد جعلت يومي منك لعائشة)**.[4]

هذا وقد تمتعت السيدة سودة برعاية بنات سيد البشرية –صلى الله عليه وسلم-؛ حيث أصبحت الأم الثانية لهن بعد وفاة السيدة خديجة –رضي الله عنها-.

تمكنت من هذه المهمة لما اتسمت به؛ من طيب، ولطف، ووداعة، وفكاهة، فيها الحق والصدق، تلك الفكاهة التي أضفت على البيت النبوي نوعا من الهدوء، والراحة النفسية، حيث كانت بخفة ظلها تهون عليه –صلى الله عليه وسلم- بعض ما يلاقيه. ومن ذلك قولها للرسول – صلى الله عليه وسلم-: **(صليت خلفك البارحة، فركعت بي حتى أمسكت أتقي مخافة أن يقطر دما)**[5].

وذلك يشير إلى أنها "كانت تضحكه الأحيان بالشيء".[6]مما يرشد إلى ما تنطوي عليه شخصيتها من أخلاق كريمة.

---

١) محمد أبو زهرة: خاتم النبيين، ج١، ص٢٩٠

٢) أحمد خليل جمعة: نساء أهل البيت، ص ٨١

٣) المسلاخ: هو النخلة التي ينتثر بُسْرُها وهو أخضر، انظر المعجم الوسيط، ج١، ص٤٤٤، وفي هذا التشبيه ما يشير إلى عرفان السيدة عائشة بفضل السيدة سودة – رضي الله تعالى عنها-.

٤) صحيح مسلم، بشرح النووي، كتاب الرضاع، باب (١٤) ، جواز هبتها نوبتها لضرتها، رقم الحديث: ١٤٦٣ ، ج١٠ ص٤٠

٥) ابن سعد: الطبقات، ج، ص٥٤، والإصابة ، ج٤، ص٣٣١

٦) ابن سعد: الطبقات، ج، ص٥٤، والإصابة ، ج٤، ص٣٣١

ثالثا: فضائل أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله تعالى عنها-:

انفردت السيدة عائشة –رضي الله عنها- بفضائل كثيرة، جعلتها تحتل مركز القيادة في الحب الزوجي النبوي؛ فقد تميزت بهذا الحب عن غيرها بدليل شواهد كثيرة؛ ومن ذلك، ما روي أنها (قالت: **دخل رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وأنا أبكي، فقال: (ما يبكيك؟) فقلت: سبتني فاطمة، فدعا فاطمة، فقال: (يا فاطمة! سببت عائشة؟ فقالت: نعم يا رسول الله، فقال: ألست تحبين من أحب؟ قالت: نعم، قال: وتبغضين من أبغض؟ قالت: بلى، قال: فإني أحب عائشة، فأحبيها، قالت فاطمة: لا أقول لعائشة شينا يؤذيها أبدا).**[1]

تلك الفضائل حازتها السيدة عائشة قبل أن تدخل البيت النبوي، وبعد أن دخلته، إكراما من رب العزة –جل وعلا-؛ فقد روي أنه: **(لما ماتت خديجة حزن عليها النبي –صلى الله عليه وسلم- فأتاه جبريل – عليه السلام- بعائشة في مهد[2]، فقال: يا رسول الله هذه تذهب بعض حزنك، وإن في هذه لخلفا من خديجة، ثم ردها، فكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يختلف إلى بيت أبي بكر ويقول: يا أم رومان، استوصي بعائشة خيرا، واحفظيني فيها. . .)**[3]

" وتدخل السيدة عائشة بعد ذلك البيت النبوي، لتبدأ حياتها مع سيد البشرية بمرح الطفولة وبراءتها، ولكن لم تطل هذه المدة، فسرعان ما أحست بمكانتها بعد أن صارت أما للمؤمنين، وعرفت أن لهذه الأمومة ضريبتها، فاقتربت من رسول الله –صلى الله عليه وسلم- تسمع منه، وتحفظ عنه، تعي، وتستفسر عما غمض، وتشرح للنساء ما يستحي رسول الله –صلى الله عليه وسلم- من توضيحه، وبيانه، حتى صارت أكثر أمهات المؤمنين رواية للحديث".[4]

وقد تفوقت –رضي الله عنها- في البلاغة والفصاحة، ولا ريب، فقد " أسست على أساس متين من الفصاحة في البيت البكري، الذي اشتهر فيه أبوبكر الصديق –رضي الله عنه- بفصاحته ومعرفته الأنساب وأيام الناس، ثم انتقلت من بيت أبيها إلى كنف الرسول –صلى الله عليه وسلم- وصُنعت على عينه، فغدت تتأدب بأدبه، وترد موارد البيان القرآني تنهل منه،

---

١) الهيثمي: مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٤٤، وقال رواه أبو يعلى والبزار باختصار، وفيه مجالد وهو حسن الحديث، وبقية رجاله رجال الصحيح.

٢) وفي رواية أخرى أن الرسول –صلى الله عليه وسلم- قال: (أريتك في المنام ثلاث ليال. .) انظر صحيح البخاري، مناقب الأنصار ٣٨٩٥ باب (٤٤) باب تزويج النبي – صلى الله عليه وسلم- عائشة، ج٧ ص٦٢٧

٣) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ج٤ ، ص٥

٤) عبد الصبور شاهين: موسوعة أمهات المؤمنين، ص ٩٩،١٠٠، بتصرف يسير.

وتَعُبّ عَبّاً؛ حتى أضحت كلماتها فيضا من نور النبوة".[1]، "وجمعت من العلم والفضل والبيان ما جعلها تخلف في التاريخ دويّا تتناقل أصداءه العصور، فهذه آثارها تدرس في كليات الآداب، كما تدرس أبلغ النصوص الأدبية، وهذه فتاواها تقرأ في كليات الدين، وهذه أعمالها الكاملة مجال بحث لكل مدرس لتاريخ العرب والمسلمين".[2]

وقد أثنى الرسول -صلى الله عليه وسلم- عليها بقوله: (**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**)[3]، ولا ريب؛ فهي التي أكرمها الخالق – سبحانه- بميزة عكست ذلك الفضل؛ وتخبر السيدة عائشة عن تلك الميزة فتقول: (**رأيتك يا رسول الله واضعا يدك على مَعْرَفَةِ فرس وأنت قائم تكلم دحية الكلبي، قال: (أو قد رأيته؟) قالت: نعم، قال: (فإنه جبريل وهو يقرئك السلام)** ، **قالت: وعليه السلام ورحمة الله، وجزاه الله خيرا من زائر ومن دخيل فنعم الصاحب، ونعم الدخيل**).[4]

ولا عجب بعد ذلك كله أن تحظى بمحبة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وهذا ما كان يعلمه الناس آنذاك، لذا فقد كانوا يتحرّون[5] بهداياهم للرسول -صلى الله عليه وسلم- يوم عائشة.

ورد عن هشام،[6] **عن أبيه قال: (كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة، فقالوا: يا أم سلمة إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد من الخير كما تريد عائشة، فمري رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ما كان، أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذلك، فأعرض عني، فلما كان في الثالثة، ذكرت له ذلك، فقال: (يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها)**.[7]

وقد يظن القارئ غير المنصف؛ أن في ذلك تحيزا وميلا للسيدة عائشة -رضي الله عنها-؛ والحق أن ما قاله – صلى الله عليه وسلم- كان جوابا شافيا؛ فإنزال الوحي على قلبه

---

١) أحمد خليل جمعة: نساء أهل البيت، ص١٥٧ بتصرف يسير.

٢) الشلبي: نساء حول الرسول -صلى الله عليه وسلم- والرد على مفتريات المستشرقين، ص ٥٥، ٥٦

٣) فتح الباري، كتاب فضائل الصحابة، باب ٣٠ ، فضل عائشة رقم الحديث ٣٧٦٩، ج٧ ص٤٧٨.

٤) مسند الحميدي ، رقم الحديث: ٢٧٧ ، ج١ ، ص١٣٣، ومسند أحمد ج٦ ص١٤٦، وإسناده حسن، انظر المسند للإمام أحمد بشرح حمزة الزين، ج١٧ ص٥٢٢

٥) يتحرون: فلان يتحرى الأمر أي يتوخاه، ويقصده، والتحري: قصد الأولىوالأحق. انظر لسان العرب، ج١٤، ص١٧٣

٦) هشام هو: هشام بن عروة بن الزبير بن العوام. قال عنه محمد بن سعد في طبقاته (ج٧، ص٣١): كان ثقة، ثبتا، كثير الحديث، حجة. توفي سنة سبع وأربعين ومائة. انظر تهذيب الكمال، ج٣٠ ، ص: ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٤١

٧) فتح الباري، كتاب فضائل أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم-، باب (٣) فضل عائشة، رضي الله عنها، رقم الحديث: ٣٧٧٥، ج٧، ص٣٧٩

– صلى الله عليه وسلم– وهو في لحافها، دليل ساطع على هذه المنزلة الرفيعة لأم المؤمنين، السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–

وهذا إلى جانب الكرامات والبركات الأخرى، التي أكرم الخالق – عز وجل– بها هذه السيدة العظيمة؛ ومن ذلك رخصة التيمم التي تنزلت بسببها؛ فقد خرجت مع الرسول –صلى الله عليه وسلم– في بعض أسفاره، وفي الطريق نزلوا في مكان اسمه البيداء أو ذات الجيش، فانقطع عقدها، فأقام الرسول – صلى الله عليه وسلم– على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، ولم يكن في ذلك المكان ماء، فجعل أبو بكر الصديق يؤنبها، ويلومها؛ لما كانت السبب في بقاء الناس في ذلك المكان، ولكن لومه –رضي الله عنه– لم يدم؛ فما هي إلا ليلة نامها الناس وأصبحوا على غير ماء، فأنزل –سبحانه وتعالى– آية التيمم، ففرح المسلمون بذلك أشد الفرح، وتيمموا مع الرسول –صلى الله عليه وسلم–.[1]

وقد عبّر أسيد بن حضير[2] – رضي الله تعالى عنه– عن هذه البركة؛ فقال: **(ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر).**[3]

وكل ماسبق من فضائل، عددتها السيدة عائشة –رضي الله عنها– في قولها :

(لقد أعطيت تسعا، ما أعطيتها امرأة إلا مريم بنت عمران؛ لقد نزل جبريل بصورتي في راحته، حتى أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرا، وما تزوج بكرا غيري، ولقد قبض ورأسه لفي حجري، ولقد قبرته في بيتي، ولقد حفت الملائكة بيتي، وإن كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله، فيتفرقون عنه، وإن كان لينزل وإني لمعه في لحافه، وإني لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خلقت طيبة وعند طيب، ولقد وُعدت مغفرة ورزقا كريما).[4]

---

١) ورد الحديث عن السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها– في فتح الباري، كتاب التيمم، باب (١) رقم الحديث: ٣٣٤، ج١ ص٥٧٣

٢) هو أسيد بن حضير بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن عبد الأشهل الأنصاري، صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وأحد النقباء ليلة العقبة، شهد الخابية مع عمر بن الخطاب ، فيما ذكره الواقدي، وشهد معه فتح بيت المقدس، توفي سنة عشرين للهجرة. انظر تهذيب الكمال، ج٣، ص٢٤٦، ٢٥٢

٣) فتح الباري، كتاب التيمم، باب (١)، رقم الحديث: ٣٣٤

٤) مسند أبي يعلى الموصلي، رقم الحديث: ٤٦٢٦، ومجمع الزوائد للهيثمي، ج٩، ص٢٤٤

رابعا: فضائل أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما-:

انفردت السيدة حفصة –رضي الله عنها- بفضائل، أهلتها لتكون واحدة من اللواتي نلن كرامة الدنيا والآخرة، وسعدن برفقة خاتم الأنبياء والمرسلين – صلى الله عليه وسلم-.

فقد اختصها المولى – عز وجل- بتنزل جبريل –عليه السلام- ليكرمها بوصف كانت – رضي الله عنها- جديرة به، وذلك عندما طلقها الرسول –صلى الله عليه وسلم- لحكمة شاءها المولى –سبحانه-، ولكن ما لبث –عليه الصلاة والسلام- حتى أتاه جبريل–عليه السلام- وقال له: **(راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة)**.[1]

وتلك الصوامة القوامة، اختصها ربها –جل وعلا-" بشرف الائتمان على دستور الأمة وكتابها الأول، ومعجزته الخالدة، ومصدر شريعته الراشدة وعقيدته الواحدة".[2]، فقد احتفظت – رضي الله عنها- بالمصحف الشريف الذي تم جمعه على عهد سيدنا أبو بكر الصديق –رضي الله عنه-. وفي عهد سيدنا عثمان –رضي الله عنه- أخذه لنسخه على لغة قريش، وأرجعه إليها، لعلمه بأنها أهل لذلك.

خامسا: فضائل أم المؤمنين السيدة أم سلمة بنت أبي أمية – رضي الله تعالى عنها-:

والسيدة أم سلمة – رضي الله عنها- حازت من السمات الطيبة ما اختصت به عن غيرها؛ فقد كانت من السابقات إلى الإسلام، ومن المهاجرات الأوَل إلى الحبشة[3]. كما تميزت بأن كانت إحدى ثلاث من زوجات الرسول –صلى الله عليه وسلم- اللواتي يتنزل القرآن في بيوتهن، وهن: (السيدة خديجة، والسيدة عائشة، والسيدة أم سلمة).[4]- رضوان الله تعالى عنهن-.

وقد كانت ذات "جمال وإباء وفطنة".[5] كما كانت تملك قدرا من الملكات والقدرات في موازنة الأمور، وسعة الأفق والخبرة، مما جعل أمهات المؤمنين يتحاكمن إليها.[6]

---

١) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ج٤ ص١٥، وقال الذهبي أخرجه النسائي ٦/١٣، وإسناده صحيح.

٢) الشلبي: نساء حول الرسول –صلى الله عليه وسلم- والرد علىمفتريات المستشرقين، ص ٦٦

٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص ٣٤٩) بتصرف.

٤) محمد مبيض: موسوعة حياة الصحابيات، ص ٧٥٦

٥) الشلبي: نساء حول الرسول –صلى الله عليه وسلم- ص ٦٩

٦) ابن العماد: شذرات الذهب، ج١ ، ص ٧٠ بتصرف يسير .

ومما يؤكد ذلك سرعة بديهتها، ووعيها للمشكلة التي نتجت عن شروط صلح الحديبية، والتي غاب فيها عن أذهان المسلمين أن من وافق على تلك الشروط؛ هو من قال عنه المولى – جل وعلا-: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى- إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾.[1]

لقد وعت أن المسلمين في حالة ذهول قد يعيق مسألة السمع والطاعة لمن عاهدوه على السمع والطاعة، لذا ذكّرت الرسول – صلى الله عليه وسلم- بأسلوب القدوة التي تؤثر في الآخرين أكثر من تأثير الأمر أحيانا. فقالت: (**يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرج ، ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنتك، وتدعو حالقك فيحلقك**).[2] ففعل –عليه الصلاة والسلام- ما أشارت به، فما كان من المسلمين حينئذ إلا أن سارعوا بالامتثال والطاعة.

مما يدل على وعيها أن لسان الحال أصدق من لسان المقال، وأن أثر التطبيق في سلوك الداعي، يعزز قوله، ويؤيد إرادته في الإصلاح، والتوجيه.

سادسا: فضائل أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش – رضي الله تعالى عنها-:

حظيت السيدة زينب – رضي الله تعالى عنها- بفضل كبير، تجلى في شهادة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- لها بالتفوق في العطاء والصدقة، وذلك في قوله لأمهات المؤمنين إذا اجتمع بهن: (**أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا**)[3]. وبعد وفاته –عليه الصلاة والسلام- كن إذ اجتمعن، مددن أيديهن جيدا، رجاء نوال الأولوية في اللحاق به،[4] ولكن هذا الفهم الخطأ لقوله سرعان ما تلاشى عندما توفيت السيدة زينب بنت جحش، فعلمن أنه –صلى الله عليه وسلم- أراد بطول اليد الجود وكثرة الصدقة، ومما أكد لهن ذلك؛ علمهن بتقواها، وجودها، وسخائها؛ مما تكسبه من عمل يدها[5]، وقد شهدن لها بذلك، فعن أم سلمة –رضي الله عنها-، قالت: (. . . **كانت امرأة صالحة صوامة قوامة صنعا**[6] **تتصدق بذلك كله على المساكين**)[7]- وتعني بقولها هذا زينب بنت جحش – رضي الله تعالى عنها-.

---

١) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤

٢) فتح الباري، كتاب الشروط ، باب (١٥)، الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، رقم الحديث: ٢٧٣٢، ج٥ ص٦٧٥

٣) صحيح مسلم، بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب(١٧)، من فضائل زينب أم المؤمنين رقم الحديث: ٢٤٥٢،ج١٦ص٨

٤) تقول السيدة عائشة –رضي الله عنها- بعد ذكرها قول الرسول –صلى الله عليه وسلم-: (. . . فكنّ يتطاولن أيتهن أطول يدا، فكانت أطولنا يدا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق).

٥) الأصفهاني: حلية الأولياء، ج٢ ص ٦٥ بتصرف.

٦) الصناعة حرفة الصانع، وامرأة صناع اليد أي حاذقة ماهرة بعمل اليدين. انظر لسان العرب، ج٨، ص٢٠٩

٧) جزء من حديث لأم سلمة –رضي الله عنها- روي في الطبقات، ج٨، ص١٠٣ ، وفي كتاب الإصابة: ج٤ ، ص٣١٣

وورد أنها – رضي الله تعالى عنها- ما تركت درهما ولا دينارا، فقد كانت تصدق بكل ما قدرت عليه، مما جعلها مأوى المساكين [1]

وقد نالت إلى جانب شرف زواجها برسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ شرفا أعظم من ذلك؛ ألا وهو أن الذي زوّجها هو الله – سبحانه- والشاهد على ذلك الزواج هو جبريل -عليه السلام-، لذا كانت، تفخر بذلك على أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم-، وتقول: **(زوجكن أهاليكن، وزوجني الله – تعالى – من فوق سبع سماوات)**[2]، كما خلّد -سبحانه وتعالى- هذه الفضيلة في كتابه العزيز في قوله: ﴿ **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا** ﴾.[3]

وشهدت لها السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- بالتقوى، والورع، والمعروف، وكانت تلك الشهادة في معرض حديث السيدة عائشة عن حادثة الإفك، التي اتهمت فيها بالفاحشة، زورا وبهتانا. وقد خاض بعض المسلمين في ذلك الاتهام، أما السيدة زينب فقد حَمَتْ نفسها من التفوه بكلمة واحدة في السيدة عائشة لعلمها بطهارتها وكرم أخلاقها، وهنا شهدت السيدة عائشة لها قائلة: **(وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقالت: (أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيرا)، وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- فعصمها الله بالورع)**.[4]

وعندما توفيت السيدة زينب بنت جحش، أثنت عليها السيدة عائشة بما اتسمت به من سمات كريمة، فقالت: **(لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل)**[5].

وهذه الصفات الكريمة تدعونا إلى التساؤل: أليس هذا السلوك الحميد، أنموذجا تربويا رائدا، للنساء المسلمات في عصرنا، ليفخرن بأمهاتهن المؤمنات، على كثير من رموز العطاء، التي تسمى الأم تريزا. . وغيرها!!

---

١) ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص ١١٤، بتصرف.
٢) فتح الباري، كتاب التوحيد، باب (٢٢)، وكان عرشه على الماء، وهو رب العرش العظيم، رقم الحديث: ٧٤٢٠، ج١٥ ص٣٦١
٣) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٣٧
٤) جزء من حديث في حادثة الإفك، فتح الباري، كتاب الشهادات، باب (١٥) تعديل النساء بعضهن بعضا ، رقم الحديث: ٢٦٦١ ، ج٥، ص٦٠١، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب التوبة، باب (١٠) في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، رقم الحديث: ٢٧٧٠، ج١٧، ص٨٧
٥) ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص١١٠

سابعا: فضائل أم المؤمنين السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان – رضي الله تعالى عنها-:

برز فضل السيدة رملة بنت أبي سفيان – رضي الله تعالى عنها-، في ثباتها على الحق في دار الغربة؛ فقد هاجرت وزوجها مع من هاجر من المسلمين إلى الحبشة فرارا بدينهم. وهناك ضل زوجها وتبدلت حاله، واغتر بدين النصارى، وظن أنه خير من دينه، فارتد عن الإسلام، وطلب منها هي الأخرى أن تتبعه، ومات على نصرانيته – والعياذ بالله-، أما أم حبيبة فقد ثبتت وصبرت على تخليه عنها، ولم تفتتن في دينها، فقد كانت ذات إيمان راسخ، وعقل واع، وتدبير حكيم، وأيقنت أن الله – تعالى- حكيم في إرادته وقدره. ومما زادها يقينا بذلك ما أكرمها – سبحانه- به من رؤيا طيبة تحمل البشرى لها.

تقول – رضي الله تعالى عنها-: (. . **فأريت قائلا يقول: يا أم المؤمنين. ففزعت، فأولتها أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يتزوجني . .**)[1] فكان ذلك مما أذهب همها، وكربها. وقد تحققت الرؤيا بإرسال الرسول –صلى الله عليه وسلم- إليها من يعرض عليها الزواج منه. فتزوجته وهدأت نفسها، واطمأن قلبها.

ومن خلال هذه الحادثة يستشف الشيخ محمد متولي الشعراوي – رحمه الله-، الفاصل الدقيق في هجرتها مع زوجها، فيقول: (**أثبتت –أي بثباتها على الإسلام- أنها لم تذهب إلى الهجرة تبعا لزوجها، فلو تبعت زوجها، لتنصرت كما تنصر الزوج**).[2]

إذن فقد كانت هجرتها للحبشة، امتثالا، وطاعة لأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ، وحبا لهذا الدين العظيم، ورغبة في الثبات عليه.

وفي هذا الثبات عظة وعبرة، تأخذ بيد المرأة المسلمة المعاصرة، لتثبت أمام العواصف الهوجاء، ولتتحمل كل ما تواجهه من دعوات طاغية.

وإلى جانب ذلك الفضل الكبير، يعدد الإمام الذهبي في كتابه الطيب سير أعلام النبلاء، فضائل السيدة أم حبيبة فيقول: (هي من بنات عم الرسول – صلى الله عليه وسلم-، ليس في أزواجه من هي أقرب نساء إليه منها، ولا في نسائه من هي أكثر صداقا منها، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها).[3] وكفى بذلك فضلا وشرفا.

---

١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢ ، ص ٢٢١

٢) الشعراوي: سيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم- دروس وعبر، ص ١٦٨

٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣ ، ص ٤٨٤

ثامنا: فضائل أم المؤمنين السيدة جويرية بنت الحارث – رضي الله تعالى عنها-:

حظيت السيدة جويرية بشهادة السيدة عائشة – رضي الله عنهما- بالبركة؛ وذلك عندما سبيت السيدة جويرية مع غيرها من سبايا قومها، في غزوة بني المصطلق.

وقد كان السبي في عرف الجاهلية؛ يعني الذل والهوان، ولكنه ليس كذلك في حكم الإسلام؛ حيث كان ذلك السبي بداية للحياة الكريمة التي نعمت بها فيما بعد، وتنعم بها عند خالقها –عز وجل- في الآخرة.

شاء الخالق – سبحانه- أن تكون هذه السيدة الكريمة، زوجا لرسوله – صلى الله عليه وسلم- فكان ذلك الزواج فرجا لأسرى قومها.

فعندما علم المسلمون أن الرسول – صلى الله عليه وسلم- تزوج السيدة جويرية، أطلقوا من بأيديهم من الأسرى كرامة لزوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم-.

وفي ذلك تقول السيدة عائشة: **(فما رأينا امرأة أعظم بركة على قومها منها، فلقد أعتق الله في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق)**.[1]

وفي هذه البركة ما يشير إلى ما كانت تكنه السيدة جويرية من رغبة شديدة لاتباع دعوة الرسول – صلى الله عليه وسلم- ودخول الإسلام. وذلك ما دلّ عليه قولها عندما سبيت: **(فلما سبينا رجوت الرؤيا)**.

فقد رأت رؤيا، بُشّرت من خلالها بالشرف العظيم المعدّ لها، مما جعلها ترجو ذلك الشرف، وتتمنى حدوثه، فكوفئت بالبركة العظيمة التي تجلت في زواجها بالرسول – صلى الله عليه وسلم-، وفي عتق مائة من أسرى قومها.

تقول – رضي الله تعالى عنها-: **(رأيت قبل قدوم النبي -صلى الله عليه وسلم-بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري، فكرهت أن أخبر به أحدا من الناس، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم-، فلما سُبينا رجوت الرؤيا)**[2]

تاسعا: فضائل أم المؤمنين السيدة صفية بنت حيي أخطب- رضي الله تعالى عنها-

أما السيدة صفية – رضي الله تعالى عنها- فقد انفردت بفضيلة وشرف عظيم، لم يوازها فيه أحد، فهي من ذرية هارون – عليه السلام-؛ وذلك يعني أنها حازت شرف الانتساب إلى

---

١) سنن أبي داوود، كتاب العتق، باب ٢، بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة، رقم الحديث ٣٩٣١، ج٢ ص٤١٥

٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ج٤، ص١٦١

أنبياء الله – تعالى – من بني إسرئيل، كما حازت شرف الزواج برسول الله – صلى الله عليه وسلم-.

وتلك الفضيلة العظيمة، لم تغب عن علم رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، بينما لم تدركها السيدة حفصة التي عيّرتها – وذلك من باب الغيرة بالطبع- بأنها يهودية[1]، فآلم ذلك السيدة صفية، فاشتكت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فقال لها: **(إنك لبنت نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك)** ثم قال: **(اتق الله ياحفصة)**[2].

واتصفت السيدة صفية بصفات طيبة ذكرها الذهبي بقوله: **(كانت شريفة عاقلة، ذات حسب، وجمال، ودين – رضي الله عنها-)**.[3]

ومما يرشد إلى حقيقة هذه الصفات، ثباتها، وقوة تحملها لمشهد لا تتحمله المرأة عادة؛ وذلك عندما مر بها بلال أمام قتلى قومها، ورأتهم، فلم تجزع، ولم تصرخ، بينما تولت ذلك بنت عمها التي كانت معها، حيث فقدت عقلها، وأخذت تحثو التراب على رأسها وتلطم وجهها[4].

عاشرا: فضائل أم المؤمنين السيدة ميمونة بنت الحارث – رضي الله تعالى عنها-:

السيدة ميمونة – رضي الله تعالى عنها-، هي آخر من تزوج الرسول – صلى الله عليه وسلم-.

وقد تميزت بصفات كريمة طيبة، ذكرتها السيدة عائشة – رضي الله عنها- بصيغة التفضيل؛ ليتضح من خلالها علو شأن السيدة ميمونة في تلك الصفات، وزيادة رصيدها منها.

قالت السيدة عائشة بعد وفاة السيدة ميمونة: **(ذهبت والله ميمونة، . . . أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم)**[5].

ومما يشير إلى تقواها أن أوصت بأن تدفن في المكان الذي بنى الرسول – صلى الله عليه وسلم- بها فيه؛ – وهو (سَرِف)-، وذلك ليقينها من صحة ما أخبرها به الرسول – عليه الصلاة والسلام-، وهو أنها لن تدفن في المدينة؛ فأوصت بذلك ابن عباس؛ يقول يزيد بن الأصم[6]: (**دفنا ميمونة بسَرِف في الظلة التي بنى بها فيها رسول الله – صلى الله عليه**

---

١) كانت – رضوان الله تعالى عنها- يهودية النسب، ولم تكن يهودية الدين، فقد أسلمت، وحسن أسلامها.
٢) سنن الترمذي ، كتاب المناقب، باب (٦٤)، فضل أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم-، رقم الحديث: ٣٨٩٤ ، ج٥، ص٦٦٦ ، وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.
٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٢٣٢
٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص٣٣٦ بتصرف.
٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء٢/٢٤٤ ، وطبقات ابن سعد ، ج٨ ، ص١٣٨
٦) يزيد بن الأصم بن عبيد ، أمه بُرزَة بنت الحارث، أخت ميمونة بنت الحارث، زوج النبي – صلى الله عليه وسلم-. تهذيب الكمال، ج٣٢ ، ص٨٣

وسلم-، . .)،[1] وقد " توفيت بمكة، فحملت على الأعناق بأمر ابن عباس إلى سَرِف، وقال: **(ارفقوا بها؛ فإنها أمكم)**.[2]

والتقوى التي تتملك كيان المسلم، هي التي تأخذ بيده إلى طريق الخير والرضوان. وتلك منزلتها، التي حظيت بها، فشهدت لها بها السيدة عائشة.

وشهادتها- رضي الله تعالى عنها- تدعونا إلى تحليل حقيقة هذا القول، للتوصل إلى كرم الأخلاق، ومحاسن الصفات التي تحلت بها أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-.

فقد وصفت السيدة عائشة ضرتها، وفضلتها على نفسها، وبهذا الأسلوب تصف غيرها أيضا من أمهات المؤمنين، وتقر بأفضليتهن على نفسها، ولكن إذا بحثنا عن الحقيقة وجدنا فضلها قد سبق فضائلهن، بشهادة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لها بذلك في قوله: **(فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)**.[3]

وتعليل ذلك واضح، وهو أن أمهات المؤمنين كلهن اتصفن بصفات التواضع والسير على خطى الإنسان الكامل – صلى الله عليه وسلم- الذي علمهن حقيقة التفاضل في الإسلام، وأرشدهن إلى المحبة الأخوية، والإيثار، والتسامح، فكانت الواحدة منهن، تنظر للأخرى بعين الإجلال، والإكبار، والاحترام، – وإن صدر من بعضهن شئ من الإيذاء لبعضهن الآخر- فليس ذلك إلا مما هو نابع من طبيعة المرأة التي جبلت على الغيرة، حيث لم تكن تلك الأفعال نتيجة مشاحنات أو حقد أو غل مطلقا، أجلهن الله عن ذلك.

وخلاصة القول؛ أن ما ذكرته الباحثة من الفضائل، ما هو إلا غيض من فيض، مما تحلين به من فضائل وسمات كريمة – رضي الله تعالى عنهن-.

وهذا البحث، بحث وجيز، لا يستوعب حصر تلك الفضائل . وما اقتصرت عليه الباحثة إنما هو إشارة ترشد إلى مصدر متين من مصادر التربية الإسلامية، ذلك المصدر هو أمهات المؤمنين وما أثر عنهن من أقوال، وأفعال، ومواقف؛ ترشد إلى السلوك الحميد للحياة الكريمة.

---

١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢ ، ص٢٤٥
٢) المرجع نفسه ج٢، ص٢٤٥
٣) سبق تخريجه. انظر ص٣٨

المبحث الثالث
الزواج النبوى وعلاقته بالتربية

- المطلب الأول: اختيار الزوجة على أساس الدين والشرف

- المطلب الثاني: الحكمة من تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم

- الحكمة التشريعية

- الحكمة التعليمية

- الحكمة الاجتماعية

- الحكمة الدعوية

لا شك أن البناء الأسري له أثره في تكوين معالم الأسرة، وسماتها، ومميزاتها، حيث يتم التأثير والتأثر المتبادل بين أفراد الأسرة الواحدة، مما يؤدي إلى أن يسلك أفراد تلك الأسرة مسلكا له خصائصه، وسماته، ومميزاته، واتجاهاته. وإذا تمتع أفراد الأسرة أو أحد أفرادها بالثقافة التربوية السليمة، التي تقوم على أسس متينة؛ بحيث يمتلك الفرد من خلالها الأساليب التربوية التي تعينه علي صقل أفراد الأسرة وجعلهم في القالب الصحيح الذي يرتئيه ، فيما يضعه لهم من خطوات مدروسة؛ فإن ذلك لابد وأن يكون له أثره الكبير في معالم شخصية كل فرد من أفراد تلك الأسرة.

وهذه الحقيقة، تفسر ما امتازت به تلك الأسرة الكريمة، التي قامت في بيت النبوة، وتمثلت في الرسول – صلى الله عليه وسلم- وأزواجه الفاضلات؛ حيث كان ارتباطهن به – عليه الصلاة والسلام- ذا أثر كبير في تنشئة مربيات عالمات عاملات، تجلى فيهن " الفهم الحقيقي للإسلام، والتطبيق العملي السلوكي لكل فضائله السامية، وآدابه الرفيعة، كما تجلى فيهن الالتزام الكامل بمناهج الشريعة، ومبادئها الخالدة"[1]؛ فكان لهن أثرهن الكبير في التربية الإسلامية، التي استقينها من كتاب الله العزيز، ومن سنة النبي – صلى الله عليه وسلم-، وهما الوحيان المعصومان.

وإن كان " الإسلام يعالج تربية الأفراد من خلال تكوين الخلية الأولى للأسرة بالزواج"[2]، فإنه قد عالج تربية الأمم والمجتمعات، من خلال الزواج النبوي، الذي تعددت فيه الزوجات، لتكتمل بهن التربية الإسلامية؛ بما تحملنه، وبلّغنه، وعلّمنه، من علوم استقينها من بيت النبوة خاصة؛ حيث لم يكن لغيرهن من المسلمين حظ في الإطلاع عليها، وهي تلك العلوم المتعلقة بالعلاقة الزوجية، وأمور النساء، وغيرها من الأمور الفقهية التي كن يستفسرن عنها النبي – صلى الله عليه وسلم-، فيشرحها لهن، ويعلمهن تفاصيلها، وذلك ما يفسر تردد أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم- ، عليهن للإستيضاح والتعلم.

وقد سمت هذه الأسرة بمن فيها من زوجات كريمات، اختارهن الخالق – جل وعلا- لرسوله الكريم – صلوات الله تعالى وسلامه عليه-، من أصول طيبة عريقة، وأرومة كريمة شريفة، فكان ذلك الاختيار، هو الطريق الذي سار على هديه الرسول – صلى الله عليه وسلم-، فانتقى أولئك الزوجات في ظروف كشفت له عن صدق إيمانهن، وطيب منابتهن، وشرف أصولهن، فلم يتردد – عليه الصلاة والسلام- في اختيارهن زوجات له.

---

١) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، ج١، ص٣٣ ، بتصرف
٢) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، ج١ ، ص٤٣

وذلك إلى جانب الظروف والدواعي المختلفة، التي دعته إلى الزواج بهن – رضوان الله تعالى عنهن–؛ تلك الدواعي التي تمثلت في الحكمة من التعدد. وهو ما تكفلت الباحثة ببيانه.

وفي المطلبين الآتيين من هذا المبحث، ستتحدث الباحثة بإيجاز، عما يتعلق باختيار زوجاته – عليه الصلاة والسلام–، ويتعلق أيضا بالحكمة من التعدد.

المطلب الأول: اختيار الزوجة على أساس الدين والشرف

يعد اختيار الزوجة على أساس الدين و الشرف، من الأمور المهمة التي حث الرسول -صلى الله عليه وسلم-، عليها. وتنبع هذه الأهمية من الدور المهم، الذي تقوم به الأسرة في تنشئة الأجيال، وما لهذه التنشئة من ضرورة بالغة، وإصلاح للمجتمعات.

وفي ذلك يقول - عليه الصلاة والسلام-: **(تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم)**[1].

وقد كان - عليه الصلاة والسلام- قدوة المسلمين في هذا الجانب؛ حيث كانت أزواجه الطاهرات، ذوات أصول منيفة، ومنابت شريفة، وكان بعضهن قد دخلن الإسلام، وتحلين بالإيمان انراسخ قبل أن ينلن شرف الزواج من رسول - صلى الله عليه وسلم- على خلاف الأخريات اللواتي ارتبط إسلامهن بالزواج منه - عليه الصلاة والسلام-.

وإذا استثنينا السيدة خديجة - رضي الله تعالى عنها-، وجدناها يوم تزوجها الرسول - صلى الله عليه وسلم- لاتعرف الإسلام؛ -لأنه لم يبعث بعد-، إلا أنها حازت الشرف العظيم في السبق إليه، والبذل له، والدفاع في سبيله، وواجهت العناء الشديد، وتحملت أشق مراحل الدعوة، وقد سبق ذكر ذلك في فضائلها.[2] وكفى بذلك دليلا وشاهدا على متانة عقيدتها، وصلابة إيمانها، مما جعلها أهلا لأن تكون زوجا لسيد البشرية - صلى الله عليه وسلم-.

أما أهليتها للزواج برسول الله صلى الله عليه وسلم، فبسبب علوّ نسبها، وشرفها في قومها، فقد كانت -رضي الله تعالى عنها- من" أوسط[3] قريش نسبا، وأعظمهم شرفا، وأكثرهم مالا، وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك". وهي ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشية الأسدية.[4] تلتقي في نسبها مع النبي - صلى الله عليه وسلم- في جدها الثالث، وهو قصي بن كلاب.

---

١) رواه ابن ماجة، كتاب النكاح، باب الأكفاء، رقم الحديث: ١٩٦٨، ج١، ص٦٣٢. قال الألباني:حديث حسن. صحيح سنن ابن ماجة، ج١ ص ٣٣٣

٢) انظر ص٣٣

٣) أوسط قريش نسبا: أي أوسط القبيلة، والمراد أعرقها ، وأولاها للصميم، وأبعدها من الأطراف، لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب، فكان الوسط من أجل هذا مدحا في النسب (انظر سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٢ ص٢٢٦)

٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣ ص٤١٩

وكذلك السيدة سودة – رضي الله عنها–، كانت ذات دين ونسب شريف في قومها؛ فهي سودة بنت زمعة القرشية العامرية[1]، وقد "عرفت بأنها من ذوات السيادة، والنبل والشرف في مجمع النساء".[2]

وهي من السابقات إلى الإسلام؛ فقد كانت "ضمن النفر الثمانية من بني عامر الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم، وركبوا أهوال البحر، راضين بما هو أقسى من الموت، من أجل النجاة بدينهم، وقد اشتد عليهم العذاب لردهم إلى الضلال والشرك"[3].

وتثني السيدة خولة بنت حكيم، على السيدة سودة – رضي الله تعالى عنهما– عندما أشارت على الرسول – صلى الله عليه وسلم–، الزواج منها، بقولها: **(قد آمنت بك، واتبعتك على ما تقول).**[4]

وكذلك السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، التي حازت الذروة في الدين والشرف، فهي بنت أبي بكر الصديق، عبدالله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي[5]. وهذا النسب يلتقي بنسب الرسول –صلى الله عليه وسلم– في مرة بن كعب بن لؤي، مما يبين أصالة هذه الأسرة وشرفها.

وإلى جانب ذلك؛ فإن زواج السيدة عائشة من الرسول –صلى الله عليه وسلم– كان "على أساس بشارة إلهية، من الخالق – سبحانه وتعالى–"[6]؛ فحينما توفيت السيدة خديجة وجد الرسول – صلى الله عليه وسلم– وجدا شديدا، حتى خشي عليه، فأراد الله – تعالى – أن يواسيه، وأن يعوضه عنها، فأراه في المنام جبريل حاملا قطعة حرير خضراء، فيها السيدة عائشة؛ يقول –عليه الصلاة والسلام–: **(أريتك في المنام، مرتين إذا رجل يحملك في سَرَقَة[7] حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشفها، فإذا هي أنت، فأقول: إن يكن هذا من عند الله يُمْضِه).**[8]

أما دينها، فقد تربت في حضن نبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم–، ونهلت منه – عليه الصلاة والسلام–، مما لا يعادلها فيه أحد، فقد "روت حوالي ألف حديث نبوي،[9] أوضحت فيها كثيرا من مسائل العبادات، والحدود، والأحكام الإسلامية، ولها الكثير من الفتاوى الفقهية

---

١) ابن الأثير: أسد الغابة، ٤٨٤/٥، بتصرف
٢) أحمد خليل جمعة: نساء أهل البيت، ص٧٨
٣) الشلبي: نساء حول الرسول – صلى الله عليه وسلم– والرد على مفتريات المستشرقين، ص٤٩
٤) ابن حجر العسقلاني: الإصابة ، ج٤ ، ص٣٥٩
٥) ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص٥٨
٦) أبو السعود بدر: تفسير أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها–، ص٢٤
٧) السّرق: هو شقاق الحرير، وقيل هو أجوده، وواحدته : سرقة. وسرقة من حرير: أي قطعة من جيد الحرير. انظر لسان العرب، ج١٠، ص١٥٦، ١٥٧
٨) فتح الباري، كتاب النكاح، باب ٩، نكاح الأبكار، ج١٠، ص١٥١، حديث ٥٠٧٨، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب ١٣ فضائل عائشة – رضي الله عنها– رقم الحديث ٢٤٣٨، ج١٥ ص١٧٠
٩) ذكر الدكتور عبد الله أبو السعود هذا العدد خلافا لما ذكره ابن الجوزي، وهو ٢٢١٠ أحاديث، وذكر أسباب ذلك في ثلاث نقاط. انظر كتاب تفسير أم المؤمنين ، الدكتور عبد الله أبو السعود بدر، ص٨٤

التي اجتهدت فيها. كما استدركت على كبار الصحابة؛ كثيرا من الأحاديث والمفاهيم الفقهية، حتى أفرد الإمام الزركشي كتابا عنها في ذلك*.[1]،[2]

ومما قاله محقق ذلك الكتاب[3] عنها – رضوان الله تعالى عنها-: (**وأخصّ ما يبهرك فيها، علم زاخر كالبحر بعد غور، وتلاطم أمواج، وسعة آفاق، واختلاف ألوان، فما شئت إذ ذاك من تمكّن في فقه، أو حديث، أو تفسير، أو علم بشريعة، أو آداب، أو شعر، أو أخبار، أو أنساب، أو مفاخر، أو طبّ، أو تاريخ. . إلا أنت واجد منه ما يروعك عند هذه السيدة...**).[4]

أما السيدة حفصة – رضي الله تعالى عنها- فهي بنت عمر بن الخطاب، القرشية العدوية[5]. ابنة من نصر الله – تعالى – الإسلام به، وأهداه الخلافة الإسلامية، ومكنه أثناء تلك الخلافة من إرساء دعائم الدولة الإسلامية[6]. ذلكم هو الخليفة العادل الذي إذا سلك فجا، سلك الشيطان فجا آخر.

لقد كانت – رضي الله تعالى عنها-، صوامة قوامة، تقية نقية. ولا شك أن هذه السمات كانت من الأسباب التي نالت بها إكرام الله – تعالى-، وشرف الدنيا والآخرة، ونالت بها عناية الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم-، فقد أحب – عليه الصلاة والسلام- أن يجبر فقدها لزوجها، الشهيد خنيس بن حذافة السهمي – رضي الله تعالى عنه-[7] فخطبها بعد انتهاء عدتها، وتزوجها.

وأم حبيبة -رضي الله تعالى- عنها التي ضربت مثالا للثبات على الدين والاعتزاز به، هي تلك المرأة التي برزت قوة إيمانها في مواجهة الوحدة والغربة، ذلك لأنها لم تشعر بتلك الوحدة، والله معها، ولم تشعر بتلك الغربة والله معينها. ومن ثمّ فإن قوة الدين هذه التي تضمها بين جنبيها، كانت سببا للكرامة التي حظيت بها، بزواجها من رسول الله – صلى الله عليه وسلم-.

إضافة إلى أصلها الكريم، ونسبها الشريف؛ فهي بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب. يلتقي نسبها مع نسب النبي – صلى الله عليه وسلم-، في عبد مناف بن قصي.

---

١) أبو السعود بدر: تفسير أم المؤمنين، ص ٢٨، ٢٩ ، بتصرف.
٢) ذلك الكتاب بعنوان: (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، لبدر الدين الزركشي، بتحقيق العلامة سعيد الأفغاني)
٣) هو العلامة سعيد الأفغاني
٤) بدر الدين الزركشي: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، ص١٢
٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥٠٩/٢ ، بتصرف.
٦) سليمان سليم البواب: مئة أوائل من النساء، ص٩٢، بتصرف.
٧) خنيس بن حذافة السهمي: من السابقين الأولين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، وشهد بدرا، وأصابه جرح بليغ في أحد، فمات منه – رضي الله تعالى عنه- . سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٩٠

وإذا تحدثنا عن دين السيدة أم سلمة، وشرف نسبها، وجدناها لا تقل عن غيرها في ذلك، فهي المرأة التي صبرت على فراق زوجها، وابنها الصغير طيلة عام كامل، وحرمت فيه من الهجرة لله ورسوله. وذلك الحرمان لا لشيء، إلا للتعصب الجاهلي الأعمى، الذي دفع بقومها إلى منعها من الهجرة مع زوجها، ودفع بقوم زوجها إلى منعها من احتضان طفلها، بسبب موقف قومها[1].

وعلى الرغم من شدة وقع هذا البلاء على نفسها، إلا أنها لم تتخل عن دينها من أجل زوج ولا ولد، بل صبرت، إلى أن جاءها الفرج من الله تعالى، وإن كان ذلك الفرج بعد سنة كاملة، حرمت فيها من رؤية ابنها، وصبرت على فراقه، فدلّ ذلك على قوة إيمانها، وتحملها الشدائد في سبيل الله تعالى، وفي سبيل طاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم-.

أما شرف نسبها؛ فهي سليلة آباء كرام، وأصول عريقة، فأبوها هو أبو أمية، سهيل بن المغيرة، من بني مخزوم بن مرة[2]. كان سيدا في قومه، وكان مشهورا بتحمله مسئولية الزاد في القوافل التي يرافقها، لذا اشتهر بجوده وسخائه، ولقب ب(**زاد الركب**).[3]

والسيدة زينب بن جحش -رضي الله تعالى عنها- التي قال عنها النبي – صلى الله عليه وسلم-، أنها: (أواهة)،[4] ووضح هذه الصفة بقوله: (**الخاشعة المتضرعة**).[5] هي تلك المرأة التي سمعت وأطاعت قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾،[6] فامتثلت قضاءه، سبحانه وتعالى، في أمر كان وقعه شديدا على النفس، لأنه أمر يتحدى عادة جاهلية راسخة، يصعب اقتلاعها على من لا يزال غير مدرك لضرورة اقتلاعها، ومع ذلك وقع الاختيار عليها، وكانت أهلا لذلك؛ فاستحقت الفوز بالزواج من الرسول – صلى الله عليه وسلم-،[7] حيث عكست طاعتها لله ورسوله – صلى الله عليه وسلم-، ما في باطنها من إيمان وتقوى.

---

١) انظر القصة كاملة في سيرة ابن هشام، ج٢، ص٤٦٨

٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣ ص٤٧٤ ، بتصرف.

٣) المرجع نفسه، ج٢، ص٢٠٢، وأسد الغابة، ج٥ ص٥٦٠، وزاد الركب هو أزواد الركب من قريش، كان إذا سافر، فخرج معه الناس، لم يتخذوا زادا معهم، ولم يوقدوا، يكفيهم، ويغنيهم. لسان العرب، لابن منظور، ج٢ ، ص١٩٨

٤) الأواهة: تعدد المعنى اللغوي لكلمة الأوّاه، فقيل: كثير الحزن، وقيل الدعاء إلى الخير، وقيل الفقيه، ، وقيل المؤمن، بلغة الحبشة، وقيل الرحيم الرقيق، وقيل المتضرع يقينا، أي إيقانا بالإجابة ولزوما للطاعة، وقيل المسبح، وقيل هو الكثير الثناء. انظر لسان العرب، ج١٣ ، ص٤٧٣، وأرى أن المناسب في صفة السيدة زينب هو اجتماع الحزن والتضرع يقينا، وكثرة التسبيح والثناء، لما تؤدي إليه هذه المعاني من خشوع، وكثرة تضرع، والله أعلم.

٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣ ، ص٤٨٣، وقال: إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب.

٦) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦

٧) انظر إلى تفصيل ذلك في المطلب الثاني من هذا المبحث، في الحكمة الاجتماعية.

إضافة إلى نسبها الكريم؛ فهي زينب بنت جحش بن رئاب، وهي بنت عمة الرسول – صلى الله عليه وسلم-. وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم.

وأما أم المؤمنين، السيدة جويرية رضي الله تعالى عنها، فهي إحدى اللواتي أعجبن بالإسلام. وأحببن طاعة الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم-، ولزمن سبيل الطاعات والقربات.

عن جويرية، رضي الله تعالى عنها، قالت: (**أن النبي – صلى الله عليه وسلم- خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: ما زلت على الحال التى فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال النبي – صلى الله عليه وسلم-: لقد قلت بعدك أربع كلمات: ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت، منذ اليوم، لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**).[1]

أما شرف نسبها فهي بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية. وأحد أجدادها يسمى عمرو ؛ وهو أبو خزاعة كلها.[2]

والسيدة صفية، رضي الله تعالى عنها، هي التي بلغ بها إيمانها بالله جل وعلا، أن كان سببا في حظوتها، بنيل أجرين: أجر دينها الذي كانت عليه، وأجر إسلامها، ذلك لأنها تدخل في عموم قوله – تعالى-: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ، وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ، أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[3]. فهي بنت ذلك اليهودي الذي آذى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وأصرّ على عداوته. إلا أن تلك العداوة، لم تثن السيدة صفية رضي الله تعالى عنها التي رأت الحق ببصيرتها، فاتبعته وكانت من المتقين.

يقول ابن كثير عنها: (**كانت من سيدات النساء عبادة وورعا، وزهادة، وبرا، وصدقة**)[4]

إضافة إلى نسبها العريق؛ فهي من نسل هارون – عليه السلام- ، وكفى بذلك شرفا.

وأخيرا، نصل في حديثنا إلى السيدة ميمونة – رضي الله تعالى عنها- التي حظيت بشهادة رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، ولأخواتها بالإيمان؛ وذلك في قوله: (**الأخوات**

---

١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء، باب ١٩، التسبيح أول النهار وعند النوم، الرقم الحديث: ٢٧٢٦، ج١٧، ص٣٩

٢) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٥ ص ٤٢٠.

٣) سورة القصص، الآيات: ٥٢ – ٥٤ . ذكر الفخر الرازي أن هذه الآيات اختلف فيمن أنزلت، وقال: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل من حصل في حقه تلك الصفة، كان داخلا في الآية. ثم ذكر ما قيل في قوله تعالى: (يؤتون أجرهم مرتين) وأحد تلك الأقوال: أن الذين يؤتون الأجر مرتين: مرة بإيمانهم بالأنبياء، الذين كانوا قبل محمد – صلى الله عليه وسلم-، ومرة أخرى بإيمانهم بمحمد –صلى الله عليه وسلم-. انظر تفسير الفخر الرازي، ج٢٤ ، ص ٦٠٧ .

٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص٤٧

مؤمنات)، ميمونة زوج النبي – صلى الله عليه وسلم–، وأختها أم الفضل بنت الحارث،[1] وأختها سلمى بنت الحارث امرأة حمزة، وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن).[2]

وكفى بشهادة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، سموًا بهذه المرأة، لتنال بها كرامة الزواج به، ومصاحبته في الدنيا والآخرة.

وقد كان سموّ تلكم الأخوات، بشهادته – عليه الصلاة والسلام–، وبالواقع الذي عشنه؛ فقد أكرمهن المولى – جل وعلا – بالزواج من رجال اختصهم بمنازل عظيمة؛ فالسيدة ميمونة، أكرمها بالزواج من نبيه – عليه الصلاة والسلام–، والسيدة أم الفضل زوج العباس عم الرسول – صلى الله عليه وسلم–، والسيدة سلمى زوج حمزة عم الرسول – صلى الله عليه وسلم–.[3]والسيدة أسماء بنت عميس، زوج جعفر بن أبي طالب، ابن عم الرسول – صلى الله عليه وسلم–، وتزوجت بعده سيدنا أبا بكر الصديق، وبعد وفاته تزوجت بسيدنا علي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنهم أجمعين–.[4]

وفي هؤلاء الأصهار شرف عظيم، بلغ بالسيدة هند بنت عوف، – أم السيدة ميمونة–: درجة أن تكون "أكرم عجوز في الأرض أصهارا".[5]

وإضافة إلى ذلك، فإن السيدة ميمونة، –رضي الله تعالى عنها– ذات نسب كريم؛ فهي ميمونة بنت الحارث العامرية الهلالية.[6]خالة حبر الأمة، عبدالله بن عباس، وخالة سيف الله؛ خالد بن الوليد، – رضي الله تعالى عنهم جميعا–، وأرضاهم.[7]

وختاما؛ فمن نافلة القول: إن أمهات المؤمنين، كن أهلا للشرف الذي حظين به، بزواجهن من رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فلله درّهن، ما أعظمه من شرف.

---

١)أم الفضل: هي لبابة بنت الحارث بن حزن بن بجير، الهلالية، الحرة الجليلة، زوجة العباس، عم النبي – صلى الله عليه وسلم– وأم أولاده الرجال الستة النجباء، وهي أخت أم المؤمنين ميمونة، قديمة الإسلام. انظر سير أعلام النبلاء: ج٢ ، ص٣١٤

٢) الحاكم: المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ج٤ ص٣٢، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم

٣) ابن عبد البر: الاستيعاب(٤/١٩١٤) بتصرف.

٤) أحمد خليل جمعة: نساء أهل البيت، ص٤٠٤ – ٤٠٧

٥) محمد مبيض، موسوعة حياة الصحابيات، ص٧١١-٧١٢

٦) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج١٢، ص٤٨٠

٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ٤٩٦

المطلب الثاني

الحكمة من تعدد زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم-

إن مسألة تعدد الزوجات، من المسائل التي نالت نصيبا من العناية الشرعية، وحازت قدرا من التنظيم؛ فقد "أراد المولى – سبحانه وتعالى-، أن يجعل الأسرة عماد الحياة، وقاعدة العمران، وأساس المجتمعات، وقيام الحضارات، ولذلك أحاط – سبحانه وتعالى- بنيان الأسرة، بمجموعة من القواعد الثابتة، والركائز الصلبة؛ حماية له مما قد يعتريه من وهن أو ضعف، ومن ذلك ما جاء في تعدد الزوجات".[1]

يقول – سبحانه وتعالى- : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى، فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، ذَلِكَ أَدْنَى أَلا تَعُولُوا ﴾.[2]

كما ورد عن الرسول – صلى الله عليه وسلم- أنه قال: **(لغيلان بن أمية الثقفي: – وقد أسلم وتحته عشرة نسوة-: خذ منهن أربعا)**[3].

وقد أجمعت الأمة قولا وعملا، منذ عهد النبي – صلى الله عليه وسلم-، إلى يومنا الحاضر على حل تعدد الزوجات، وهو حجة تشريعية بعد الكتاب والسنة.

وعلى الرغم من معاداة بعض المستشرقين للإسلام، وتعاليمه، وتقولهم على الرسول – صلى الله عليه وسلم- ما لا يليق به، إلا أن تلك العدوانية، لم تمنع بعضهم من رؤية الحق والاعتراف به؛ فقد قال المستشرق غوستاف لوبون في تنظيم تعدد الزوجات: **(إن مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب، يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقول به، ويزيد الأسرة ارتباطا، ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تراهما في أوربا)**.[4]

وقد كان الرسول – صلى الله عليه وسلم-، قدوة للمسلمين في هذا التنظيم، إلا أنه – عليه الصلاة والسلام-، اختص بميزة لم تكن لغيره من المسلمين؛ حيث خصّه المولى – جل وعلا- بعدد من الزوجات، يزيد على العدد المباح لغيره.

---

١) محمد بن مسفر الزهراني: نظرات في تعدد الزوجات، ص٦٧

٢) سورة النساء، الآية: ٣

٣) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب ٤٠، الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة، رقم الحديث: ١٦٥٣، ج١ ص٦٢٨، وقال الألباني: حديث صحيح. انظر صحيح ابن ماجة، ج١ ص٣٣٠

٤) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص٤٨٣. ملاحظة: مع اعتراف لوبون بهذه الحقيقة، إلا أنه لم يراع حرمة الرسول –صلى الله عليه وسلم- في مسألة تعدد زوجاته، فقد ذكر في موضع آخر قولا، لا يمت للحقيقة بصلة، وسيتم ذكره في هذا المبحث إن شاء الله

والحقيقة أن تلك الخصوصية لم تكن أمرا من الأمور التي تسوّغ لبعضهم أن يخوض ويتقول فيها بما لا يليق، ذلك لأنه – صلى الله عليه وسلم- يؤدي بها واجبا من الواجبات الكثيرة والشاقة التي كلف بها – عليه الصلاة والسلام-؛ فزواجه بهذا العدد يشير إلى مهمة طيبة لأزواجه الفاضلات، تتمثل فيما يجب عليهن نقله عنه مما لا يطلع عليه الرجال من أحواله، ويُستحيا من ذكره.[1]

وعلى الرغم من ذلك؛ اتهم – صلى الله عليه وسلم-، من قبل أفواه ناعقة بالباطل، وعمياء عن الحق، باتهامات باطلة قبيحة، أشاعها بعضهم في اعتداء صريح صارخ. وضمنها بعضهم الآخر في كتاباتهم بين أسطر المدح والثناء، ومن هؤلاء غوستاف لوبون، الذي ذكرنا ثناءه على التعدد آنفا، حيث تحدث عن زواج الرسول – صلى الله عليه وسلم-، وانحرف في حديثه، ليعلل ذلك الزواج بتعليلات واهية، وفي ذلك يقول: (**وضعف محمد الوحيد، هو حبه الطارئ للنساء، وهو الذي اقتصر على زوجته الأولى، حتى بلغ الخمسين من عمره، ولم يخف محمد حبه للنساء، فقد قال: (حبب إلي من الدنيا: النساء، والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة)،[2] ولم يبال محمد بسن المرأة التي يتزوجها، فتزوج عائشة، وهي بنت عشر سنين، وتزوج ميمونة، وهي في الحادية والخمسين من عمرها. . .**)[3].

ويسترسل هذا الكاتب في افتراءاته! ولكنه لو أنصف الرسول – صلى الله عليه وسلم-، لما فضح نفسه بقول متضارب كهذا القول؛ فقوله: (**وضعف محمد**)، باطل شديد البطلان، ذلك لأن الضعيف لا يمكن مطلقا أن يتولى قيادة أمة استطاعت – بفضل الله تعالى –، وباتباع منهجه –صلى الله عليه وسلم-، أن تقوم على حماية دينها لأزمان طويلة، امتدت إلى الآن، وستمتد إلى قيام الساعة،[4] بإذن الله – تعالى-. وقوله: (**حبه الطارئ**)، أيضا باطل، فهو – عليه الصلاة والسلام- يقول: (**وحبب إلي**)، أي أن تلك المحبة، قد غرست في زمن سابق لقوله هذا، وليست حالة طارئة عليه، بمجرد رؤيته النساء. وإن كان هذا الأمر هو الذي يقصده غوستاف، فهو مخطئ حتما في تعليله؛ ذلك لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم-، ينظر نظرة بعيدة تقيس – بفضل الله تعالى- الأمور، وتعطيها حقها، وتقيّمها، وتنظر في عواقبها. وقوله: (**ولم يبال محمد بسن المرأة التي يتزوجها**)، يرد به على نفسه، فعدم المبالاة هذه، تشير إلى أن زواجه – عليه الصلاة والسلام-، بهذا العدد من النساء، مع عدم الاكتراث بالسن، أنه معني بما هو أهم.

---

١) السيوطي: حاشية السندي، على شرح سنن النسائي للحافظ السيوطي، ج٧، ص٦١ المطبعة الأزهرية

٢) سنن النسائي، كتاب عشرة النساء، باب (١) حب النساء، رقم الحديث٨٨٨٧ ، ج٥ ص٢٨٠ ، حديث حسن صحيح. انظر صحيح سنن النسائي للألباني، ج٣ ص٨٢٧

٣) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص١٤٢

٤) بقاء جماعة قائمة على الحق إلى قيام الساعة، يدل عليها قوله عليه الصلاة والسلام-: (. . ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتي أمر الله)، انظر صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم- رقم الحديث٧٣١٢

أما الفريق الأول فقد افترى افتراء واضحا، حيث قالوا: **(لقد كان محمد رجلا شهوانيا، يسير وراء شهواته وملذاته، ويمشي مع هواه، ولم يكتف بزوجة واحدة أو أربع، كما أوجب على أتباعه، بل عدد الزوجات، فتزوج عشر نسوة أو يزيد، سيرا مع الشهوة، وميلا مع الهوى).**[1]

وتجاهل هؤلاء أنه نبي كغيره من الأنبياء الذين يدّعون احترامهم وإجلالهم. ولو قدّروا الرسول – صلى الله عليه وسلم–، حق قدره، لعلموا أنهم بإساءتهم إليه يسيئون إلى غيره من الرسل، " فالأنبياء كلهم معصومون قبل النبوة وبعدها من الوقوع في الذنوب، وكبائر الإثم، والفواحش، وصغائر الخسة، وبقطع النظر عن النصوص، وأقوال العلماء الدالة على ذلك، فإن إعدادهم لهداية الناس، والتبليغ عن الله – عز وجل– يقضي بأن يكونوا كذلك، لأنهم محل القدوة والاتباع والتلقي، والناس لا ينقادون لمن لم يكن طاهر الذيل، نقي الصفحة، منظورا إليه بعين الرضا".[2]،[3]

وهذه الحقيقة توضح أن زواج الرسل بعدد كبير من النساء، لا يمكن تعليله بالشهوانية والهوى مطلقا.

أما زواج رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فهو حاجة أملتها دعوته، ورسالته إلى الناس كافة، بدليل أنه – عليه الصلاة والسلام–، " لم يعدد زوجاته، إلا بعد بلوغه سن الشيخوخة، أي بعد أن جاوز من العمر الخمسين".[4]وذلك بعد أن قوي الإسلام، وانتشر في الجزيرة العربية بين القبائل المختلفة.

وإذا استثنينا بتحديدنا هذا السيدة عائشة، والسيدة سودة – رضي الله تعالى عنهما–، فكل من سواهن قد تزوجهن – عليه الصلاة و السلام– بعد أن أصبح الناس بحاجة إلى التشريعات المختلفة التي كان يتم إحكامها، وتعليمها عن طريق الوقائع والأحداث المختلفة.

ومن هنا كانت الإباحة له – عليه الصلاة والسلام–، في الإكثار من عدد الزوجات، بحيث يفوق العدد المباح شرعا لكل مسلم، أمرا إلهيا، ورد في قوله – تعالى–: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ**

---

١) محمد علي الصابوني: شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم–، ص٧

٢) عبد الله كنون: حب الرسول للنساء، ص٢٦

٣) لاغرابة في أن تُشن حملة من الافتراءات والتشكيكات على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم من عدة جوانب، منها تعدد زوجاته، – وعلى الرغم مما ذكرته من دفاع– إلا أنني أرى أن يُسلك في دحض هذه الافتراءات طريقا آخر غير الطريق الذي جرت عليه عادة الكتّاب، والذي يقود بطريقة غير مقصودة إلى تصوير الرسول وكأنه متهم، يحتاج إلى دفاع، ولكن الطريق الأصوب أن يُسأل ذلك المفتري عن إيمانه بالرسول، فإن كان مؤمنا به فإيمانه يناقض افترائه، وإن كان غير ذلك فهو ليس أهل للتقول بما لا يعرف عمن يجهل حاله ولا يؤمن به.

٤) محمد علي الصابوني: شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم–، ص١٠

وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.[1]

وهذه الحقيقة، تشير إلى أن ما قام به – عليه الصلاة والسلام- ، تربية للأمة الإسلامية؛ حيث لم يكن إقباله – صلى الله عليه وسلم-، على الزواج بالنساء إقبالا بهيميا – كما يدعي المتنطعون من أعداء الإسلام-، ولكنه كان دعوة للأجيال، وتنبيها لهم إلى ضرورة الأخذ بيد المرأة، والتبصر بضعفها، وحاجتها إلى من يعيلها ويساندها في تحمل مشاق الحياة، كما كان وسيلة لتربية وتعليم جهات كثيرة، ومتعددة، تعددت بتعدد القبائل التي نشأت فيها زوجاته – عليه الصلاة والسلام-.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، كنّ يمثلن "الفريق الآخر من الصحابة الذين عاشوا مع النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم-، ونقلوا أحاديثه القولية والفعلية، وعلموا الأجيال كيف يستنون بسنة نبيهم، في علاقاته مع أزواجه، وتعامله مع الناس، وعبادته، ومأكله، ومشربه، وحربه، وسلمه. وكان لهن فضل عظيم في نقل صور عملية لحياته".[2]

" وقد كان الجانب الظاهر من حياته – عليه الصلاة والسلام-، له شهوده ودلائله، فيمن لا يحصى من الرجال، والنساء، المؤمنين والمؤمنات، ويبقى الجانب الخفي الذي يجب أن يتوافر له عدد من الشهود الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب، لتتطابق بذلك الشهادتان على صدق هذه الأسوة فيما قدمت من أخلاق هذا النبي الأمي – صلى الله عليه وسلم-، وتعاليمه المنزلة، ولتكون الشهادة أقوى في الدلالة.

ومن أجل هذا اختار الله – سبحانه وتعالى، والله أعلم- أن يكون عدد أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم-، كبيرا، وأن تختلف انتماءاتهن القبلية، وأن تجتمع بينهن ابنة أحب الناس إليه، وابنة أعدى أعدائه، وأن تكون منهن القرشية، والهاشمية، واليهودية، والنصرانية، والعربية، والقبطية، والحضرية، والأعرابية، وحديثة السن، والوسيطة، والعجوز، لا ليكن أزواجا للنبي –صلى الله عليه وسلم- وحسب، بل لأنهن مكلفات بمهمة تاريخية لم تكلف بها امرأة قط، بموجب عقد الزوجية، أي أن النبي – صلى الله عليه وسلم-، كان كلما تزوج امرأة

---

١) سورة الأحزاب، الآية ٥٠

٢) أم سلمة العاقلة، العالمة، أم المؤمنين، أمينة الخراط، ص٧، بتصرف يسير.

أضاف شاهدا على حياته، وفتح جملة من العيون على أسراره، وهي وظيفة للزواج تفرد بها البيت النبوي، ولم يعرفها بيت إنسان جليل أو قليل في التاريخ كله".[1]

وكان ذلك إلى جانب الأهداف العامة كنشر التعليم، وكسب التأييد، وإكمال التشريع، وتحقيق التكافل، وتوثيق روابط الصحبة، وإعطاء القدوة.[2]

" وهكذا ضرب الرسول – صلى الله عليه وسلم- أفضل المثل في نظم الزواج بحياته الخاصة، فقد كان لكل زواج قام به، دلالة معينة، ودرس جديد من دروس الإسلام التي تخدم المصلحة الخاصة والعامة للمسلمين، ومؤداه أنه علم أصحابه احترام المرأة وأرشدهم إلى إيواء الأيتام، وفعل الخير، ورسم لهم الطريق الصحيح في تعدد الزوجات، بحيث لا تكون الشهوة البهيمية، هي الدافع إليه".[3]

وذلك كله يبرز حقيقة مهمة، وهي أن زواجه، – عليه الصلاة والسلام-، شمل ذلك العدد من النساء، لتتحقق من خلاله مصالح متعددة، وحكم متنوعة، نوردها فيما يلي:

أولا: الحكمة التشريعية:

ويمكن توضيحها من خلال نقطتين:

أولا: إبطال عادة التبني، وتعديل بعض الأحكام المتعلقة بالمتبنى. وثانيها: تصحيح ما يبنى على التآخي في صورته الجاهلية.

أما عادة التبني؛ فقد كان الرجل في الجاهلية، يتبنى الولد، وينسبه إلى اسمه وقبيلته، ويورّثه، وإذا زوّجه، فلا يحق له أن يتزوج امرأته، بعد أن يطلقها، أو يموت عنها.

وفي الحقيقة، هذا الحكم يجب أن يختص بابن الرجل الذي هو من صلبه، وفي ذلك يقول – سبحانه-: ﴿ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾،[4] فحرمان الرجل من الزواج بأرملة أو بمطلقة مُتبنّاه، يعد حيف بالمتبني، وعمل لا يرتضيه الخالق – سبحانه- له، فكان من سعة رحمته – تعالى- بعباده، أن قضى على تلك العادة، **من خلال أمرين:**

---

١) عبد الصبور شاهين، وإصلاح عبد السلام: موسوعة أمهات المؤمنين، ص٤ بتصرف يسير.
٢) عبد الله علوان: تعدد الزوجات في الإسلام، والحكمة من تعدد أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم-، ص٦٤ بتصرف.
٣) محمد بن مسفر الزهراني: نظرات في تعدد الزوجات، ص١٠٩
٤) سورة النساء، جزء من الآية : ٢٣

الأول: نهيه – سبحانه– عن أن يُنسب المتبنى إلى إسم المتبني، ونسبه، وفي ذلك يقول سبحانه–: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ، وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ، ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ، وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ، وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ، ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ، هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ، فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾[1].

وكان – عليه الصلاة والسلام–، قد تبنى زيد بن حارثة، ونسبه إليه، لذا كان يسمى بزيد بن محمد، وعندما نزل النهي الوارد في الآية، دعي زيد باسمه، واسم أبيه؛ فأصبح يسمى: زيد بن حارثة – رضي الله تعالى عنه–.

الثاني: ذلك التشريع الذي شاء سبحانه–، أن يكلف به نبيه، – عليه الصلاة والسلام– ، وأن يشاركه فيه أفراد، هم من أقرب الناس إليه.

وتلك المهمة، هي التي قام بها، – عليه الصلاة والسلام–، بزواجه من السيدة زينب بنت جحش، بعد طلاقها من زيد بن حارثة – رضي الله تعالى عنهما–.

ولما كان النهي يقرر أن ينسب زيد لأبيه، فإن ذلك بالضرورة ينقل سيدنا زيد من وضع إلى وضع آخر، فبعد أن كان ابنا، أصبح مولى لرسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وذلك ما جعل السيدة زينب ترفض الزواج منه، في بداية الأمر، إلا أنها عادت، وامتثلت أمر الله – عز وجل–، عندما خاطبها، سبحانه وتعالى– بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ . . . ﴾[2]، إلا أن ذلك الامتثال لم يكن ليحول بينها، وبين الشعور بأنها من الحرائر، ومن سادات العرب، وأنه – أي زيد بن حارثة–، مولى لرسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فكان ذلك مما عكّر عليهما صفو حياتهما، ودفع بسيدنا زيد، إلى أن يشكو أمره إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم–، ولكن كان – عليه الصلاة والسلام–، يدعوه إلى الصبر والتحمل، لما كان يتحمل به – صلى الله عليه وسلم–، من حياء وحسن خلق، مع علمه بعاقبة تلك الشكوى، لما أوحاه الله – عز وجل– إليه بقوله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾[3]، فقد كان – عليه الصلاة والسلام–، يعلم بالأمر الذي عاتبته فيه الآية، وهو إخفاء

---

١) سورة الأحزاب، الآية: ٤،٣

٢) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٣٦

٣) سورة الأحزاب، جزء من الآية ٣٧

تكليفه بجهاد ما تعارف عليه المجتمع من تحريم الزواج بمطلقة الدعيّ، ولكن ذلك لم يمنع من طلاق زينب من زيد – رضي الله تعالى عنهما-.

وبهذا الطلاق جاءت الخطوة الثانية التي يجب أن تقع لتكتمل بعدها خطوات القضاء الإلهي المؤدي إلى الإصلاح الشرعي؛ فبعد أن انقضت عدتها، تولى الخالق- سبحانه- أمر تزويج نبيه – عليه الصلاة والسلام-، بزينب، بدليل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا، وَ كَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولا ﴾[1]

وقد خاض بعضهم في قوله -تعالى-: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ ﴾[2]، بما لا يليق بمنزلة الرسول – صلى الله عليه وسلم-، ومنزلة السيدة زينب، وزيد بن حارثة، وادّعوا أن ما أخفاه الرسول – صلى الله عليه وسلم-، هو إعجابه الطارئ بزينب، – وكأنه لم يرها قبل ذلك، وهي ابنة عمته-، وأن ذلك الإعجاب، هو الذي دفع بزيد إلى طلاقها، و﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلا كَذِبًا ﴾[3]

وقد رد الإمام محمد أبو زهرة على هذا الإدعاء الباطل بقوله: (**والذي أخفاه النبي – صلى الله عليه وسلم- هو أمر الله تعالى بالزواج منها بعد طلاقها، وأن الله – تعالى-، قدر له أن يطلقها، وهذا هو الذي أبداه، فلا حب ولا عشق، والذي كان يخشاه من الناس، أن يصدعهم بالزواج من امرأة دعيّه،[4] وذلك أمر غير مألوف عندهم، وكان يجب أن يخشى الله تعالى-، ولا يخشى الناس، لأن إرضاء الناس بغير حق لا يجوز من داعية إلى الحق، صادع به**).[5]

لذا لم يوكل – سبحانه – أمر العقد إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم- بل كان هو المزوّج، وجبريل عليه السلام- هو الشاهد، وفي هذه المشيئة عون للرسول – صلى الله عليه وسلم- في تأدية تلك المهمة، وهي إبطال عادة جاهلية راسخة.

أما النقطة الثانية في الحكمة التشريعية؛ فتشمل عُرفا يبنى على التآخي في صورته الجاهلية، فقد كانت العلاقة بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وسيدنا أبي بكر – رضي الله تعالى عنه- علاقة أخوية متينة، بنيت قبل الدعوة، وترسخت بعدها.

---

١) سورة الأحزاب، جزء من الآية:٣٧
٢) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٣٧
٣) سورة الكهف، جزء من الآية: ٥
٤) دعيّه: أي مُتبناه
٥) محمد أبو زهرة: خاتم النبيين، ج٢ ص٧١٤،٧١٥

ولما شاء الخالق – سبحانه- أن يجعل السيدة عائشة زوجة لنبيه – عليه الصلاة والسلام-، وقدر أن تكون المبادرة باقتراح من السيدة خولة بنت حكيم، - رضي الله تعالى عنها-، وجد ذلك الاقتراح صدرا رحبا مرحبا به؛ لما رآه – صلى الله عليه وسلم- ، في منامه من تبشير بتحقق ذلك، فما كان منه – عليه الصلاة والسلام-، إلا أن طلب من السيدة خولة بأن تتكفل بخطبة السيدة عائشة.

ذهبت السيدة خولة، وذكرت ذلك للسيدة أم رومان – والدة السيدة عائشة كما ذكرته لسيدنا أبي بكر الصديق – رضي الله تعالى عنهم أجمعين-، وحينها فوجئ بهذه الخطبة وتساءل: **(وهل تصلح له، إنما هي ابنة أخيه؟)**، وهنا تتوقف السيدة خولة عن سيرها في أمر الخطبة، لترفع التساؤل للرسول – صلى الله عليه وسلم-، فالأمر يتطلب الرجوع إلى المشرّع، للقضاء في أمر لم يعهد عندهم في الجاهلية، ولكنه أمر بسيط، يبت فيه الرسول – صلى الله عليه وسلم- بقوله: **(ارجعي إليه فقولي له: أنا أخوك، وأنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي)**.[1]

إذن تلك الأخوة، لم تكن لتحول دون زواج الرجل بابنة من تآخى معه أخوّة دين ومحبة.

ثانيا: الحكمة التعليمية:

تتجلى الحكمة التعليمية في تعدد أزواج الرسول – صلى الله عليه وسلم-، جلاء واضحا، فقد بعثه المولى –جل وعلا- ليكون بشيرا ونذيرا؛ وذلك يقتضي التعليم، والهداية والإرشاد. ولما كانت هذه المهمة شاملة للعالمين، ذكورا وإناثا، تطلب ذلك أن يكون إلى جانب الرسول – عليه الصلاة والسلام-، من يتولى تبليغ الإناث، الجوانب المتعلقة بهن من تعاليم دعوة الإسلام، لذا جعل الحق – تبارك وتعالى-، أزواجه – رضوان الله تعالى عنهن-، عونا له في تلك المهمة؛ فالنساء يشكلن نصف المجتمع، وهن بحاجة إلى الثقافة والتعليم، كالرجال سواء بسواء. وتعليم نساء مجتمع كامل من قِبل واحدة أو اثنتين أو ثلاث، أمر عسير، لذا تطلّب أن يكون عدد المعلمات مناسبا لحاجة المجتمع.[2] وهذا ماجعل من بيوت أزواج الرسول – صلى الله عليه وسلم- ، مفتوحة للعلم والفقه والتهذيب.[3] ولا سيما تعليم ما يتعلق بأحكام النساء، كالحيض، والاستحاضة، والنفاس، وما إلى ذلك، وقد تتحرج المرأة من سؤال الرسول – صلى الله عليه وسلم-، عن هذه الأمور. كما أنه – عليه الصلاة والسلام-، كان شديد الحياء، يكنّي عن الأمر

---

١) مسند أحمد، ج٦ ص٢١١، وإسناده صحيح، المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين ج١٨ ص٤٧

٢) عبد الله علوان: تعدد الزوجات في الإسلام، والحكمة من تعدد أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم-، ص٦٤ بتصرف.

٣) أحمد عبد العزيز الحصين: لماذا الهجوم على تعدد الزوجات، ص٣٦ بتصرف.

بإجابة قد يصعب على السائلة فهمها.[1] وهنا يأتي دور أمهات المؤمنين، للإيضاح والتفصيل؛ ومن ذلك ما ورد في الصحيحين عن عائشة – رضي الله تعالى عنها- ، **أن امرأة ، سألت النبي – صلى الله عليه وسلم-، عن غُسلها من المحيض، فأمرها كيف تغتسل، قال: (خذي فرصة[2]، من مسك فتطهري بها)، فقالت: (كيف أتطهر بها؟) قال: (تطهري بها)، قالت: (كيف؟)، قال: (سبحان الله! تطهري)، قالت عائشة: (فاجتذبتها إليّ، فقلت: تتبعي بها أثر الدم).**[3]

ولم تقتصر مهمة أمهات المؤمنين على ذلك الجانب، بل تعدته إلى التربية والتعليم العام، عن طريق رواية سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فقد " ساهمن في رواية كل قول سمعنه، وفي نقل كل فعل رأينه من النبي – صلى الله عليه وسلم-، فوصل بذلك كثير من السنة إلى الأمة الإسلامية، عن طريق الرواية من نساء مقطوع بصدقهن، وسجمع على أمانتهن وعدالتهن، ويكفيهن فخرا وشرفا، أن سماهن القرآن: – أمهات المؤمنين-، وخاطبهن بقوله – تعالى-: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ﴾[4]

وقد "ذكر الرواة أن عدد الأحاديث التي روتها نساء النبي – صلى الله عليه وسلم-، جاوزت ثلاثة آلاف حديث"[5].

وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على المرتبة العلمية السامية التي بلغنها في بيت النبوة؛ فقد تخرجن على يد سيد البشرية ومعلمها، ونهلن من العلم ما يتم تدريس بعضه في الجامعات خلال سنوات عديدة.

فقد تناولت مروياتهن الكثير من القضايا الهامة، كالقضايا العقدية، والشرعية، والعلمية، والاجتماعية. وقد صنف الدكتور عبد الصبور شاهين، والأستاذة إصلاح عبد السلام، في كتابهما: "موسوعة أمهات المؤمنين" مروياتهن؛ وأدرجاها تحت عناوين كثيرة، شملت موضوعات تلك المرويات، ومن تلك العناوين: " الإيمان، والإسلام، والطهارة، والدعاء،

---

١) محمد مسفر الزهراني: نظرات في تعدد الزوجات، ص١٠٥

٢) الفرصة: هي القطعة من كل شيء، والمراد بها هنا الخرقة أو القطنة أو قطعة من الصوف، المطيبة بالمسك، تتمسح بها المرأة من الحيض. انظر القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، ص٢٨٢

٣) فتح الباري، كتاب الحيض، باب ١٣، دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض، رقم الحديث: ٣١٤ ، ج١ ص٥٥٠، وبلفظ آخر لمسلم بشرح النووي، كتاب الحيض باب ١٣ ، استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، رقم الحديث ٣٣٢، ج٤ ص١٢

٤) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٣٢

٥) عبد الله علوان: تعدد الزوجات في الإسلام، والحكمة من تعدد أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم-، ص٧٣

والهجرة، والزهد، والحدود، والأحكام، وغيرها".[1]، مما يفيد بأن مروياتهن – رضوان الله تعالى عنهن–، شملت علما كثيرا طيبا مباركا فيه، ومنوعا بتنوع حاجات البشرية.

وقد تميزت السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، بالسيادة في التربية والتعليم، ويتجلى بعض ذلك، في مواقفها المختلفة التي وقفتها تجاه مرويات بعض الصحابة، والتي كانت بحاجة إلى تعديل وتصويب، وذلك ما سمي بالاستدراك، فقد ذكر الزركشي لها في كتابه الإجابة؛ خمسا وسبعين حديثا، استدركت فيها على كبار الصحابة وغيرهم من الرجال والنساء.[2]

كما وقفت وقفة المربي والمعلم، أمام الذين أساؤوا في حق سيدنا أبي بكر الصديق – رضي الله تعالى عنه–، ومما قالته في خطبتها لهم: **(أبي وما أُبَيّة، أبي والله لا تَعْطُوه[3] الأيدي، ذاك طود منيف،[4] وفرع مديد، وهيهات، كذبت الظنون، أَنْجَحَ إذا أكْدَيْتُم،[5] وسبق إذ ونيتم..)**[6]،[7]

مما يشير إلى عنايتها – رضوان الله تعالى عنها– بإيضاح ما قد تغيب حقيقته عن أولئك الذين أساؤوا لأبيها، فاندفعت إلى اتخاذ ذلك الموقف التعليمي، الذي يمليه عليه يقينها بمهمتها تجاه الأمة الإسلامية.

ويتجلى الجانب التعليمي – أيضا– لديها فيما ثبت عنها أنها معلمة لمشيخة أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم–؛ يقول مسروق[8] : **(رأيت مشيخة أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم– يسألونها عن الفرائض).**[9]

ومن نافلة القول؛ ذكر الأسباب التي أدت إلى وصول السيدة عائشة، – رضي الله تعالى عنها–، إلى هذه المنزلة، وهي:

– استيعابها لوفرة وافرة من السنن النبوية الشريفة؛ حيث روت عن النبي – صلى الله عليه وسلم– ألف حديث،[10] تشمل أغلب الفقه والتشريع.

---

١) عبد الصبور شاهين، إصلاح عبد السلام: موسوعة أمهات المؤمنين، ص٢٠١

٢) بدر الدين الزركشي: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة.

٣) لا تعطوه الأيدي: أي لا تناوله الأيدي، انظر صفة الصفوة، لابن الجوزي، المجلد الثاني ص٣٥

٤) طود منيف: أي جبل مشرف: المرجع نفسه

٥) أكديتم: أي خبتم ويئس من خيركم: المرجع نفسه

٦) ونيتم: أي فترتم، المرجع نفسه

٧) ابن الجوزي: صفة الصفوة، المجلد الثاني، ص ٣٣

٨) مسروق بن الأجدع: كوفي تابعي ثقة، من أهل اليمن، سُرق وهو صغير، فسمي مسروقا، لقي عمر بن الخطاب، فقال له: ما اسمك؟ قال: مسروق بن الأجدع، فقال عمر: إن الأجدع شيطان، أنت مسروق ابن عبد الرحمن. وكان عالما بالفتيا، توفي سنة ٦٣ هجرية، روى عنه الستة. انظر تهذيب التهذيب ج١٠ ، ص١٠٠

٩)الهيثمي: مجمع الزوائد، ج٩ ص٢٤٥، وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن.

٨) ذكر الكاتب العدد الذي عدّه ابن الجوزي لما ورد عن السيدة عائشة، وهو ألفين ومائتين وعشرة أحاديث. ثم قال: (وجدت بالاستقراء أن عدد الأحاديث النبوية الشريفة التي روتها السيدة عائشة عن النبي – صلى الله عليه وسلم– لايزيد عن الألف حديث)، وقال: (إن هذه الأعداد التي ذكروها تقريبية)، ثم علل قوله هذا ببيان

- فهمها الثاقب للسنة النبوية، إلى الدرجة التي أصبحت بها المرجع العلمي الأول والأصيل، لكبار الصحابة في كثير من قضايا التشريع والفتوى؛ فأثرت التراث الإسلامي بمجموعة نفيسة قيمة من استدراكاتها عليهم.

- كشفها عن كثير من شئون الرسول – صلى الله عليه وسلم-، الخاصة في بيته؛ رجلا وزوجا وإنسانا.

-وصولها إلى مرتبة رسول رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، إلى عالم النساء المسلمات فيما يختص بشئونهن الدينية الدقيقة، وفرّجت بذلك كثيرا من مسائلهن الحرجة.[1]

ثالثا: الحكمة الاجتماعية:

وتتجلى الحكمة الاجتماعية في كل عقد عقده – صلى الله عليه وسلم-، على أزواجه، حيث تبرز هذه الحكمة، في حث أفراد المجتمع على الزواج، والأخذ بيد النساء وحمايتهن، وتوفير احتياجاتهن، ومد يد العون لهن؛ خاصة للمطلقة، والأرملة، والعائلة، التي تقوم على تربية أبنائها، والإنفاق عليهم.

لقد كان – عليه الصلاة السلام-، قدوة للمسلمين في ذلك؛ فلو تأملنا سيرته، – صلى الله عليه وسلم-، وجدنا الشواهد الكثيرة الدالة على ذلك.

فزواجه – عليه الصلاة والسلام-، من السيدة خديجة، رضي الله تعالىعنها، تتجلى فيه الحكمة الاجتماعية بوضوح؛ فهو – عليه الصلاة والسلام-، يقبل على الزواج من سيدة شريفة، كريمة، تتقدم بإعلامه برغبتها الخاصة في الزواج به، فيُقَدّر تلك الرغبة ويستجيب لها، وهو عالم بضرورة ذلك التقدير.

وكذلك السيدة سودة، التي فقدت زوجها بوفاته، وأصبحت في سن تحتاج فيه إلى البر والرحمة والمؤانسة. ومثلها السيدة ميمونة – رضي الله تعالى عنهما-، التي تأيمت من زوجها أبي رهم، ورغبت في أن تحظى بكرامة الدنيا والآخرة، بالزواج من الرسول – صلى الله عليه وسلم-، فقام العباس- عم الرسول – صلى الله عليه وسلم-، بإعلامه عن حالها، فأخذ – عليه الصلاة والسلام- بيدها، وتزوجها.

أما السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، فقد أبرز زواج الرسول – صلى الله عليه وسلم- بها، حقيقة العناية الشرعية والاجتماعية، بكل فرد يسهم في الإصلاح والخير، فأبوها أبو

-الأسباب التي أدت إلى القول بأن ما ورد عنها يبلغ ٢٢١٠ أحاديث. انظر تفسير أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها- الدكتور عبد الله أبو السعود بدر، ص٨٤

١) عبد الله أبو السعود بدر: تفسير أم المؤمنين، عائشة -رضي الله تعالى عنها-، ص٣١،٣٢ ، بتصرف يسير

بكر الصديق، هو الذي قال عنه الرسول – صلى الله عليه وسلم-: **(ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يدا، يكافيه الله بها، يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط، ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذا خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن صاحبكم، خليل الله).**[1]

فهذا القول، يشير إلى الإسهام العظيم الذي أسهمه سيدنا أبوبكر- رضي الله تعالى عنه- في سبيل نصرة الرسول – صلى الله عليه وسلم-، ونصرة دينه، فاستحق على ذلك تلك المكافأة العظيمة التي تمثلت في مصاهرة الرسول –صلى الله عليه وسلم- له. وليتم من خلالها: "تمتين أواصر المحبة والأخوة"[2]، وليُدخل بها الشرف، والفرح، والخير، والبركة، على هذه الأسرة الكريمة، التي شعرت بذلك عندما خطب – عليه الصلاة والسلام- السيدة عائشة.

وفي زواجه – صلى الله عليه وسلم-، بالسيدة حفصة، يتجلى الرفق، ودعم الإخاء، وإبراز الصورة المشرقة في عناية الإسلام بالمرأة، فسيدنا عمر بن الخطاب، – رضي الله تعالى عنه-، يلمس حاجة ابنته التي ترملت في شبابها، ويندفع للبحث عن الكفؤ الذي سيأخذ بيدها، ولكن الأكفاء الذين لجأ إليهم صرفتهم ظروف قاهرة عن الاستجابة له، وتلبية حاجته، وهما أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، – رضي الله تعالى عنهما-. ولكن لم يكن ذلك نهاية المطاف، فهناك من هو أهل للعون؛ إنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، ولكن مصاهرته – عليه الصلاة والسلام-، لم تكن في الحسبان، فسيدنا عمر بن الخطاب لم يلجأ إليه، إلا ليبثه ذلك الضيق الذي ناله من جراء انصراف صديقيه عنه، ولكن ذلك اللجوء كان سببا في أن يحظى، هو وابنته حفصة، بشرف مصاهرة الرسول – صلى الله عليه وسلم-.

أما زواجه –عليه الصلاة والسلام – بالسيدة أم سلمة، فتتجلى فيه مظاهر الرحمة، والعناية، والكفالة والتكريم، للأرملة التي أصبحت بلا عائل، وعلى يديها أربعة أيتام، فأصبحت بذلك في وضع يدعو إلى أن يمد المجتمع إليها يد الحنان، والرعاية؛ لذا سارع – عليه الصلاة والسلام- ، ليشرفها بالزواج منه، ويأخذ بيدها، ويعينها على تربية أبنائها.

ولكن هي – رضي الله تعالى عنها-، لم تع تلك الضرورة في البداية، فأجابت الخاطب، النائب عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، بقولها: **(مرحبا برسول الله وبرسوله، أخبر رسول الله أني امرأة غَيْرَى، وأني مُصْبِيَة،[3] وأنه ليس أحد من أوليائي شاهدا).** ولكن تلك الأعذار، هي في حد ذاتها كانت دافعا للتعجيل بالزواج، لذا أرسل إليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، موضحا: **(أما قولك: إني مصبية، فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك إني**

---

١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب ١٥ ، رقم الحديث٣٦٦١، ج٥، ص٥٦٨، وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه.

٢) محمد مبيض: موسوعة حياة الصحابيات، ص٥٢٤

٣) مصبية: أي ذات صبي ، انظر القاموس المحيط، ص١٦٧٩

غيرى، فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء، فليس أحد منهم شاهد، ولا غائب إلا سيرضاني[1]).[2]

وكذلك السيدة أم حبيبة – رضي الله تعالى عنها- ، التي شقيت في دار هجرتها، بتخلي زوجها عنها، وتنصره؛ فبقيت هي وابنتها هناك، في تلك الدار البعيدة عن الأهل والأقارب، والأصحاب، ولم يكن البعد هو الإشكال القائم فحسب، ولكن بعد الدار وبعد القلوب؛ فأهلها في مكة لا زالوا على شركهم، وهذا مما زاد الأمر شدة، فكيف الخلاص والمسلمون في دار بعيدة عن دار هجرتها، وهي امرأة ضعيفة، وتعجز عن اللحاق بهم بمفردها؟!!

إن هذا العسر، يتطلب الإسعاف العاجل، ولكن ممن يأتى؟ لابد وأن تكون هناك عين ساهرة على كل فرد من أفراد المجتمع ، وإن نأت داره. تلك العين الكريمة هي عين رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، لذا تناولتها يد الرحمة من بعيد، فأرسل عليه الصلاة والسلام-، من يخطبها له، ويزوجها إياه نيابة عنه.

وفي زواجه – صلى الله عليه وسلم – بالسيدة زينب بنت جحش، – رضي الله تعالى عنها- تتجلى الحكمة الاجتماعية، في إسقاط الفوارق الطبقية في المجتمع، حيث شكلت تلك الفوارق، سبيلا لانتهاك الحقوق في المجتمع الجاهلي.

ونظرا لما ناله المجتمع من عناية خاصة من الدعوة الإسلامية، أصبح من الضرورة بمكان علاج هذا الوضع وتعديله، لذا شاء – سبحانه وتعالى- أن يكون العلاج من قبل أسرة الداعي الكريم – عليه صلوات الله وسلامه- لما في هذا الإجراء من أثر بالغ، حيث كان – عليه الصلاة والسلام- هو القدوة المتبعة في كل عمل؛ فبدأ العلاج بتزويج السيدة زينب بنت جحش، وهي بنت عمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، بزيد بن حارثة، وهو مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، ثم جاء دوره عليه الصلاة والسلام- ليتزوجها بعد طلاقها منه.

رابعا: الحكمة الدعوية:

تبرز الحكمة الدعوية[3] في تعدد زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم- من خلال زواجه بالسيدة خديجة بنت خويلد، والسيدة أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان، والسيدة صفية بنت حيي بن أخطب، والسيدة جويرية بنت الحارث، – رضوان الله تعالى عنهن جميعا-.

---

١) نظرا لكون الولي هنا مفقود، وهو ركن في العقد، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يمكن أن يكون وليا وزوجا، وهذا من خصوصياته عليه الصلاة والسلام، لقوله تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)

٢) مسند أحمد، ج٦ ص٣١٣، وإسناده صحيح، المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين، ج١٨ ص ٢٩٢

٣) يسمي بعض الكتّاب هذه الحكمة، بالحكمة السياسية، وقد تكون كذلك لو كان الأمر يتعلق بحلف أراد الرسول أن يعقده مع قبيلة المرأة التي تزوج منها، ولكن نلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يتزوج من قبيلة أو من جهة، مثل اليهود، إلا بعد أن حقق النصر على المستوى العسكري، ثم أراد عليه الصلاة والسلام أن يؤلف القلوب، كما في زواجه بالسيدة جويرية والسيدة صفية، رضي الله عنهما. هذا والله أعلم.

كما تتجلى الحكمة الدعوية في زواجه – صلى الله عليه وسلم- من بعض سيدات قبائل قريش، حيث كان لزواجه – عليه الصلاة والسلام-، بهن أثر كبير في دخول أفراد بطون تلك القبائل تباعا، وطواعية، واختيارا. لما لمسوه من شرف مصاهرة إنسان كريم، أكرم بناتهن، وحماهن، ورعى ضعفهن.[1]

فالمصاهرة عند العرب تعني بناء علاقة حب ومودة بين الجانبين، وقد كان الرسول – صلى الله عليه وسلم- يدرك أن تلك المصاهرة ستؤدي إلى تقريب القلوب النافرة، وسيكون لها أثر في كسب التأييد، وبالتالي فلن تتأخر تلك القبائل عن تقديم المعونة، ومد يد المساعدة في العمل على نشر دين الإسلام.[2]

أما تجلي الحكمة الدعوية في زواج الرسول – صلى الله عليه وسلم-، بالسيدة خديجة، ، – وإن لم يكن عليه الصلاة والسلام-، قد خطط لذلك، إلا أن الحق – تبارك وتعالى-، قد جعلها في ثنايا الغيب، ليظهر أثرها فيما بعد جليا، في عونها – رضوان الله تعالى عنها- للرسول، صلى الله عليه وسلم، أثناء سير الدعوة، فقد كانت مؤازرتها له – عليه الصلاة والسلام-، ووقوفها إلى جانبه، في أشق مراحل الدعوة، تشير إلى المساندة والتأييد المتين.

أما زواجه –صلى الله عليه وسلم- بالسيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبغض الطرف عن الظروف الإنسانية الداعية إلى ذلك، فإنه – عليه الصلاة والسلام-، كان على علم تام بشخصية أبيها – أبي سفيان – الذي قال عنه يوم الفتح: **(من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)**.[3]

فهوسيد كبير من سادات قريش، وله مكانته السامية عندهم ، وهو مع تلك المنزلة الرفيعة، والعقل الواعي، غلبه العناد والجحود عن الاستجابة لدعوة الإسلام، وقد كان في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم، بابنته أثر طيب، عَمِلَ على إزالة ما ران على قلبه من ظلمة ذلك الجحود والنفور، فقد كان لفراقها ونفرتها عنه، أثره الأول، ثم بزواجها برسول الله – صلى الله عليه وسلم-، الأثر الثاني. ولإيضاح حقيقة هذين الأثرين، وفعلهما فيه؛ يمكن الاستشهاد بقول أبي سفيان نفسه عندما علم بزواج الرسول – صلى الله عليه وسلم-، بابنته؛ حيث قال: **(ذلك الفحل لا يقدح أنفه)**،[4]،[5] فهذا القول ينبئ عما في صدره من شعور بالفخر والاعتزاز أن أصبح صهره رسول الله – صلى الله عليه وسلم-.

---

١) عبد الله ناصح علوان: تعدد الزوجات، ص٦٧ بتصرف.
٢) محمد بن مسفر الزهراني: نظرات في تعدد الزوجات، ص١٠٩ ، بتصرف.
٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجهاد والسير، باب٣١، فتح مكة، رقم الحديث: ١٧٨٠، ج١٢ ص١٠٤
٤) ابن سعد: الطبقات، ج٨ ، ص٩٩
٥) يقدح: القدح الكف، ويضرب للشريف لا يرد عن مصاهرة، ومواصلة. مجمع الأمثال، لأبي الفضل الميداني ج٣ ، ص٤٨٥

وذلك تخطيط حكيم سلكه رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، لعلمه بالعلاج اللازم لهذه الشخصية؛ حيث يحتاج هذا الصنف من البشر إلى نوع خاص من التعامل، يأتي على شكل مراحل متدرجة، تعمل على التأثير في الشخصية، شيئا فشيئا.

ومن خلال تتبع سيرته – عليه الصلاة والسلام–، في تعامله مع أبي سفيان بعد إسلامه، يتضح هذا الأمر جليا؛ فحينما أسلم، كرّمه الرسول – صلى الله عليه وسلم – بتشريف بيته قائلا: **(من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)**، وبعد ذلك، طلب الرسول – صلى الله عليه وسلم– من عمه العباس أن يحبسه في ممر الوادي ليرى كتائب الرحمن يوم الفتح، ليشعر من خلال ذلك بالفخر بتلك القوة التي حققها صهره وقريبه رسول الله – صلى الله عليه وسلم–. وفي غزوة حنين تألف قلبه بإعطائه مائة بعير،[1] وأربعين أوقية.[2] مما يمكن تسميته العلاج الدعوي الحكيم.

وفي زواج الرسول – صلى الله عليه وسلم– بالسيدة جويرية، – رضي الله تعالى عنها– ، تتجلى الحكمة الدعوية، جلاء واضحا.

فبزواجه –صلى الله عليه وسلم– بها؛ تحققت أهداف طيبة شملت عدة جهات؛ وذلك أنه حين انتشر خبر زواج الرسول – صلى الله عليه وسلم– بها، أعتق المسلمون ما بأيديهم من الأسرى، وهذه النتيجة تظهر الحنكة التي يتمتع بها القائد؛ فهو – عليه الصلاة والسلام–، عالج بالزواج منها ناحيتين، **الناحية الأولى:** المسلمين؛ حيث ظهر حبهم وإخلاصهم ووفاؤهم لقائدهم العظيم، فكان ذلك عامل هام في تأليف قلوب بني المصطلق، وتقريب مودتهم، وإيناسهم بلطف الإسلام، والمسلمين. **والناحية الثانية:** قوم بني المصطلق، الذين كان هواهم تبعا لهوى سيدهم، الذي شعر بكرامته عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، بمصاهرته لهم، وعلم علم اليقين أنه رسول حقا، عندما خبأ ناقتين من النوق التي ساقها، لفداء ابنته، فأخبره الرسول – صلى الله عليه وسلم–، بعلمه بما عمل، فكان ذلك مما زاد قناعته بهذا النبي العظيم، وبهذا الدين الكريم. فما وسعه إلا أن أعلن إسلامه، وتبعه على ذلك قومه.

ومما يوضح ذلك ما روته السيدة عائشة عن السيدة جويرية التي جاءت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فقالت: **(. . يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث وإنما كان من أمري ما لا يخفى عليك،وإني وقعت في سهم ثابت بن قيس، وإني كاتبت على نفسي، فجئت أسألك في كتابتي، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: فهل لك إلى ما هو خير منه؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك، قالت: قد فعلت) قالت: فتسامع الناس أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قد تزوج جويرية، فأرسلوا ما في أيديهم من**

---

١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤ ، ص١٣٥

٢) المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج١٣

السبي فأعتقوهم وقالوا: أصهار رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها، أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق).[1]

وختاما؛ إن كان زواج الرسول – صلى الله عليه وسلم–، بجميع نسائه يرمي إلى تأليف القلوب، وجمعها على الحق، فإن زواجه – عليه الصلاة والسلام– بالسيدة صفية – رضي الله تعالى عنها–، يضيف هدفا آخرا، وهو في حد ذاته هدف هام للغاية؛ ألا وهو إظهار سماحة الإسلام تجاه الأديان الأخرى، وغرس تلك الحقيقة بأسلوب عملي رفيع؛ حيث لم يقبل – عليه الصلاة والسلام– أن تكون تلك السيدة التي هي أصلا بنت سيد قومها، أن تكون أمة أو زوجة لأحد المسلمين، فهي في منزلتها تلك، تحتاج إلى تكريم من قبل سيد المسلمين، ليعي قومها أن الإسلام ينزل الناس منازلهم، ويعلي شأنهم، ويكرم سادتهم ، فيكون بذلك أكبر الأثر في إعلامهم بأحقية دين الإسلام بالاتباع والانقياد، فهو الدين الذي بشرتهم به رسلهم، ودعتهم إلى اتباعه.

---

١) سنن أبي داوود، كتاب العتق، باب في المكاتب يؤدي بعض كتابته فيعجز أو يمـــوت، رقم الحديث: ٣٩٣١، ج٢، ص٤١٥. قال الألباني: حديث حسن، صحيح سنن أبي داوود، ج٢ ، ص٧٤٥

الفصل الثاني
التربية في البيت النبوي

المبحث الأول
القرآن الكريم وأهميته في توجيه أمهات المؤمنين -رضي الله تعالى عنهن-

- أولا: القرار القرآني بالأمومة
- ثانيا: الدعوة إلى السمو والرفعة
- ثالثا: الدعوة إلى كمال الخلق
- رابعا: الأفضلية لهن على سائر نساء الأمة وموجبات ذلك
- خامسا: المهمة التربوية
- سادسا: تسيير النفس لا تخييرها فيما يقضيه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
- سابعا: العون على الرضا بقضاء الله تعالى، والعرفان بجميل رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ثامنا: الحجاب وسيلة الطهر والعفاف
- تاسعا: التوبة والإصلاح
- عاشرا: الابتلاء وما فيه من الخير
- حادي عشر: العناية الربانية بآل بيت النبوة خاصة، والمؤمنين عامة

القرآن الكريم كتاب الله تعالى الخالد، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. أنزله الخالق – سبحانه وتعالى– دستورا للأمة الإسلامية، ونبراسا تسير في ضوئه على هدى من اللطيف الخبير، وجعله نورا تستقيم به الحياة الدنيوية والأخروية .

أنزله – سبحانه وتعالى– على خير خلقه، ورباه على نهجه ؛ فسلك – عليه الصلاة والسلام – ذلك الصراط المستقيم؛ فكان خلقه القرآن . وربى عليه آل بيته وأمته.

وقد نهلت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن– من ذلك المعين الصافي والنبع النقي، خيرا كثيرا، وتمتعن بتوجيهات قرآنية ونبوية، جعلت منهن مدرسة تربوية مهمة، لها مكانتها ودورها، وخصائصها وميزاتها.

وتمثلت تلك الخصائص والميزات في الدور التعليمي والتربوي الذي تكفلن به تجاه صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد وفاته عليه الصلاة والسلام–، وتجاه أمته؛ بما أثر عنهن من ذخيرة علمية تربوية تتعلق بجوانب كثيرة، تشمل علوم العقيدة، والفقه، والعبادات والمعاملات، والسلوك، وغيرها من العلوم الضرورية لمتطلبات الحياة وخاصة ما يتعلق بالمرأة وعلاقتها بالزوج.

وفي هذا المبحث تمت دراسة التوجيه الذي خوطبن به –رضوان الله تعالى عنهن–، مما ورد في بعض الآيات القرآنية؛ متمثلا في الخطاب المباشر لهن تارة، والخطاب الموجه للرسول – صلى الله عليه وسلم– تارة أخرى، وفي الخطاب الموجه للبشرية بشكل عام، إلا أن نزوله كان بسبب تساؤل بعضهن، واستفاهمهن عن بعض المسائل، أو بسبب حادثة وقعت لإحداهن، فتطلب الأمر أن تنزل آيات كريمات تعالج تلك الحادثة.

<u>وأذكر تاليا بعض هذه التوجيهات السديدة الرشيدة، التي تتعلق بهذا الموضوع:-</u>

<u>أولا: القرار القرآني بالأمومة:</u>

وفي ذلك يقول الحق – تبارك وتعالى- ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[1]

---

١) سورة الأحزاب، جزء من الآية ٦

شاء المولى – جل وعلا – أن يسمي زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم- أمهات المؤمنين، ليثبت في نفوسهن اليقين التام بضرورة القيام بالمسئولية الكبيرة، التي ألقيت على عاتقهن بموجب كونهن زوجات لقائد الأمة، وداعيتها إلى الإسلام، وبموجب ما تتطلبه هذه المنزلة من مهام، وتكاليف كثيرة. وليغرس في نفوسهن؛ الشعور بضرورة الرعاية والعناية بالمسلمين، الذين أصبحوا في حاجتهم لتربية وعون أمهات المؤمنين في أمور دينهم، كحاجة الأبناء لأمهاتهم في التربية والتعليم والتأديب.

وقد أيقنت أمهات المؤمنين ضرورة الوفاء بتلك المهمة. كما قمن بحق تلك التسمية خير قيام، ولعل الموقف الذي وقفته السيدة عائشة تجاه قتلة عثمان – رضي الله عنهما – وإصرارها على عقابهم، يفسر شعورها بالمسئولية تجاه أمة محمد – صلى الله عليه وسلم- وضرورة تأديب الخارجين عن الحق الذي ساد في عهده – عليه الصلاة والسلام-.

ثانيا: الدعوة إلى السمو والرفعة:

وفي ذلك يقول الحق – تبارك وتعالى- : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ، وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]

ولنزول هاتين الآيتين الكريمتين سبب، وهو مطالبة أزواج الرسول – صلى الله عليه وسلم – زيادة النفقة. ولا يعنينا في هذا المبحث تفصيل ذلك السبب، فقد تكفلت كتب التفسير بالتفصيل والإيضاح.[2]

وما يعنينا هنا، ذلك التوجيه القرآني، الذي يربي أمهات المؤمنين التربية اللائقة التي تسمو بهن ليرتقين إلى المنزلة الرفيعة التي اختارها رسول الله – صلى الله عليه وسلم- لنفسه، وأحبها لأزواجه الطاهرات ليتأهلن بذلك للإقامة معه في المقام المحمود الذي وعده ربه – جل وعلا-.

ولتحقيق تلك الغاية، أمر الحق – سبحانه وتعالى – رسوله الكريم – صلوات الله تعالى وسلامه عليه – أن يخيّرهن بين أمرين – ولهن كامل الحرية في الاختيار- ليتعلمن – بما يحمله ذلك التخيير ضمنا- أن الإنسان مطالب بترجيح كفة التقوى، للفوز برضوان الله تعالى وجنته، وأن طريق التقوى؛ هو اختيار منهج الله ورسوله والعمل الدؤوب للدار الآخرة.

---

١) سورة الأحزاب، الآيتان :٢٨،٢٩

٢) انظر (في ظلال القرآن – سيد قطب ج٢٢ – ص٢٨٥٣) ، تحدث الكاتب – رحمه الله – في هاتين الآيتين بالتفصيل فأجاد وأفاد.

وليس ذلك فحسب ؛ فإن التخيير يتضمن توضيحا لصورة أسمى وأعلى من تلك الصورة؛ حيث لا تقتصر التقوى التي يتضمنها التخيير ضمنا، على اجتناب المحرمات، وأداء شعائر الإسلام كاملة، وامتثال الأوامر الإلهية فحسب؛ بل تعدت ذلك إلى المطالبة بالزهد والورع عن متع الدنيا وزخرفها وزينتها، والارتقاء إلى الراحة التي ينعم بها العبد، برؤية خالقه ببصيرته ويتمتع بفيوضاته التي تغنيه عن كل متاع دنيوي، وهي لذة ما بعدها لذة.

وهذا السبيل هو الذي سلكه رسول الله – صلى الله عليه وسلم-؛ فقد "كانت نفسه الكريمة ترغب في أن تعيش فيما اختاره لها من طلاقة وارتفاع ورضى؛ متجردة من الانشغال بمتع الدنيا والاحتفال بها أدنى احتفال، وأن تظل حياته وحياة من يلوذون به على ذلك الأفق السامي الوضيء المبرأ من كل ظل لهذه الدنيا وأوشابها، لا بوصفه حلالا وحراما، فقد تبين الحلال والحرام، ولكن من ناحية التحرر والانطلاق والفكاك من هوائف هذه الأرض الرخيصة".[1]

ثالثا: الدعوة إلى كمال الخلق:

ويُصقّل خلق أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن – بتوجيه من القرآن الكريم، ليبلغ درجة الكمال الأخلاقي، المؤهل لمعاشرة نبي الله – صلى الله عليه وسلم-، وصيانة كرامة بيته، وفي ذلك يقول الحق – تبارك وتعالى- : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا ، وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾[2]

ويبدو الصقل في هذه الآية الكريمة؛ من خلال الخطاب الذي تم "توجيهه إليهن لإظهار الاعتناء بنصحهن"[3]. فهن "اللواتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وهن اللواتي استقر أمرهن تحت رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وهن اللواتي حزن منزلة رفيعة فناسب ذلك كله أن يخبرهن بحكمهن وتخصيصهن دون سائر النساء ، بأن يجعل الذنب لو وقع منهن مُغلّظا صيانة لجنابهن، وحجابهن الرفيع".[4]

وقد اختلف المفسرون في المراد بكلمة الفاحشة التي نهيت عنها أمهات المؤمنين؛ فقال ابن عباس: **(هي النشوز وسوء الخلق)**، وقال الألوسي: **(المراد بها كل ما يقترف من الكبائر)** ، وقيل:

---

١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج٢٢ ص ٢٨٥٣ ، بتصرف يسير.
٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٣٠،٣١
٣) الألوسي: روح المعاني، ج٢١ ، ص١٨٤
٤) انظر: تفسير ابن كثير، المجلد الثالث، ص ٤٥٠ ، بتصرف.

(هي العصيان للرسول – صلى الله عليه وسلم–)،[1] وقيل: **(طلبهن ما يشق عليه ، – عليه الصلاة والسلام– أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لأجله).**[2]

وعلى كل؛ فكل ما ذكر هو من قبيل الشرط الذي لا يقتضي الوقوع، والواقع يشهد به، فلم يؤثر عن إحداهن نشوز، أو سوء خلق، أو اقتراف كبيرة من الكبائر، أو عصيان للرسول –صلى الله عليه وسلم–. حاشاهن أن يفعلن ذلك – رضوان الله تعالى عنهن– .

والقرآن الكريم؛ إنما جاء بأسلوبه التربوي الفريد، ليعلم النساء في جميع الأزمان والعصور أن ذلك الذنب لشدة خطورته، قد نهيت عنه أمهات المؤمنين، وهن من هن في المنزلة الرفيعة والرتبة السامية، التي لا يمكن أن يتسرب إلى ذهن إحداهن مجرد التفكير فيه.

وليعلم أمهات المؤمنين أن تلك الفاحشة، لو صدرت من غيرهن لكانت قبيحة، ولو صدرت منهن لكانت أقبح ، لما حظين به من منزلة تربوية، تقتضي منهن توعية غيرهن إلى خطورة تلك الفاحشة؛ وهذه الحقيقة توضح السر في نهيهن عن ذلك الأمر، وهن بعيدات أشد البعد عنه، حيث توضح أن النهي لا لما يخشى منه، ولكن لإعلامهن وتعليم غيرهن.

لذا عقب المولى – جل وعلا– بقوله: ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً ﴾، وهذا التعقيب بما يحمله من معان؛ يوضح لهن الطريق المستقيم الذي يجب أن يسلكنه؛ وهو طاعة الله ورسوله، والاستجابة والخضوع لهما[3]، والخدمة الحسنة والقيام بمصالح بيت النبوة،[4] كما توضح تلك المعاني أن مكانتهن ومنزلتهن هي التي اقتضت ذلك التوجيه، والإرشاد، وحسن استمرارهن وبقائهن على تلك المنزلة الرفيعة، كل ذلك يستدعي استحقاقهن الأجر المضاعف، والقدر العظيم، والرزق الكريم.[5]

رابعا: الأفضلية لهن على سائر نساء الأمة، وموجبات ذلك:

أرى من المناسب والمفيد أن أذكر تاليا، بعض النصوص المهمة، التي تستدعيها الأفضلية، والتي تتمثل في قوله – تعالى–: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ، وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ

---

١) قاله مقاتل بن سليمان، أخرجه عنه البيهقي في السنن، كتاب النكاح، باب قول الله عز وجل: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء. .)، ج٧، ص٧٣

٢) انظر تفسير ابن كثير، مجلد ٣ ، ص٤٥٠، وروح المعاني للألوسي، ج٢١، ص ١٨٤

٣) تفسير ابن كثير، المجلد الثالث، ص ٤٥٠

٤) الألوسي: روح المعاني ، ج٢٢ ، ص٣

٥) المرجع نفسه.

وَرَسُولَهُ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

في هذا التوجيه الحكيم يبرز انفرادهن في "**الفضل والسابقة**"[2]؛ حيث "لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة" أحد[3]. وتلك هي سيرتهن ومنزلتهن – رضوان الله تعالى عنهن–.

ومن كانت هذه سيرته ومنزلته، استحق العناية، والرعاية، والتوجيه. لذا بدأ المولى – عز وجل– في توجيهه لهن "بإشعار نفوسهن بعظيم مكانتهن، ورفيع مقامهن، وفضلهن على النساء كافة، وتفردهن بذلك المكان بين نساء العالمين، على أن يوفين هذا المكان حقه، ويقمن فيه بما يقتضيه".[4]

لذا عقّب – سبحانه – بعد ذكر ذلك الثناء وشرطه، بذكر قواعد أخلاقية، وتعبدية مهمة، أمرهن بها، لتبقى تلك القواعد سمة أهل البيت، وقدوة العالمين، "فليست المسألة مسألة قرابة من الرسول – صلى الله عليه وسلم–، بل لابد من القيام بحق هذه القرابة"[5].

ومن هنا جاء التوجيه بالتنبيه إلى خطورة "أن يكون في نبراتهن ذلك الخضوع اللين الذي يثير شهوات الرجال، ويحرك غرائزهم ويطمع مرضى القلوب ويهيج رغائبهم"[6]، حيث يعلم – سبحانه– "أن في صوت المرأة حين تخضع بالقول، وتترقق في اللفظ ما يثير الطمع في قلوب ويهيج الفتنة في قلوب، وأن القلوب المريضة التي تثار وتطمع موجودة في كل عهد، وفي كل بيئة، وتجاه كل امرأة، ولو كانت هي زوج النبي الكريم، وأم المؤمنين، وأنه لا طهارة من الدنس ولا تخلص من الرجس حتى تمتنع الأسباب المثيرة من الأساس".[7]

لذا أصبح من الضرورة بمكان أن يقيد حديث المرأة للرجل بقيود ضابطة تحمي الطرفين، ومن تلك القيود "أن يكون الحديث في أمور معروفة غير منكرة، فإن موضوع الحديث قد يُطمع مثل لهجة الحديث، وأن لا يكون فيه لحن ولا إيماء ولا هذر ولا هزل ولا دعابة ولا مزاح"[8]، وباختصار أن "لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها"[9].

ولكي لا تختلط المرأة بالرجال كثيرا، فتضطر إلى مخاطبتهم في كل وقت وحين، فإنه من الأفضل أن يكون بيتها هو مستقرها في أغلب الأوقات. وهذا التوجيه خوطبت به أمهات المؤمنين

---

١) سورة الأحزاب، الآيتان:٣٢- ٣٣
٢) الزمخشري، ج٣، ٢٥٩
٣) تفسير ابن كثير، المجلد الثالث، ص٤٥٠
٤) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج٢٢، ص٢٨٥٨
٥) المرجع نفسه، بتصرف يسير.
٦) المرجع نفسه.
٧) المرجع نفسه.
٨) سيد قطب: في ظلال القرآن ، ج٢٢، ص٢٨٥٩، بتصرف يسير
٩) تفسير ابن كثير، المجلد الثالث، ص ٤٥٠

بقوله – تعالى-: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، ليبين لهن أن "البيت هو الأصل في حياتهن، وهو المقر، وما عداه استثناء طارئ، لا يقلن فيه، ولا يستقررن، إنما هي الحاجة تقضى وبقدرها"[1]. وفيه رد على الطاعنين والطاغين، الذين يريدون إخراج المرأة من بيتها قسرا، لتصبح دمية يلعب بها الذؤبان من البشر.

ولكن إذا اضطرتهن الحاجة إلى الخروج، فإن المظهر الذي ينبغي أن يتحلين به؛ هو مظهر الحشمة والوقار والعفاف. وفي ذلك يقول – سبحانه-: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾، ذلك التبرج[2] الذي اتخذ أشكالا وصورا عدة ، تنزهت عنها أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، ولم يكن النهي عن التبرج لتنزيه أمهات المؤمنين عنه فحسب ولكن "ليطهر المجتمع الإسلامي من آثاره ويبعد عنه عوامل الفتنة ودواعي الغواية ويرفع آدابه وتصوراته ومشاعره وذوقه كذلك"[3] و "ليشير إلى أن التبرج من مخلفات الجاهلية التي يرتفع عنها من تجاوز عصر الجاهلية وارتفعت تصوراته، ومثله، ومشاعره، عن تصورات الجاهلية، ومثلها، ومشاعرها. والجاهلية ليست فترة معينة من الزمان، إنما هي حالة اجتماعية معينة، ذات تصورات معينة للحالة، ويمكن أن توجد هذه الحالة وأن يوجد هذا التصور في أي زمان ومكان، فيكون دليلا على الجاهلية حيث كان".[4]

وإن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، المأمور بهما أمهات المؤمنين، والمسلمين كافة، كفيلان بتطهيرهن، وتطهير المسلمين من مظاهر تلك الجاهلية لقوله – تعالى-: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، فكيف بأثرها فيمن علا وسما عن الفحشاء والمنكر بعناية الله تعالى!! وهن أمهات المؤمنين، اللواتي قال لهن – سبحانه- : ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، لينير لهن بذلك الطريق المؤدي إلى السمو، وليملكهن الزاد الذي يتزودن به في سفرهن إلى الآخرة، وليربطهن بعرى الإسلام.

ويتجلى ذلك الهدف في نهاية الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وفي هذه العناية والرعاية ما يجعل الإنسان عاجزا عن الشكر والعرفان، مما يدفعه إلى بذل كل ما في وسعه من عمل لله – تعالى- لعله يبلغ مرضاته، فهو سبحانه الذي تكفل بالتطهير، وإذهاب الرجس، وجعل ذلك وعدا في كتابه العزيز، الذي يتلوه الملايين في كل زمان ومكان. مما يدفع بمن تم توجيههن لاتباع الوسائل السابق

---

١) سيد قطب: في ظلال القرآن ، ج٢٢، ص ٢٨٦٠

٢) المراد بالتبرج إبداء الزينة والمحاسن للرجال كالصدر والنحر، بأن تلقي المرأة خمارها على رأسها ولا تشده، فتظهر عنقها وقرطها وقلائدها. انظر التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج٢٢ ص١١.

٣) المرجع نفسه، ج٢٢، ص٢٨٦٠

٤) المرجع نفسه ، ج٢٢، ص ٢٨٦٠-٢٨٦١

ذكرها؛ إلى أن يجعلن تلك الوسائل واقعا عمليا في حياتهن، ويتخذنه منهجا راسخا في حياتهن.[1] وهو ما تحتاجه النساء في عصرنا، حيث الدعاوي العريضة، والاعلانات الصاخبة.

خامسا: المهمة التربوية:

لو تأملنا التوجيهات القرآنية السابقة الذكر، والتوجيهات القرآنية اللاحقة الذكر[2]؛ وجدنا أن عناية رب العالمين بنساء بيت النبوة، تترتب عليها مهمة عظيمة، شاء الخالق – سبحانه – أن يكلف بها هؤلاء النساء لما حظين به من منزلة كريمة تؤهلهن لذلك، تلك المهمة تتجلى في قوله – تعالى-: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[3]

وتتضمن هذه الآية تكليفهن – رضوان الله تعالى عنهن- بالوعظ، والتذكير، والنصح، والإرشاد، مستعينات على ذلك من فيض كتاب الله – تعالى-، وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم-، حيث جعل – سبحانه وتعالى – كتابه العزيز الذي يتلى في بيوتهن "كتابا جامعا بين آيات الله تعالى البينة الدالة على صدق النبوة بأوجه شتى، وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع"[4]. تمثل ذلك في جعل بيوتهن مهابط الوحي، وتنزل الحكمة البالغة والأحكام والعلوم والشرائع.[5]

وبما أنهن استقين تلك الحكمة من لسان زوجهن ومعلمهن، وثبتت في نفوسهن بفضل من الله – تعالى – ومنة؛ أصبح من الواجب عليهن أن يتكفلن بما ألقي على عاتقهن من تبليغ وأداء تلك المهمة التربوية.

لذا ختم – سبحانه وتعالى- هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾؛ ليعلمهن أنه بلطفه بهن؛ بلغن تلك المنزلة، وبخبرته بهن، وأنهن أهل لذلك؛ اختصهن بذلك التكليف.[6]

---

١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج٢٢، ص ٢٨٦١ بتصرف.
٢) المراد: التوجيهات القرآنية التربوية الموجهة لأمهات المؤمنين، التي سبق ذكرها في النقاط الأربع الأولي، والنقاط التي سيرد ذكرها بعد هذه النقطة، أي النقطة الخامسة
٣) سورة الأحزاب، الآية:٣٤
٤) الألوسي: روح المعاني ، ج٢٢ ، ص ٢٠-٢١
٥) وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج٢٢، ص١١ ، بتصرف.
٦) تفسير ابن كثير، المجلد الثالث، ص ٤٥٤ بتصرف.

سادسا: تسيير النفس لا تخييرها فيما يقضيه الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم-:

شمل هذا التوجيه حالة خاصة، ولكن فائدته ومحتواه عمّ المسلمين كافة، ولنبدأ بتوضيحه ممن بدأ بها هذا التوجيه؛ وهي أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش – رضي الله عنها- التي خاطبها الحق – سبحانه- بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا ﴾.[1]

وهل ياترى كان ذلك القضاء هيّنا على النفس؟ لم يكن ذلك القضاء هيّنا على نفسها – رضي الله عنها- فقد كان في تنفيذه من المشقة ما جعلها ترفضه في بداية الأمر، ولكن التوجيه القرآني حين يتنزل على من طهر الله قلبه، وجعله محلا لامتثال أشق الأمور، فإنه لا يتيح للشيطان فرصة للدعوة إلى الباطل وتزيينه، ولا يشعر العاقل إزاء التوجيه القرآني حينئذ إلا بالانقياد والمثول. وإن كان ذلك القضاء يستلزم نكاحها –وهي من أشراف قريش وسادتها- بمولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ، وهو زيد بن حارثة؛ الذي لم يرتق وضعه الاجتماعي إلا أن كان مملوكا وأصبح مولى، وهي طبقة أرقي من طبقة المماليك بقليل.

ولكن ذلك القضاء الذي شاء – سبحانه – أن يوجهها من خلاله؛ يدعوها، ويدعو زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويدعو المجتمع بأكمله، لإخضاع النفس لأمر الله تعالى، والرضا بقضائه. مما يؤدي إلى التحلي بالانقياد التام لأمره – سبحانه وتعالى- في كل الأحوال والظروف.

وقد كان لهذا التوجيه أثره الكبير في نفس السيدة زينب بنت جحش؛ فقد انقادت له بسرعة عجيبة، فبمجرد سماعها الأمر الإلهي قالت: (**إني أستغفر الله، وأطيع الله ورسوله، افعل يا رسول الله ما رأيت**).[2]

وفي إيضاح أثر تلك الآية في نفوس المسلمين يتحدث سيد قطب – رحمه الله تعالى- قائلا: "فهذا المقوم من مقومات العقيدة؛ هو الذي استقر في قلوب تلك الجماعة من المسلمين، استقرارا حقيقيا، واستيقنته أنفسهم، وتكيفت به مشاعرهم، هذا المقوم يتلخص في أنه ليس لهم في أنفسهم شيء، وليس لهم من أمرهم شيء، إنما هم وما ملكت أيديهم لله، يصرفهم كيف يشاء، ويختار لهم ما يريد، وإن هم إلا بعض هذا الوجود الذي يسير وفق الناموس العام، وخالق هذا الوجود ومدبره، يحركهم مع حركة الوجود العام، ويقسم لهم دورهم في رواية الوجود الكبيرة،

---

[1]) الآية:٣٦، الأحزاب.
[2]) الأصفهاني: حلية الأولياء، ج٢ ، ص٥٢

ويقرر حركاتهم على مسرح الوجود العظيم، وليس لهم أن يختاروا الدور الذي يقومون به، لأنهم لا يعرفون الرواية كاملة، وليس لهم أن يختاروا الحركة التي يحبونها، لأن ما يحبونه قد لا يستقيم مع الدور الذي خصص لهم، وهم ليسوا أصحاب الرواية ولا المسرح،[1] وإن هم إلا أجراء لهم أجرهم على العمل، وليس لهم ولا عليهم في النتيجة".

ثم يبين الأستاذ سيد قطب، التربية الاسلامية الفريدة، التي تحلت بها هذه الكوكبة. فيقول – رحمه الله–:

"وعندئذ رضيت نفوسهم بكل ما يأتي به قدر الله حين يصيبهم، لا بالجزع الذي يعالج بالتجميل، أو بالألم الذي يعالج بالصبر، إنما عادوا يستقبلون قدر الله استقبال العارف المنتظر المرتقب لأمر مألوف في حسه، معروف في ضميره، ولا يثير مفاجأة ولا رجفة ولا غرابة.

ومن ثم لم يعودوا يستعجلون دورة الفلك، ليقضوا أمرا هم يريدون قضاءه، ولم يعودوا يستبطئون الأحداث، لأن لهم أربا يستعجلون تحقيقه، ولو كان هذا الأرب هو نصر دعوتهم وتمكينها، إنما ساروا في طريقهم مع قدر الله ينتهي بهم إلى حيث ينتهي، وهم راضون مستروحون، يبذلون ما يملكون من أرواح وجهود وأموال في غير عجلة ولا ضيق، وفي غير منّ ولا غرور، وفي غير حسرة ولا أسف، وهم على يقين أنهم يفعلون ما قدر الله لهم أن يفعلوه، وأن ما يريده الله هو الذي يكون، وأن كل أمر مرهون بوقته وأجله المرسوم".

ويختم المرحوم سيد قطب، كلامه بالنتيجة التربوية، والغاية السلوكية، فيقول:

"إنه الاستسلام المطلق ليد الله تقود خطاهم وتصرف حركاتهم وهم مطمئنون لليد التي تقودهم، شاعرون معها بالأمن والثقة واليقين، سائرون معها في بساطة ويسر ولين.

وهم – مع هذا – يعملون ما يقدرون عليه، ويبذلون ما يملكون كله، ولا يضيعون وقتا ولا جهدا، ولا يتركون حيلة ولا وسيلة، ثم لا يتكلفون ما لا يطيقون. ولا يحاولون الخروج عن بشريتهم وما فيها من خصائص، ومن ضعف وقوة، ولا يدّعون ما لا يجدونه في أنفسهم من مشاعر وطاقات، ولا يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، ولا أن يقولوا غير ما يفعلون".[2]

وهذا المنهج الذي وضحه صاحب الظلال من خلال القرآن الكريم، حري به أن يُفهم، لأن فيه خيرا كثيرا، في الجوانب التربوية السلوكية.

---

١) ليسوا أصحاب الرواية ولا المسرح: يمكن القول عن هاتين الكلمتين أنهما: تقريب تمثيلي، يتضح من خلاله العمل المحدد لبني البشر في الحياة.

٢) سيد قطب: في ظلال القرآن ، ج٢٢، ص ٢٨٦٦– ٢٨٦٧

= سابعا: العون على الرضا بقضاء الله – تعالى- ، والعرفان بجميل رسول الله – صلى الله عليه وسلم-:

ويتمثل ذلك في قوله – تعالى-: ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾.[1]

شاء – سبحانه- أن يضع الحرج عن رسوله الكريم – صلوات الله تعالى وسلامه عليه- في القَسْم بين زوجاته؛ إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم، ولا جناح عليه في ذلك، وإن قسم فإن قسمته باختياره، وليست واجبة عليه، وأعلمه بذلك في قوله – تعالى-: ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾.[2]

وفي خطابه – سبحانه – لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتجلى التوجيه الضمني لأمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- وكأن سياق الكلمات القرآنية التي يُخاطب بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يقول لهن: عليكن أن تقر أعينكن بما أكرم الله تعالى، رسوله – صلى الله عليه وسلم- واختصه به. فإن طاعتكن لله تعالى، وانقيادكن لمشيئته لن يدع للحزن مجالا في نفوسكن لما يقضي به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بينكن في القسم، وإن ذلك مما يعينكن على الرضا والقبول بما تتلقينه من رسول الله – صلى الله عليه وسلم- من الإرجاء أو الإيواء[3].

وقد امتثلت أمهات المؤمنين هذا التوجيه؛ فقد روي عن عائشة: "أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- كان يستأذننا في يوم المرأة منا بعدما نزلت هذه الآية: ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ . . ﴾، **فقيل لها: ما كنت تقولين لرسول الله – صلى الله عليه وسلم-؟ قالت: كنت أقول: إن كان ذاك إليّ لم أوثر أحدا على نفسي.**[4]

ويشير جوابها إلى امتثالها لقضاء ربها، حيث تعترف أن مرد الأمر ليس إليها، فهو لله؛ ولذا فهي راضية به، ولكن لو كان لها، لما رضيت، ولما آثرت على نفسها زوجة أخرى من زوجاته عليه الصلاة والسلام-، لتنال من شرف القرب منه – صلى الله عليه وسلم- .

---

١) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٥١

٢) سورة الأحزاب، جزء من الآية:٥١

٣) قيل في مفهوم الإرجاء والإيواء عدة معان، أقربها: أن الإرجاء تأخير ضم بعض النساء وترك مضاجعتهن، والإيواء: ضم بعضهن ومضاجعتهن، روح المعاني، ج٢٢ ص٦١ (بتصرف يسير)

٤) سنن أبي داوود، كتاب النكاح، باب (٣٩) القسم بين النساء، رقم الحديث: ٢١٣٦، ج١ ص٦٤٩، حديث صحيح. انظر صحيح أبي داوود، الألباني، ج٢ ص٤٠١

= ثامنا: الحجاب وسيلة الطهر والعفاف:

الحجاب من التوجيهات المهمة التي عني بها القرآن الكريم في تهذيبه لنساء الأمة الإسلامية، بدءا بتوجيه أمهات المؤمنين إلى ضرورته، وحثهن على الاعتناء به، وفي ذلك يقول الحق- تبارك وتعالى-: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [1]، ويقول - سبحانه-: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[2].

يحث – سبحانه وتعالى – المسلمين على مراعاة ما فرضه على نساء النبي – صلى الله عليه وسلم- قائلا: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، ليجعل من ذلك الحجاب دافعا، وقاعدة تفرض الاحترام، والتوقير، في التعامل، والأخذ والعطاء، لا لنقصان تلك السمات من أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم-، أو خير صَحْبٍ عرفتهم الدنيا صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولكن لإعلاء شأن من اختصهن الله تعالى، برعاية بيت النبوة، ولتطهيرهن، وتطهير من يضطر لسؤالهن، أو التعامل معهن في أمر من الأمور، من كيد الشيطان ووساوسه، وفي ذلك يقول - سبحانه-: ﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾؛ فهذه الطهارة تستدعي الالتزام بالحجاب، دفعا "للخواطر الشيطانية التي تخطر للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال، فإن الرؤية سبب التعلق والفتنة"[3]، لذا كان الحجاب "أطهر للقلوب وأعف للضمائر وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة ، وعلى إشعار الجنسين بالأدب، وترقيق المشاعر والسلوك".[4]

ولم يقتصر توجيههن على الاحتجاب في البيوت، فالاحتجاب خارج البيت أهم وأولى، لذا قال – سبحانه وتعالى-: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾، وبهذا التوجيه شمل زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم – وبناته ونساء المؤمنين كافة.

وفي هذا التوجيه وماسبقه، تتضح الحكمة في البدء بأمهات المؤمنين – رضي الله تعالى عنهن-؛ حيث الاحتجاب في حقهن أولا أهم؛ ليكنّ قدوة لغيرهن من النساء، وليكون ذلك الحجاب حماية، ووقاية، وعناية ربانية لهذا الجنس خاصة.

---

١) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٥٣
٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩
٣) الألوسي: روح المعاني، ج٢٢ ، ص٧٣ .
٤) سيد قطب: في ظلال القرآن ، ج٢٢ ، ٢٨٧٨

تلك العناية تتجلى في قوله – تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾، فهو – سبحانه – يأبى أن تتعرض الطاهرة للأذى ولما تكره، ولا سيما زوجات حبيبه ومصطفاه،- صلى الله عليه وسلم- ومن هنا كان الاحتجاب وسيلة الستر والعفة، ووسيلة انتهاء الفساق عن التعرض للمرأة بما تكره؛ فإن "المرأة إذا كانت في غاية الستر والانضمام لم يُقدم عليها بخلاف المتبرجة فإنها مطموع فيها".[1]

ونظرا لما يقتضيه الأمر من ضرورة مراقبة الله – تعالى – في الحرص على عدم رفع الحجاب عند غير هؤلاء الأصناف؛ عقب – سبحانه – بقوله: ﴿ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾.، حيث إن "التقوى هي الضمان الأول والأخير وهي الرقيب اليقظ الساهر على القلوب".[2]

- تاسعا: التوبة والإصلاح:

وقد كان لهذا التوجيه سبب اقتضى التوعية والإرشاد، وفي ذلك يقول – سبحانه-: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ، عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾[3].

إن ظاهر سياق الآية الكريمة، فيه توجيه لاثنتين من زوجات رسول الله – صلى الله عليه وسلم- حصل لهن موقف لا يُعد في عرف غيرهن من النساء أمرا ذا بال، ولكن لكونه صدر منهن، وهن ذوات المنزلة الرفيعة المقربة، وجب عتابهن وتعليمهن.

وإن قيل ما الفرق بين أن يكون أمرا يلزم التوعية إذا صدر من أمهات المؤمنين، وليس كذلك إن صدر من غيرهن، فإن الاجابة تتضح من خلال القول أن: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وقد ذكرت كتب التفسير مناسبة هذه الآية، واختُلف في تلك المناسبة بين حادثتين، تختم كلاهما بتحريم الرسول – صلى الله عليه وسلم- على نفسه أمرا أحله الله – تعالى- له، مما دفع إلى معاتبة الخالق – عز وجل- له بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.[4]

---

١) الألوسي: روح المعاني، ج٢٢ ص٩٠
٢) المرجع نفسه، ج٢٢ ، ص٢٨٧٩
٣) سورة التحريم، الآيتان: ٤،٥
٤) سورة التحريم ، الآية: ١

وفي هذا العتاب توعية تسبق التوجيه بضرورة التوبة، ليتضح لهن أن ما أباحه الخالق سبحانه، لرسوله الكريم – صلى الله عليه وسلم- لا يحق لغيره أن يكون سببا في دفعه إلى تحريمه على نفسه، أو حرمان نفسه منه.

لذا قال – سبحانه وتعالى- بعد ذلك العتاب: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، ليرشدهما إلى الواجب الذي يقع على عاتقهما تجاه تلك المخالفة ، وهو سرعة التوبة والإنابة ، والرجوع إلى الحق.

ولكن ذلك التوجيه لم يقتصر على ذلك؛ وإنما تعدى إلى التهديد الذي يؤدي بهما إلى أن يستشعرا أن الإصرار على المخالفة سيؤدي إلى فقدانهما لتلك المنزلة التي ينعمان بها، لكونهما زوجتين لرسول الله –صلى الله عليه وسلم- ولكونهما تمثلان –مع غيرهن من أمهات المؤمنين- جانبا مهما في حياته، لما يتحملنه من دور له ضرورته وأهميته في جانب التبليغ. كما سيكون ذلك الإصرار سببا لإلغاء مهمتهن التي أوكلن بها. وفي ذلك يقول – سبحانه-: ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾،[1] فهذه الكلمات تدلهن على عظمة من ينصره ويعينه، ولو اكتفت الآية بذكر نصرة الله – تعالى- له، لكان في ذلك من التأديب ما يؤدي الغرض، ولكن ما صدر منهما يقتضي التشديد، لذا ذكر – سبحانه – الأنصار الآخرين، وهم جبريل والمؤمنون الصالحون، وإلى جانبهم الملائكة، الذين جعلهم الخالق – جل وعلا – أعوانا لرسوله الكريم – صلى الله عليه وسلم.

ثم تأتي الآية التالية للتغليظ، والتوعية، ولفت النظر إلى الصفات التي يجب أن تتصف بها أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، ولتؤكد أن كرامة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- عند ربه، تقتضي أن تتمتع نساؤه بالسمات التي يرتضيها الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم.

وقد ورد هذا التوجيه بصيغة شديدة الوقع على النفس؛ حيث قال – سبحانه- : ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾.

وعلى الرغم من كون سياق الآية، يفيد التهديد المشروط بوقوع الطلاق، إلا أنه تعليم "عن طريق الإيحاء والتلميح"،[2] والإشارة إلى أن ما يجب توافره في أمهات المؤمنين هو: "الإسلام: الذي تدل عليه الطاعة والقيام بأوامر الدين. والإيمان: الذي يعمر القلب، وعنه ينبثق الإسلام حين يصح ويتكامل. والقنوت: وهو الطاعة القلبية. والتوبة: وهي الندم على ما وقع من معصية ، والاتجاه إلى الطاعة. والعبادة: وهي أداة الاتصال بالله والتعبير عن العبودية له. والسياحة: وهي التأمل والتدبر

---

١) سورة التحريم، الآية: ٤

٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج٢٨، ص٣٦١٦

والتفكر في إبداع الله ، والسياحة بالقلب في ملكوته".[1] وهن – أي اللواتي سيستبدل بهن أمهات المؤمنين لو طلقهن الرسول صلى الله عليه وسلم- سيكن "من الثيبات والأبكار، كما أن نساءه الحاضرات كان فيهن الثيب وفيهن البكر".[2]

وأحس من هذا الخطاب – بصفتي امرأة- التأديب الأمثل، الذي يمس شغاف قلب المرأة، فلا يدع لها مجالا غير التوبة والإنابة؛ حيث تتميز الأنثى بالحساسية العميقة، التي تدفعها إلى البحث الدائم عن الدرجات التي تبلغها المراتب العليا، لبلوغ الأفضلية على غيرها من بنات جنسها. وفي قوله تعالى: ﴿ خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾، ما يصطدم وتلك الحساسية، فيوعيها إلى أمر قد غفلت عنه، فتندفع حينئذ إلى تلمس المنزلة التي بلغتها وتمتعت بها، مما يجعلها تعي خطورة ما غفلت عنه، فيؤدي ذلك بها إلى الرجوع، والإنابة، والرضا بالحال الذي كانت عليه . ومما يؤيد هذا القول، أنه – سبحانه- عقب موضحا، ومعلما لأمهات المؤمنين أن المنزلة الرفيعة التي ينلن بها الأفضلية إنما تتمثل في الصفات التي ذكرها – سبحانه- في معرض ذكره لصفات من يتوعد باستبدالهن بأمهات المؤمنين إن طلقهن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وذلك في قوله: ﴿ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾.

= عاشرا: الابتلاء وما فيه من خير:

وفي ذلك يقول – سبحانه وتعالى- : ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[3]، موجها الخطاب للسيدة عائشة –رضي الله عنها- خاصة ، ولمن شاركها آلامها ومعاناتها، لما قيل فيها من الإفك،[4] زورا وبهتانا.

وعلى الرغم من عظم هذا البلاء، وشدة وقعه على النفس، إلا أنه بلاء تحملته تلك الأسرة، التي تكفلت بحمل ثقل الرسالة، ومتطلبات التشريع والتبليغ، وما قدمته في سبيل ذلك من تضحيات ومهمات شاقة، يعد هذا البلاء جزءا منها. ومن هنا يكرم المولى – جل وعلا – السيدة عائشة، ومن تحمل الابتلاء معها؛ بالتوجيه الذي يعين على الصبر، ومواصلة تحمل الابتلاءات؛ فهي وسيلة التطهير والغفران لعباده في الدنيا، وطريق الأمان الموصل إلى الجنة في الآخرة.

---

١) المرجع نفسه
٢) المرجع نفسه
٣) سورة النور، جزء من الآية : ١١
٤) حديث الإفك، حديث مشهور روته السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- : انظر فتح الباري : كتاب الشهادات، باب(١٥)، تعديل النساء بعضهن بعضا، رقم الحديث ٢٦٦١، ج٥ ص٦٠١، وصحيح مسلم بشرح النووي: كتاب التوبة، باب (١٠)، في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، رقم الحديث: ٢٧٧٠، ج١٧، ص٨٧

فكان ذلك التكريم والتوجيه في قوله – سبحانه-: ﴿ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ ﴾، وإن كان ظاهره كذلك؛ فالظاهر أمر دنيوي عاجل، والدنيا بما فيها تسير إلى الفناء. ولكنه ﴿خَيْرٌ لَكُمْ ﴾، وخيريته تكمن في إظهار "غاية الشرف والفضل"[1]، لذلك البيت الكريم، وآل أبي بكر- رضي الله تعالى عنهم- . ولكونه السبب في "تبرئة أم المؤمنين، وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها، والأجر الجزيل لها في الفرية عليها، وموعظة المؤمنين ، والانتقام من المفترين"[2].

كما تكمن خيريته في كونه أمرا "يكشف عن حقيقة الكائدين للإسلام، ويكشف للجماعة المسلمة عن ضرورة تحريم القذف، وأخذ القاذفين بالحد الذي فرضه الله – تعالى- ، ويبين مدى الأخطار، التي تحيق بالجماعة لو أطلقت فيها الألسنة، تقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، فهي عندئذ لا تقف عند حد، إنما تمضي صعدا إلى أشرف المقامات، وتتطاول إلى أعلى الهامات، وتعدم الجماعة كل وقاية وكل تحرج وكل حياء. وهو خير أن يكشف الله للجماعة المسلمة – بهذه المناسبة- عن المنهج القويم في مواجهة مثل هذا الأمر العظيم".[3]

= حادي عشر: العناية الربانية بآل بيت النبوة خاصة، والمؤمنين عامة.

وتظهر تلك التوجيهات في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم. وكان السبب في تنزلها تساؤل السيدة أم سلمة – رضوان الله تعالى عنها- عن بعض الأمور، مما يشير إلى حرصها على حب الخير، و حب نوال أجره.

ومن **تلك التساؤلات:** قولها للرسول – صلى الله عليه وسلم- : **(يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة؟)**[4]، فأنزل الله – تعالى-: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[5]

وترتبط هذه الآية بما قبلها؛ وهو وصف للمؤمنين المتقين؛ الذين يتفكرون في خلق الله – تعالى-، ويذكرونه كثيرا، ويسألونه أن يقيهم العذاب، متوسلين في سؤالهم باستجابتهم وانقيادهم

---

١) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج٢ ، ص٣٢٨
٢) ابن جزي: التسهيل في علوم التنزيل، ج٣ ، ص٦١
٣) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج١٨ ، ص٢٥٠٠
٤) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب (٥) من سورة النساء، رقم الحديث: ٣٠٢٣
٥) سورة آل عمران ، الآية: ١٩٥

لدعوة الرسول – صلى الله عليه وسلم–، ويرجون بذلك مغفرة الذنوب وتكفير السيئات، والفوز بوعد الله تعالى، والنجاة من خزي يوم القيامة.[1]

وهذه الصفات، لا ترتبط بجنس واحد، فالجنسان مطالبان بها، وقادران عليها، لا فرق في ذلك بين رجل وامرأة، لذا عقب– سبحانه– مبينا أن أجر المتصف بتلك الصفات، –سواء أكان رجلا أم امرأة–، هو أمر بالغ الأهمية والعناية عنده – جل وعلا–، فقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ ﴾ يشير إلى سنته – سبحانه – مع عباده المتقين، وقوله: ﴿ لَهُمْ ﴾ ثم ﴿ مِنْكُمْ ﴾ فيه "إظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة، وتشريف الداعين بشرف الخطاب"[2].

وبذلك يبين – سبحانه – أنه "أجاب دعاءهم لصدق إيمانهم، وجازى كل عامل بعمله، سواء أكان ذكرا أم أنثى؛ فالذكور والإناث متساوون في الحقوق والواجبات، وفي الجزاء على صالح الأعمال، ولا غرابة في ذلك فهم من أصل واحد"[3].

وهذا الجزاء يناله كل من عمل عملا يريد به طاعة الله – عز وجل– ومرضاته؛ ومن ذلك العمل: الهجرة؛ ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾، فهؤلاء – رجال ونساء – قد تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان وفارقوا الأحباب، والإخوان، والخلان، والجيران، وضايقهم المشركون بالأذى حتى ألجأوهم إلى الخروج من بين أظهرهم، فقاتلوا وقتلوا، ولم يكن لهم ذنب إلا أنهم آمنوا بالله، فتحملوا في سبيله كل تلك الشدائد.[4]

لذا لم يقتصر الأجر على جنس واحد منهم فقط، فالجنسان، تحملوا ما يستحقون عليه الأجر والثواب. لذا عقب – سبحانه – بقوله: ﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾.

وبهذه الصيغة التي يظهر فيها جواب القسم، في قوله تعالى: ﴿ لَأُكَفِّرَنَّ ﴾ و ﴿ لَأُدْخِلَنَّهُمْ ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾، بمعنى (لأثيبنهم)، كل ذلك يفيد تعظيم الثواب وتفخيم شأنه، إضافة إلى تشريفه وإبراز قدره بتخصيصه، وأنه ثواب لا يقدر على إيجاده وإثابته للغير أحد، إلا الله تعالى، أفاد ذلك قوله – سبحانه–: ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾[5]

---

١) وردت هذه المعاني في سورة آل عمران، الآيات:١٩١ – ١٩٤
٢) الألوسي: روح المعاني، ج٤ ، ص١٦٧
٣) وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج٤، ٢٠٩
٤) تفسير ابن كثير، ج٤، ص٣٨٨ ، بتصرف.
٥) الألوسي: روح المعاني، ج٤ ، ص١٧٠

أما التساؤل الثاني الذي ورد عن السيدة أم سلمة – رضي الله عنها- فهو قولها: (يا رسول الله يغزو الرجال ولا تغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث)[1]، فأنزل الله – تعالى-: ﴿ وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾.[2]

ليتضح بذلك ثلاث حقائق مهمة، أولها: أن الناس مختلفون في الأفضلية والوظيفة والمكانة، والأنصبة في هذه الحياة[3]، وأن كل شيء نالوه وقُدّر لهم؛ إنما هو صادر من حكيم خبير[4]، لينظم بذلك العلاقة بين البشر، ويقيمها على الرضا، وعلى التكامل، وليشيع ذلك الرضا في البيوت وفي المجتمع بشكل عام.[5]

فعدم الرضى يعني الاعتراض على من أتقن كل شيء وأحكمه ، ودبر العالم بحكمته البالغة ونظمه. وعدم الرضا سبيل الحسد والتباغض، الذي لا يرتضيه الخالق – سبحانه- لعباده[6].

والحقيقة الثانية: أن "المنهج الإسلامي يتبع الفطرة في تقسيم الوظائف وتقسيم الأنصبة بين الرجال والنساء، والفطرة ابتداء جعلت الرجل رجلا، والمرأة امرأة، وأودعت كلا منهما وظائف معينة، لا لحسابه الخاص، ولا لحساب جنس منهما بذاته، ولكن لحساب هذه الحياة الإنسانية، التي تقوم وتنتظم وتستوفي خصائصها، وتحقق غاياتها – من الخلافة في الأرض وعبادة الله بهذه الخلافة- عن طريق هذا التنوع بين الجنسين، والتنوع في الخصائص، والتنوع في الوظائف. وعن طريق تنوع الخصائص، وتنوع الوظائف، ينشأ تنوع التكاليف، وتنوع الأنصبة وتنوع المراكز لحساب الشركة الكبرى، والمؤسسة العظمى؛ المسماة بالحياة" [7]، ومن هنا جاء الفصل في قوله تعالى: ﴿ لِلرِّجَالِ ﴾ و ﴿ لِلنِّسَاءِ ﴾، للتأكيد على "استحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه بحيث لا يتخطاه إلى غيره".[8]

أما الحقيقة الثالثة: فهي التوجيه إلى ضرورة التوجه بالطلب والسؤال إلى المعطي وصاحب الفضل؛ ففي ذلك غنى كبير عن الالتفات إلى التفاوت والاختلاف بين الأفراد، والتحسر على ذلك؛ فإن في ذلك ما يسوق إلى الحقد، والحسد، والحنق، وغيرها من أمراض القلوب، وما تسوق إليه من أعمال توسم بالانحراف غالبا.[9]

---

١) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب(٥)، رقم الحديث: ٣٠٢٢، ج٥ ص٢٢١
٢) سورة النساء، الآية: ٣٢
٣) سيد قطب: في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص ٦٤٣ ، بتصرف.
٤) الألوسي: روح المعاني، ج٥ ص ١٩ بتصرف
٥) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج٥ ص٦٤٣ ، بتصرف.
٦) الألوسي: روح المعاني، ج٥ ، ص٢٠ ، بتصرف
٧) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج٥ ، ص ٦٤٣
٨) الألوسي: روح المعاني، ج٥ ص٢٠
٩) سيد قطب: في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص٦٤٣ بتصرف.

وأما التساؤل الثالث فهو قولها – رضي الله عنها-: **(مالي أسمع الرجال، يُذكرون في القرآن، والنساء لا يُذكرن؟)**[1]، وفي هذا السؤال ما يشير إلى شفافية تلك النفس العظيمة، التي تحمل في ثناياها حب كل أنثى، وتبحث لها عن كل خير. لذا يتنزل الرد على هذا السؤال حاملا الفضل الكبير، والخير العظيم لها، ولأمهات المؤمنين ولكل مسلمة ومؤمنة، ليبين لهن جميعا، ما يرتضيه الخالق – جل وعلا – من صفات يجب أن تتحلى بها المرأة، فتنال بها المغفرة والأجر العظيم. وفي ذلك يقول – سبحانه-: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.[2]

هذه هي الصفات التي استحقت المرأة أن تذكر لأجلها، لأنها صفات طيبة ترتقي بمستوى الإنسان إلى درجة الكمال الذي يحبه الخالق – سبحانه-؛ فالإسلام، والإيمان، والقنوت، والصدق، والصبر، والخشوع، والتصدق، والصوم، وحفظ الفروج، وذكر الله كثيرا. كلها سمات ومقومات للشخصية الإسلامية، سواء أكانت تلك الشخصية رجلا أم امرأة، لذا كان ذكر المرأة إلى جانب الرجل، ورفع شأنها بهذه الصفات، جانب من الجوانب التي تبرز فيها عناية الإسلام "في رفع قيمة المرأة، وترقية النظرة إليها في المجتمع، وإعطائها مكانها، إلى جانب الرجل فيما هما فيه سواء من العلاقة بالله ، ومن تكاليف هذه العقيدة في التطهر والعبادة والسلوك القويم".[3]

لذا كان الأجر عظيما، والعطاء جزيلا؛ فليس هناك ما هو أعظم من المغفرة، والأجر العظيم، الذي وعد به الحق – تبارك وتعالى-.

وخلاصة القول، أن القرآن العظيم كان له أكبر الأثر في بناء تلك الشخصيات الشامخة في النقاء، وكمال الخلق، وطيب العطاء؛ فبفضل التربية القرآنية؛ برزت نساء عظيمات في رعاية بيوتهن، وحسن عشرتهن لسيد البشرية، والتزامهن بتنفيذ، وتحمل متطلبات بيت النبوة، ومشاق الدعوة.

حيث قدر المولى لهن، الفوز بلقب كريم، وأرشدهن إلى القيم الأساسية في الإسلام، ووضح لهن سبيل الكمال الأخلاقي، والقواعد الأخلاقية، والعبادية، اللائقة بهن، لكونهن زوجات لنبيه – عليه أفضل الصلاة والسلام-، وأمرهن بأداء دورهن التربوي الرائد في الدعوة الإسلامية، وأيقظ

---

١) السيوطي: الدر المنثور، ج٥ ، ص٢٠٠
٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٥
٣) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج٢٢ ص ٢٨٦٣

فكرهن إلى أن القضاء الإلهي، يقرر لأعضاء الدعوة التابعين للداعي الكريم، – عليه الصلاة والسلام– الخطوات السليمة، التي يتحقق من خلالها غرس التعاليم الشرعية في المجتمع، وعليهن الرضا والتسليم لتلك الخطوات، – وإن كانت شاقة ومضنية–. وبين لهن سبيل الطهر، والحشمة، والعفاف، والوقاية من الأذى، وأرشدهن إلى سبيل التوبة والإصلاح، واعتنى بهن توجيها وتوعية وتبصيرا.

المبحث الثاني
الحديث الشريف وأهميته في توجيه أمهات المؤمنين -رضي الله تعالى عنهن-

المطلب الأول: التوجيه إلى القول الحسن

المطلب الثاني: التوجيهات السلوكية

-أولا: توجيه سلوكي في ضبط النفس

-ثانيا: توجيه سلوكي في تطييب الخواطر

-ثالثا: توجيه سلوكي في ضرورة تعليم العدل

-رابعا: توجيه سلوكي في تلبية حاجة الطفولة

-خامسا: توجيه سلوكي في الارتقاء بالعلاقة الزوجية

-سادسا: توجيهات سلوكية في الأخلاق الفاضلة

المطلب الثالث: التوجيهات الفقهية والتفسيرية

-أولا: توجيهات تتعلق بإيضاح مفهوم بعض الآيات القرآنية الكريمة

-ثانيا: توجيهات تتعلق بالأعمال التعبدية

-ثالثا: توجيهات تتعلق بالطاعات

رابعا: توجيهات فقهية تحث على التقوى

-خامسا: توجيهات تتعلق بأمور غيبية

لم يقتصر فيض الأحاديث النبوية الشريفة، وتوجيهاتها القيمة، على صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فقد حظيت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن– بنصيب وافر؛ جعل منهن خير قدوة لنساء الأمة الإسلامية، ولاعجب في ذلك؛ فهن زوجات رسول البشرية كلها، " وقائدها، ومعلمها،– صلى الله عليه وسلم–، المثل الكامل، والأسوة الحسنة للرجال في حسن معاشرة أزواجه بالمعروف، والقسمة بينهن بالعدل في كل من المبيت، والنفقة، واللطف، والتكريم، وفي احتمال غضبهن، وغيرتهنّ، وتنازعهن، بالأناة والرفق، والموعظة الحسنة. كان يزورهن كلهن صباحا للوعظ والتعليم، ومساء للمجاملة والمؤانسة، وكن يجتمعن معه في بيت كل منهن، وكان يخدم في بيته، ويقضي حوائجه بيده – صلى الله عليه وسلم–"[1]

ولا شك أن ما أثر عنهن يمثل جزءا من التربية والتوجيه النبوي الكريم، الذي حظين به في بيت النبوة؛ فقد كان للأحاديث النبوية التي خوطبت بها أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن– أثر كبير في إعدادهن للمنزلة التربوية التي أُهّلْنَ لها.

وقد تنوعت موضوعات تلك الأحاديث، لتشمل نواحي متعددة في التربية والتعليم، – كالتوجيه إلى الأسلوب الأمثل في الحديث، وإلى السلوك الأصوب، وكذلك التوجيه والتوعية الفقهية.

---

١) الشلبي: نساء حول الرسول -صلى الله عليه وسلم- والرد على مفتريات المستشرقين. ص١١٣ .

المطلب الأول: التوجيه إلى القول الحسن

يتضح هذا التوجيه من خلال الأحداث المختلفة التي كان يصدر القول فيها من إحدى أمهات المؤمنين، فيستدرك الرسول – صلى الله عليه وسلم- على قولها، إن كان فيه شيء من الخطأ. ومن ذلك تعليمه –عليه الصلاة والسلام- السيدة عائشة خطورة الغيبة، وذكر عيوب الآخرين، عندما قالت: **(حسبك من صفية كذا وكذا،- قال بعض الرواة: تعني قصيرة، فقال: (لقد قلت كلمة لو مزجت بما ء البحر لمزجته).**[1]

وكذلك توجيهه إلى ضرر الفحش والتفحش في القول، وقد كانت مناسبة هذا التوجيه: **أن اليهود كانوا يأتون رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فيقولون (السام عليكم)، بدلا من السلام عليكم، – والسام الموت-، وهو ما أرادوه بقولهم، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يقول لهم: وعليكم، لايزيد عليها، فسمعتهم عائشة يوما، فقالت: بل عليكم السام واللعنة، فلما انصرفوا قال لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: (مهلا يا عائشة، إن الله يكره الفحش والتفحش، فقالت: يا رسول الله ، أما سمعت ما قالوا؟ قال لها: (أما سمعت ما قلت لهم، إني قلت لهم: ، وعليكم، فيستجيب الله لي فيهم، ولا يستجيب لهم فيّ).**[2]

أو يعلمهن القول الأصوب إن عجزن عنه؛ ومن ذلك أن السيدة صفية – رضي الله عنها- قالت: **(دخل علي رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وقد بلغني عن حفصة وعائشة كلام، فذكرت ذلك له، فقال: (ألا قلت فكيف تكونان خيرا مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى؟)، وكان الذي بلغها أنهم قالوا: نحن أكرم على رسول الله –صلى الله عليه وسلم- منها، نحن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم- وبنات عمه).**[3]

فتوجيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يبين الأصل الذي انحدرت منه السيدة صفية فهي من نسل هارون شقيق موسى – عليهما السلام-، وفي تذكيرها بهذا النسب، ما يزيل عنها الشعور بنقص القدر الذي عُيّرت به، ولم يكن له أساس من الصحة، فنسبها ذلك يبرز شرف أجدادها، والجذور التي انحدرت منها.

---

١) سنن أبي داوود ، كتاب الأدب، باب (٤٠) في الغيبة، رقم الحديث:٤٨٧٥، ج٢ ص٦٨٥، وقال الألباني: حديث صحيح. انظر صحيح أبي داوود، ج٣ ص ٩٢٣.

٢) فتح الباري، كتاب الدعوات، باب(٦٢) قول النبي – صلى الله عليه وسلم- يستجاب لنا في اليهود، ولا يستجاب لهم فينا، رقم الحديث ٦٤٠١، ج١٢ ص٤٩٦

٣) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب٦٤، ج٥، ص٦٦٥، فضل أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم- ، رقم الحديث: ٣٨٩٢، وقال: حديث غريب.

ومن التوجيه أيضا؛ إن كان في قول إحدى أمهات المؤمنين شيء يتطلب الانتهاء عنه لعدم جدواه. ومن ذلك موقف السيدة عائشة – رضي الله عنها- عندما ذكر لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم- آية التخيير وطلب منها، أن تختار: إما الله ورسوله والدار الآخرة، وإما الدنيا وزينتها، فاختارت الله ورسوله، وطلبت من الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن لا يخبر زوجاته الأخريات عن اختيارها، فبين لها – عليه الصلاة والسلام- عدم أحقيتها في هذا الطلب، قائلا: (**إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا**).[1]

وتبرز التوجيهات القولية كذلك، من خلال أسلوب القدوة، حيث يخاطبهن عليه الصلاة والسلام بالأسلوب الأمثل والأصوب، وقد يخاطب غيرهن أيضا على مسمع منهن ليتعلمن منه الأساليب المختلفة في مخاطبة الآخرين، والتي تتطلبها الظروف أحيانا، وتتطلبها الطبائع البشرية المختلفة.

ومن ذلك ما ورد عن السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، قالت: (**ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، ما دعاه أحد من أصحابه، ولا من أهل بيته، إلا قال: لبيك،**[2] **فلذلك أنزل الله** –تعالى- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾،[3] ولهذه الصيغة في الاستجابة أثرها الطيب، حيث تشعر الداعي بقدره وأهميته لدى من لبى له دعوته بهذه الكلمة اللطيفة.

أما أدبه – عليه الصلاة والسلام- في خطابهن، فيتجلى في موقفه قبل وفاته؛ حيث أخذ يتساءل: (**أين أنا غدا؟ أين أنا غدا، يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها**).[4]

كما تبرز التوجيهات القولية في تعليمه – صلى الله عليه وسلم- ضرورة الاستغفار، وطلب التوبة، والاعتراف بالذنب، وذلك في قوله – عليه الصلاة والسلام- للسيدة عائشة – رضي

---

١) جزء من حديث ورد في صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الطلاق، باب(٤)، بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بنية ، رقم الحديث: ١٤٧٨ ، ج١ ص٦٨

٢) الأصبهاني: أخلاق النبي –صلى الله عليه وسلم- وآدابه. ج١ ، ص٧٥، قال محقق الكتاب أن إسناد الحديث ضعيف جدا، ولكن يشهد له حديث كان خلقه القرآن وحديث آخر؛ وهو أن رجلا قال: يارسول الله فقال له: يا لبيك.

٣) سورة القلم، الآية: ٤

٤) فتح الباري، كتاب النكاح، باب (١٠٥)، إذا استأذن الرجل نساءه في أن يمرض في بيت بعضهن، فأذن له رقم الحديث : ٥٢١٧، ج١٠ ص٣٩٦، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب (١٣)، فضل عائشة، رقم الحديث ٢٤٤٣، ج١٥ ص ١٧٤

الله تعالى عنها- : (**يا عائشة، فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب، تاب الله عليه**).[1]

وبغض النظر عن سبب هذا التوجيه، وطهارة السيدة عائشة مما نُسب إليها، إلا أن هذا القول أبرز حرصه – عليه الصلاة والسلام- على تعليم الحق، الذي يجب أن يلوذ الإنسان به دائما، ليطهر نفسه من الدنس الذي ارتكبه؛ فعلى الرغم من كون السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- بريئة من الذنب، إلا أن الحادثة تستدعي التوجيه والتوعية، للإفادة بأن كل ما سواها من الذنوب – لو وقعت- فإن الاستغفار والتوبة هما المسعفان والمخرجان منها.

ومن أوجه تعليم الأدب في القول أيضا؛ استثارة الآخرين بأسلوب ينبئ السامع بحاجة المتكلم الماسة إلى سماع الإرشاد، وحاجته إلى أن يجتهد السامع في الإشارة بما ينفع، ويتضح ذلك في قصة بدء الوحي، عندما جاء الرسول – صلى الله عليه وسلم- من الغار، فزعا مما سمعه من جبريل – عليه السلام-، فقال للسيدة خديجة – رضي الله عنها- : (**لقد خشيت على نفسي**)،[2] فوعت السيدة خديجة مدى تلك الخشية؛ فأجابت بما يناسب مقدارها من الحاجة إلى الطمأنينة وهدوء البال.[3]فبدأت بقول: (كلا) لتنفي جميع أسباب الخشية. ثم عقّبت بما يؤيد ذلك.

وأخيرا؛ توجيهه – صلى الله عليه وسلم- لأزواجه، من خلال مخاطبتهن بالأسلوب الذي يشعرهن بضرورة الملاطفة في الحديث، وتطييب الخواطر، والترويح المباح، وتنقية النفوس . ومن ذلك: مزاحه – صلى الله عليه وسلم- مع السيدة عائشة، بقوله: (**ما ضرك لو مت قبلي، فقمت عليك، فغسلتك، وكفنتك، وصليت عليك ودفنتك؟) فقالت: لكأني بك والله، لو فعلت ذلك، لرجعت إلى بيتي، فعرست فيه ببعض نسائك، قالت: فتبسم رسول الله – صلى الله عليه وسلم-. . .**).[4]

ومن خلال تلك الصور، نلحظ كيف كان – عليه الصلاة والسلام- يخاطبهن بالأسلوب الذي يوجههن به إلى إدراك أهمية ذلك الأسلوب وضرورته في تحقيق العلاقات الجيدة، وغرس بذور

---

١) هذا التوجيه ورد ضمن قصة الإفك، انظر فتح الباري، كتاب الشهادات، باب(١٥)، تعديل النساء بعضهن بعضا، رقم الحديث٢٦٦١، ج٥ ص٦٠١، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب التوبة، باب (١٠) في حديث الإفك، رقم الحديث٢٧٧٠، ج١٧ ص٨٧.

٢) فتح الباري، كتاب بدء الوحي، باب(٣)، رقم الحديث: ٣ ، ج١ ص٣٣ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب

(٧٣)، بدء الوحي إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم- رقم الحديث: ١٦٠، ج١ ص١٦١

٣) ذلك الجواب هو حديثها المشهور: (كلا والله لا يخزيك الله أبدا . . .)

٤) سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب (٩)، ماجاء في غسل الرجل امرأته وغسل المرأة زوجها، رقم الحديث: ١٤٦٥. ج١ ص٤٧٠ ، وقال الألباني: حديث حسن، انظر صحيح ابن ماجة، ج١ ص٢٤٧.

المحبة الصادقة. حيث يؤدي المزاح اللطيف إلى الترويح عن النفوس، وتجديد الشعور بلطف الآخرين، ومودتهم.

المطلب الثاني: التوجيهات السلوكية

وتبرز التوجيهات السلوكية في المواقف المختلفة التي تعرضت لها أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، فتطلب الأمر علاج تلك المواقف بالأسلوب المناسب لها، وتوجيههن إلى السلوك الأمثل الذي يجب اتخاذه. وفيما يأتي إيراد لبعض المواقف:

أولا: توجيه سلوكي في ضبط النفس:

روي عن السيدة أم سلمة – رضي الله عنها– أنها قالت: **(لما مات أبو سلمة، قلت: غريب، وفي أرض غربة، لأبكينه بكاء يُتحدث عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه، إذ أقبلت امرأة من الصعيد،[1] تريد أن تسعدني[2]، فاستقبلها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وقال: أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتا أخرجه الله منه،– مرتين– فكففت عن البكاء، فلم أبك)**[3]

وذلك هو السلوك الصائب، فالحزن على الميت، وذرف الدمع عليه، أمر لا بأس به، أما الصراخ والنواح، وتشقيق الجيوب، فهو المنهي عنه، وهو الأمر الذي أدركته السيدة أم سلمة – رضي الله تعالى عنها– من خلال توجيه الرسول – صلى الله عليه وسلم– بقوله مرتين: **(أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتا أخرجه الله منه؟)**، فعلمت أنما همّت به – رضي الله تعالى عنها– عمل من أعمال الشيطان، فانتهت عنه.

ثانيا: توجيه سلوكي في تطييب الخواطر:

عالج الرسول – صلى الله عليه وسلم–، نفسيات أزواجه الطاهرات، وعلمهن السلوك الأمثل، الذي ينبغي أن يتخذ في بعض المواقف؛ ومثال ذلك؛ ما ورد عن السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، قالت: **(أهدي لرسول الله – صلى الله عليه وسلم– قلادة من جزع، ملمّعة بالذهب، ونساؤه مجتمعات في بيت كلهن، وأمامة بنت أبي العاص بن الربيع،[4] جارية تلعب في جانب البيت بالتراب، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: (كيف ترين هذه؟)، فنظرنا إليها، فقلنا: يا رسول الله! ما رأينا أحسن من هذه قط ولا أعجب! فقال: (اردنها إلي)، فلما أخذها، قال:**

---

١) المراد بالصعيد هنا عوالي المدينة، وأصل الصعيد ما كان على وجه الأرض، انظر حاشية صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنائز، رقم الحديث ٩٢٢، ج٦ ص٢٢٤

٢) المراد: أن تساعدني في البكاء والنوح، نفس المرجع.

٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجنائز، باب(٦)، البكاء على الميت، رقم الحديث : ٩٢٢، ج٦، ص١٨٨

٤) أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد مناف القرشية، أمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولدت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة رضي الله عنهما. انظر أسد الغابة لابن الأثير، ج٥ ص٤٠٠

(والله لأضعنها في رقبة أحب أهل البيت إلي)، قالت عائشة: فأظلمت علي الأرض بيني وبينه، خشية أن يضعها في رقبة غيري منهن، ولا أراهن إلا قد أصابهن مثل الذي أصابني، ووجمن جميعا، فأقبل بها حتى وضعها في رقبة أمامة بنت العاص، فسُرِّيَ عنا).[1]

وبذلك؛ يتضح الأسلوب التربوي الأمثل، فقد علمهن – صلى الله عليه وسلم- الإجراء المناسب الذي تُستمال به القلوب إلى القناعة والرضا، ويُتجنب فيه أي خلل نفسي، قد ينتج عن سوء التصرف في مثل هذه الأحوال؛ كالتحيز والميل إلى البعض.

ثالثا: توجيه سلوكي في ضرورة تعليم العدل:

تقول السيدة عائشة – رضي الله عنها- كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يقسم بين نسائه، ثم يعدل، ثم يقول: **(اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك).**[2]

ويتضح من هذا القول، أنه – عليه الصلاة والسلام-، على الرغم من كون القسمة بين نسائه أمر عائد إليه، لا يؤاخذ على الكيفية التي يشاؤها في القَسْم، إلا أنه – صلى الله عليه وسلم-، قد سلك المسلك الذي يربي فيه أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن – ليقتدين به في عدله، وذلك بالوفاء لكل واحدة منهن بنصيب يجعلها قريرة العين وراضية، بل وسعيدة لما حظيت به من عنايته – صلى الله عليه وسلم-. ومما يشير إلى ذلك قول السيدة عائشة: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان قلّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها. ولقد قالت سودة حين أسنت وفرقت[3] أن يفارقها رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: يا رسول الله، يومي لعائشة، فقبل ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم-منها.)**[4].

ويتضح من قولها – رضي الله تعالى عنها-، أن السلوك الذي كان يسلكه الرسول – صلى الله عليه وسلم- معهن جميعا، هو مصدر سعادتهن، وشعورهن بالرعاية التامة؛ فرؤية كل واحدة منهن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يوميا، واقترابه منها، ومؤانسته لها. كل ذلك يغرس في نفس كل واحدة منهن الشعور بأنها صاحبة النصيب الأوفر، والحظ الأكبر، وإن ذلك مما يدخل السرور إلى قلوبهن، ويمنحهن الثقة في العدالة الزوجية التي قررها الإسلام، والتي طبقها الداعية إليها، مما يهون من أمر الغيرة.

---

١) الهيثمي: مجمع الزوائد ج٩، ص٢٥٥، وقال إسناده حسن.

٢) الترمذي، كتاب النكاح، باب (٤١) ما جاء في التسوية بين الضرائر، رقم الحديث: ١١٤٠، ج٣ ص٤٤٦، وقد صحح المرسل على المتصل.

٣) فرقت : أي فزعت وأشفقت. انظر لسان العرب، ج١٠، ص٣٠٤

٤) سنن أبي داوود، كتاب النكاح،، باب (٣٩) ، في القسم بين النساء، رقم الحديث: ٢١٣٥، ج١ ص٦٤٩، وقال الألباني حديث حسن صحيح، انظر صحيح أبي داوود، ج٢ ص٤٠٠

ومما يعكس تلك الحقيقة، أن الواحدة منهن تقبل البقاء عنده زوجة، مع التنازل عن حقوق الزوجية؛ وذلك ما اتضح من موقف السيدة سودة – رضي الله تعالى عنها- التي جعلت يومها لعائشة، مقابل أن تبقى زوجة له في الدنيا والآخرة، مما يشير إلى شعورها بالفوز العظيم الذي نالته عندما أصبحت زوجا لسيد البشرية – صلى الله عليه وسلم-.

رابعا: توجيه سلوكي في تلبية حاجة الطفولة:

يتجلى هذا التوجيه في المواقف التي كان يسلكها النبي – صلى الله عليه وسلم- في السنوات الأولى من زواجه من السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، حيث كانت آنذاك لاتزال بحاجة إلى لهو الطفولة ومرحها[1]، ولم يكن ذلك غائبا عن فهم الرسول – عليه الصلاة والسلام-. لذا كان يلبي لها تلك الحاجة، لإشباعها، وتوجيهها. مما جعلها تعي ذلك التوجيه، وتوصي به.

ومن المواقف السلوكية للرسول – صلى الله عليه وسلم- في غرس ذلك التوجيه، ما روته السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، قالت: **(رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة في المسجد، حتى أكون أنا الذي أسأم، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو).**[2]

ويتضح من هذا الموقف، أنها تستمتع برؤية الحبشة وهم يلعبون بالحراب، – وهو لعب هادف، وليس عابثا-، ولذا كان – عليه الصلاة والسلام- يحرص على أن يحقق لها تلك المتعة. وفي نفس الوقت لم يكن يقلل من قيمة التمتع، ويطلب منها الانتهاء عن النظر إليهم بعد وقت يحدده هو لها، بل كان يمنحها الوقت الذي تحقق فيه القدر المناسب والمفيد.

ومن المواقف الأخرى ما ذكرته السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- في وصف بداية زواجها من الرسول – صلى الله عليه وسلم-، حيث تقول: **(كنت ألعب بالبنات عند النبي – صلى الله عليه وسلم- وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- إذا دخل يتقمّعن[3] منه، فيُسرّبهن[4] إليّ فيلعبن معي).**[5]

وهنا نلمس تلبية حاجة أخرى إلى جانب حاجة اللهو والمرح، وهي حاجة الطفل إلى أترابه، وهو عامل مهم في تربيته، ليكون قادرا على إقامة العلاقات الاجتماعية على المودة والتفاهم.

---

١) عقد عليها الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهي بنت ست سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين، انظر أسد الغابة، لابن الأثير، ج٥، ص٥٠١

٢) فتح الباري، كتاب النكاح، باب (١١٥) نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم، رقم الحديث: ٥٢٣٦، ج١٠ ص٤٢١

٣) يتقمّعن: أي يتغيّبن أو يدخلن في بيت، أو من وراء ستر. انظر لسان العرب، ج٨، ص٢٩٤

٤) فيسرّبهن: أي يرسلهن. انظر المرجع نفسه، ج١، ص٤٦٢

٥) فتح الباري، كتاب الأدب، (٨١) الانبساط إلى الناس، رقم الحديث: ٦١٣٠ ، ج١٢ ص١٥٨، وصحيح مسلم، بشرح النووي،كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة أم المؤمنين (١٣) رقم الحديث: ٢٤٤٠، ج١٥ ص١٧١

وقد لبى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- للسيدة عائشة تلك الحاجة؛ حيث لم يكن حياء الجواري منه – صلى الله عليه وسلم-، أمرا ليس بذي بال عنده، وهو من هو في تلك المنزلة والمكانة السامية؛ لذا عالج – عليه الصلاة والسلام- هذا الأمر بأسلوب يصقله وينميه؛ وهو أنه – صلى الله عليه وسلم- احترم حياءهن منه أثناء دخوله على السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- لأن الحياء في ذلك الوقت، هو الأمر المرغوب فيه خلقيا، أما عند خروجه – صلى الله عليه وسلم- فالحاجة تستدعي أمرا آخرا؛ حيث يصبح الوقت مناسبا للعودة إلى اللعب مرة أخرى، لذا كان – عليه الصلاة والسلام- يُسعدها بإعادة إدخالهن عليها.

خامسا: توجيه سلوكي في الارتقاء بالعلاقة الزوجية:

ويبرز ذلك في عدة مواقف، طبقها الرسول – صلى الله عليه وسلم- ليكرم بذلك زوجاته الطاهرات، ويشعرهن بحبه ، وعنايته بهن.

ومن ذلك، موقفه من السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، **عندما استأذن أبو بكر الصديق – رضي الله تعالى عنه- على النبي – صلى الله عليه وسلم- فسمع صوت عائشة عاليا، فلما دخل، تناولها ليلطمها، وقال: ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فجعل النبي – صلى الله عليه وسلم- يحجزه، وخرج أبو بكر مغضبا، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم- حين خرج أبو بكر، كيف رأيتني أنقذتك من الرجل، قال: فمكث أبو بكر، أياما، ثم استأذن على رسول الله – صلى الله عليه وسلم- فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما، فقال النبي – صلى الله عليه و سلم- قد فعلنا قد فعلنا).**[1]

ويتضح من هذا السلوك أن الرسول – صلى الله عليه وسلم-، كان حريصا على حماية العلاقة الزوجية، فهو الإنسان الكامل الذي لا يقبل أن تشوب تلك العلاقة أي شائبة، ولم يكن يرضَ ذلك لأزواجه الطاهرات؛ لذا تدخّل – عليه الصلاة والسلام- ليحول بين سيدنا أبي بكر الصديق وبين السيدة عائشة، ليتكفل بمفرده – صلى الله عليه وسلم- بعلاج ما صدر منها، وليكرمها بذلك، ويشعرها بحبه لها، وفي هذا السلوك ما يدحر منغصات الحياة بين الزوجين، ويغرس فيها بذور الترابط والتكاتف بينهما. وبذلك تنمو العلاقة الزوجية على التفاهم والاحترام والتقدير. وهذه هي التربية النبوية التي يجب أن تكون نبراسا يستضاء به في الحياة.

ومما يؤيد ذلك، أنه – عليه الصلاة والسلام- عندما خرج أبو بكر الصديق – رضي الله تعالى عنه- أخذ يترضاها، إلى أن عادت إلى هدوئها، بل وتحقق بذلك إسعادها، وسرورها، حيث

---

١) سنن أبوداوود، كتاب الأدب، باب (٩٢) ما جاء في المزاح، رقم الحديث: ٤٩٩٩، ج٢ ص٧١٨.

عاد سيدنا أبوبكر ورأى الحال قد تبدل كثيرا، بدليل أنه رغب في مشاركتهما الحال الطيب الذي غدوا عليه، وهو السّلم كما عبّر عنه – رضي الله تعالى عنه-.

ومن المواقف الأخرى التي تشير إلى توجيهه – صلى الله عليه وسلم- أزواجه، وتوعيتهن إلى حسن عشرته لهن، وحبه في غرس أطيب المشاعر بينه وبينهن؛ ما روته السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- قالت: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يعطيني العَرق،[1] فأتعرقه، ثم يأخذه، فيضع فاه على موضع فيّ، ويعطيني الإناء، فأشرب، ثم يأخذه ، فيضع فاه على موضع فيّ)**.[2]

وهنا تذكر السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- هذا الموقف ذكرا يشير إلى شعورها بالسعادة النابعة من ذلك السلوك، حيث يبرز فيه تكريم الرسول – صلى الله عليه وسلم-؛ بأن يضع فاه على الموضع الذي أكلت منه، ليشعرها بحبه الشديد لها، أن أخذ يتلمس الموضع الذي أكلت منه، ليلتقي أثر ريقها بريقه – عليه الصلاة والسلام-. وذلك – مما لا شك فيه – من الأمور الفاعلة والمؤثرة في السمو بالعلاقة الزوجية.

وقد كان – صلى الله عليه وسلم- يحرص على أن تبقى الحياة الزوجية، نقية من كل ما من شأنه أن يعكر صفوها، لذا كان – عليه الصلاة والسلام- يتجنب الضرب، في بيوتاته، وخارجها، ولم يقتصر –عليه الصلاة والسلام – على نفسه في ذلك الحرص، بل كان ينفر غيره من المسلمين أيضا. وفي ذلك تقول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- : **(ما ضرب رسول الله – صلى الله عليه وسلم- شيئا قط بيده، ولا امرأة ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط، فيكون هو الذي ينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك، شيء من حرمات الله فينتقم لله – عز وجل)**.[3]

وهذه الصورة تبرز الخلق العظيم الذي كان عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، حيث كان يتجنب السوء والإساءة، ولم يكن – عليه الصلاة والسلام- يمد يده بالضرب، إلا في الجهاد، ولم يكن ينتقم لنفسه أبدا إن أساء إليه أحد، إلا أن تكون تلك الإساءة مما تنتهك به الحرمات، وحينها لا تأخذه في الله لومة لائم.

---

١) العرق: بسكون الراء، هو العظم إذا أخذ منه معظم اللحم. انظر لسان العرب ج١٠ ص٢٤٤

٢) مسند أحمد، ج٦ ، ص٦٤، وإسناده صحيح. انظر المسند للإمام أحمد شرح حمزة الزين ج١٧ ص٣٠٥

٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفضائل، باب (٢٠)، مباعدته – صلى الله عليه وسلم- للأثام، واختياره من المباح أسهله رقم الحديث: ٢٣٢٨، ج١٥ ص٧١

سادسا: توجيهات سلوكية في الأخلاق الفاضلة:

ورد كثير من التوجيهات التي تحض على الأخلاق الحميدة الفاضلة، والتي حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم- على غرسها في نفوس أمهات المؤمنين، لتصبح تلك الأخلاق ممارسات عملية، يطبقنها في كل الأحوال والظروف، ليكن بذلك قدوة حسنة لغيرهن. وقد كان ذلك والحمد لله .

ومن ذلك ما يلي:

أولا: احترام الآخرين:

يحث الرسول- عليه الصلاة والسلام-، أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- على احترام الآخرين. ومن ذلك أنه – **صلى الله عليه وسلم- اجتمع عنده نساؤه في الوجع الذي توفي فيه، فقالت صفية بنت حيي: (أما والله يا نبي الله، لوددت أن الذي بك بي)، فغمزنها أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم-، وأبصرهن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فقال: (مضمضن[1]، فقلن: من أي شيء يانبي الله؟ قال: من تغامزكن بصاحبتكن، والله إنها لصادقة).**[2]

وهذا الموقف يبين كيف دفعتهن الغيرة إلى التقليل من شأن قول السيدة صفية – رضي الله تعالى عنها-، ولكن الحقيقة ليست كذلك، فقولها كان حقا، كما شهد بذلك الرسول – صلى لله عليه وسلم-، ليعلم أمهات المؤمنين ضرورة احترام الآخرين، وتقدير أقوالهم وأفعالهم.

ثانيا: التواضع:

تجلى خلق التواضع في شخص رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بأجمل معانيه، وكان بذلك السلوك، قدوة لأمهات المؤمنين، ولغيرهن من المسلمين.

ومما يشير إلى ذلك من سيرته – عليه الصلاة والسلام- ما ورد عن السيدة عائشة قالت: **(قلت يا رسول الله كُل – جعلني الله فداك- متكئا، فإنه أهون عليك، قالت: فأصغى برأسه[3] حتى كاد أن يصيب جبهته الأرض، ثم قال: (بل آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد).**[4]

ويتضح في هذا السلوك التطبيق التربوي، الذي شاء – عليه الصلاة والسلام-، أن يعلمه أم المؤمنين السيدة عائشة – رضي الله عنها-، ولم يكتف بذلك فحسب، فقد عقّب بقوله: **(بل آكل كما**

---

١) مضمضن: المضّ هو الحُرقة، وأمضّني أي أحرقني وشقّ عليّ. انظر لسان العرب، ج٧، ص ٢٣٣

٢) ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص١٢٨، وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٣٥ وقال المحقق: رجاله ثقات.

٣) أصغى برأسه: أي مال برأسه. انظر لسان العرب، ج١٤، ص٤٦٠

٤) الأصبهاني: أخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم- وآدابه، ج١ ، ص٣٩١. قال محقق الكتاب إسناد هذا الحديث ضعيف، ولكنه حسن بشواهده، وأصل الحديث في الصحيحين. ص٣٩٣

يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد)، ليؤكد لها ضرورة التواضع في كل شيء، بما في ذلك الجلوس والأكل. وإن ذلك من الأمور التي يفضلها رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فهو الذي خيره ربه بين أن يكون عبدا نبيا أو ملكا نبيا، فاختار – عليه الصلاة والسلام–، ما كان يمليه عليه حبه لله – تعالى–، ورغبته في تجنب كل ما من شأنه أن يؤثر في تلك المحبة. حيث انصرف عن محبة كل شيء سواه. لذا فضّل أن يكون عبدا نبيا.

ثالثا: البر والكرم والتبسم:

تمثلت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن– كل الصفات الطيبة التي استقينها من رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وعلمنها غيرهن، بكل اعتزاز، أن كان مصدر تلك الأخلاق، هو سيدهن ومعلمهن؛ وفي ذلك تقول السيدة عائشة، عندما سئلت: **(كيف كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إذا خلا؟ فقالت: كان أبرّ الناس، وأكرم الناس، ضحّاكا[1]، بسّاما– صلى الله عليه وسلم–)**[2].

رابعا: الشكر على النعمة:

وقد كان هذا الخلق من الأخلاق العملية التي كان الرسول – صلى الله عليه وسلم– يحرص عليها دائما، ويحض أمهات المؤمنين عليها.

ومن مواقفه العملية – عليه الصلاة والسلام–، في توجيه أمهات المؤمنين إلى شكر الله – تعالى– على نعمه، ما ورد عن السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، قالت: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إذا نظر في المرآة، قال: اللهم كما حسنت خلْقي، فحسن خُلُقي)**.[3] وهنا يتضح الشكر على النعمة في عرفانه صلى الله عليه وسلم لخالقه بأن تكرم عليه بحسن الخلقة، لذا سأل ربه أن يتكرم كذلك ويمُنّ عليه بحسن الخُلُق.

---

١) ضحكه – عليه الصلاة والسلام – لا يتجاوز التبسم، كما هو متواتر، فكثرة ضحكه، كناية عن كثرة تبسمه، وهو بالتالي كناية عن كثرة بشاشته.

٢) الأصبهاني: أخلاق النبي– صلى الله عليه وسلم– وآدابه،ج١، ص١٣٠. قال المحقق إسناد الحديث ضعيف جدا، ولكن لمتنه شواهد تغني عنه من هذا الطريق، والله أعلم. ص١٣١

٣) الأصبهاني: أخلاق النبي وآدابه، ج٣ ص٨٨. قال المحقق: إسناده ضعيف، ص٨٩

خامسا: القناعة باليسير:

كان الرسول – صلى الله عليه وسلم- يربي أمهات المؤمنين على القناعة والرضا باليسير، ولم يكن – صلى الله عليه وسلم- يظهر القناعة فحسب، بل ويثني على اليسير، ثناء يشعر وكأنه ملك الدنيا بأكملها.

ومن ذلك ما ورد عن عائشة، أن النبي – صلى الله عليه وسلم- قال: **(نعم الإدام الخل)**[1].

سادسا: الصدق:

الصدق خلق عظيم، أمر الإسلام به، وعدّه سلوكا مهما يقود الإنسان إلى البر وإلى الجنة، وقد حث الرسول – صلى الله عليه وسلم-، عليه كثيرا، وبين مدى خطورة الكذب، وإن كان صغيرا.

ومن توجيهاته – عليه الصلاة والسلام- في ضرورة تحري الصدق؛ ما كان منه يوم تزوج السيدة عائشة. وكان ممن أدخلها عليه السيدة أسماء بنت عميس، وذكرت –رضي الله تعالى عنها- ذلك، فقالت: **(كنت صاحبة عائشة التي هيأتها، وأدخلتها على رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ، ومعي نسوة، قالت: فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدح من لبن، فشرب منه، ثم ناوله عائشة، فاستحيت الجارية، فقلنا: لاتردي يد رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، خذي منه، فأخذت على حياء، فشربت منه، ثم قال: (ناولي صواحبك)، فقلنا: لا نشتهيه، فقال: (لا تجمعن جوعا وكذبا)، فقلت: يا رسول الله، إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه، لا أشتهيه، يعد ذلك كذبا؟ قال: (إن الكذب يكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة).**[2]

سابعا: الرعاية والعناية:

يشمل هذا الخلق حالات متعددة، فالطفل والمريض، والكبير، والضعيف. كل أولئك بحاجة إلى الرعاية والعناية، وقد حث الرسول – صلى الله عليه وسلم- أمهات المؤمنين على هذا الخلق، بالأسلوب العملي والمؤثر.

ومن ذلك، ما ذكره عطاء بن يسار – رضي الله تعالى عنه-: قال: **(كان أسامة بن زيد – رضي الله تعالى عنهما- قد أصابه الجدري أول ما قدم المدينة، وهو غلام، مخاطه يسيل على**

---

١) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الأشربة، باب ٣٠ فضيلة الخل والتأدم به، رقم الحديث: ٢٠٥١، ج١٤ص٦

٢) الهيثمي: مجمع الزوائد، ج٤ ، ص٥١، وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير، وفيه أبو شداد عن مجاهد، روى عنه ابن جريج ويونس بن يزيد، وبقية رجاله رجال الصحيح. وذكر رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن أنها قالت: قينت عائشة . . وذكر الحديث، وقال رواه الطبراني في الصغير، وحديث أسماء أصوب.

فيه، فتقذر به عائشة – رضي الله تعالى عنها-، فدخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فطفق يغسل وجهه، ويقبله، فقالت: عائشة: أما والله، بعد هذا فلا أقصيه أبدا).[1]

ثامنا: الوفاء:

وجّه الرسول – صلى الله عليه وسلم-، أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالى عنهن- إلى خلق الوفاء، بالتطبيق العملي السلوكي؛ فقد كان – عليه الصلاة والسلام-، وفيا لتلك التي آزرته، وجاهدت معه في سبيل تبليغ دعوته، ونصرته، بكل إمكاناتها. فكان وفاؤه لها، قولا وعملا؛ حيث كان عليه – الصلاة والسلام – يذكرها دائما، ويثني عليها، لدرجة أن كان ذلك سببا في غيرة السيدة عائشة منها؛ وقد قالت ذات يوم عنها: **ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق**[2] **قد أبدلك الله عز وجل بها خيرا منها؟ فقال: (ما أبدلني الله – عز وجل- خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله – عز وجل- ولدها إذ حرمني أولاد النساء).**[3]

وتعرب السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- عن غيرتها لكثرة ثنائه – صلى الله عليه وسلم- على السيدة خديجة، فتقول: **(ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنت أسمعه – صلى الله عليه وسلم- يذكرها، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، وإن كان ليذبح الشاة ، ثم يهدي خلتها منها).**[4]

وبهذه الحقيقة تفصح السيدة عائشة، عن حقيقة ذلك الوفاء، الذي كان بالفعل قولا وعملا.

وقد علّم رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، أزواجه الطاهرات، ضرورة الوفاء وأهميته في حياة المؤمن؛ فقد جاءت النبي – صلى الله عليه وسلم- ذات يوم امرأة عجوز من صويحبات الطاهرة خديجة، فأحسن لقاءها، وأكرم مثواها، وبسط لها رداءه، فأجلسها عليه، وصار يسأل عن أحوالها، وما صارت إليه. فقالت عائشة- رضي الله تعالى عنها- لما خرجت العجوز: **(تقبل على هذه العجوز كل هذا الإقبال؟)، فقال: (إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان).**[5]

وتلك العبارة : **(وإن حسن العهد من الإيمان)**، هي الحق الذي أراد الرسول – صلى الله عليه وسلم- أن يوجه أمهات المؤمنين إلى ضرورته، فهو مقوم من مقومات الإيمان الحق.

---

١) الواقدي: المغازي، ج٣، ص١١٢٥

٢) الشدق: جانب الفم. انظر لسان العرب، ابن منظور، ج١٠، ص١٧٢

٣) مسند أحمد، ج٦ ، ص١١٨.

٤) فتح الباري، كتاب الأدب، باب (٢٣) حسن العهد من الإيمان، رقم الحديث : ٦٠٠٤، ج١٢ ص٤٧

٥) الحاكم: المستدرك، كتاب الإيمان، ج١ ص١٦، صحيح على شرط الشيخين.

المطلب الثالث: التوجيهات الفقهية والتفسيرية

حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم- على أن يفقه أزواجه الطاهرات، فكان يتعاهدهن بالتعليم، ويوضح لهن ما قد يصعب عليهن في فهم بعض الآيات القرآنية، أو الأعمال التعبدية، والطاعات. ويفقههن كذلك فيما يتعلق بالأحوال الشخصية، كما كان – عليه الصلاة والسلام- يحثهن على التقوى، ويوضح لهن بعض الأمور المتعلقة بالغيب. وإليك بيانا ببعض ذلك:

أولا: توجيهات تتعلق بإيضاح مفهوم بعض الآيات القرآنية الكريمة:

ومن ذلك قول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- **(سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، عن هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُم وَجِلَةٌ ﴾[1]؛ هم الذي يشربون الخمر ويسرقون؟ قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين سارعوا في الخيرات).**[2]

وكذلك توجيهه – صلى الله عليه وسلم- للسيدة حفصة – رضي الله تعالى عنها-؛ وذلك فيما ورد[3] أنها سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم- يقول: **(لا يدخل النار – إن شاء الله – من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها)، قالت: بلى، يارسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلا وَارِدُهَا ﴾**[4]. فقال النبي – صلى الله عليه وسلم: **(قد قال الله – عز وجل-: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾.**[5]

ثانيا: توجيهات تتعلق بالتطوع وضوابطه:

(١) توجيهه – صلى الله عليه وسلم-، أم سلمة – رضي الله تعالى عنها-، وذلك يتضح في قولها: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يأمرني أن أصوم ثلاثة أيام من كل شهر، أولها الإثنين، والجمعة، والخميس).**[6]

---

١) سورة المؤمنون، جزء من الآية: ٦٠

٢) الترمذي ، كتاب التفسير، باب (٢٤)، من سورة المؤمنون، رقم الحديث: ٣١٧٥، ج٥، ص٣٠٦ ، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر صحيح الترمذي، ج٣ ص٧٩

٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب (٣٧)، من فضائل أصحاب الشجرة، رقم الحديث: ٢٤٩٦، ج١٦ ص٤٩

٤) جزء من الآية: ٧١ ، سورة مريم.

٥)الآية: ٧٢ ، سورة مريم.

٦) مسند أحمد، ج٦، ص٢٨٩، وإسناده صحيح، انظر المسند بشرح حمزة الزين، ج١٨ ص٢٣٦

(٢) توجيهه – صلى الله عليه وسلم–، الذي تضمن تعليم الدعاء؛ روي عن عائشة أنها قالت: **(علمها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– هذا الدعاء: اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله؛ عاجله وآجله، ما علمت منه ومالم أعلم، اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك، اللهم إني أسألك الجنة، وما قرّب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار، وما قرّب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا).**[١]

(٣) توجيهه – عليه الصلاة والسلام– السيدة عائشة إلى ضرورة العمل لله تعالى، على قدر الطاقة؛ روت – رضي الله تعالى عنها– : **(أن الحولاء بنت تُوَيت[٢] مرت بها، وعندها رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فقلت: هذه الحولاء، زعموا أنها لا تنام الليل، فقال: رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: لا تنام الليل؟! خذوا من العمل ما تطيقون؛ فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا).**[٣]

(٤) توجيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم– السيدة جويرية، أسلوبا من أساليب الذكر؛ وذلك مما ورد عنها – رضي الله تعالى عنها–: **أن النبي – صلى الله عليه وسلم–، خرج من عندها، بكرة، حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال النبي – صلى الله عليه وسلم–: لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وُزنت بما قلت منذ اليوم، لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته).**[٤]

(٥) توجيهه – عليه الصلاة والسلام– السيدة جويرية إلى أمر آخر يتعلق بالصوم، وهو كراهيته إفراد يوم الجمعة بالصوم، دون إقرانه بيوم قبله، أو بيوم بعده؛ وذلك فيما روته السيدة جويرية – رضي الله تعالى عنها–، **أن النبي – صلى الله عليه وسلم–، دخل عليها يوم الجمعة، وهي صائمة، فقال: (أصمت أمس؟ قالت: لا، قال: تريدين أن تصومين غدا، قالت: لا، قال: فأفطري).**[٥]

---

١) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب (٤)، الجوامع من الدعاء، ج٢ ص١٢٦٤، رقم الحديث: ٣٨٤٦، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر صحيح ابن ماجة ج٢ ص٣٢٧.

٢) الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية، هاجرت إلى المدينة ، وكانت كثيرة العبادة، انظر أسد الغابة لابن الأثير، ج٥ ، ص٤٣٢

٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (٣٠) فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره. رقم الحديث: ٧٨٥، ج٦، ص٦٠

٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الذكر والدعاء، باب (١٩) التسبيح أول النهار وعند النوم، رقم الحديث ٢٧٢٦، ج١٧ ص٣٩

٥) فتح الباري: كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، (٦٣) ، رقم الحديث: ١٩٨٦، ج٤ ص٧٥٥

(٧) توجيهه – صلى الله عليه وسلم– للسيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، السلوك الذي ينبغي أن تسلكه حين تغضب؛ فقد كان – عليه الصلاة والسلام–، يتصرف تصرفا حكيما، ، ليعلمها ضرورة توجيه أوقات الغضب في مرضاة الله تعالى، بدلا من اللجوء إلى الأقوال والأفعال التي تسوق الإثم والعدوان. ومن ذلك ما روي أنه (**كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إذا غضبت عائشة، عرك بأنفها، وقال: يا عُوَيِّش قولي: اللهم يا رب محمد، اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن**)[١]

<u>ثالثا: توجيهات تتعلق بالطاعات:</u>

وتشمل هذه التوجيهات بعض الأعمال التي يحسن بالإنسان المداومة عليها، لما فيها من طاعة لله – تعالى–، وتعلق بأسباب مرضاته. ومن تلك التوجيهات: الدعاء؛ فالدعاء هو العبادة، وهو – إلى جانب الصلاة –، سبيل من سبل الاتصال الدائم بالله تعالى، والشعور بقربه – عز وجل–؛ لذا كان – عليه الصلاة والسلام –، يحرص عليه حرصا شديدا ، حتى أن أم سلمة – رضي الله تعالى عنها–، سألته مرة: **يا رسول الله ما أكثر دعائك يامقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك، فقال – عليه الصلاة والسلام–: (يا أم سلمة، إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله – عز وجل– ما شاء أقام ، وما شاء أزاغ)**.[٢]

<u>رابعا: توجيهات فقهية تحث على التقوى:</u>

ومن الأمثلة على تلك التوجيهات؛ ما ورد عن السيدة أم سلمة، – رضي الله تعالى عنها– ، عندما كانت عند النبي – صلى الله عليه وسلم–، هي والسيدة ميمونة. قالت : (**فبينا نحن عنده، أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم–، احتجبا منه. قلنا: يا رسول الله، أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ قال: أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟**).[٣]

وهنا تتضح العناية النبوية التي تأخذ بيد المرأة إلى الحفاظ على حيائها أمام الرجل، وإن كان لا يبصر. وتتضمن هذه التربية تزكية للنفس، حيث الالتزام بالحق مهما كانت الظروف.

---

١) ابن السني: عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا غضب، رقم الحديث ٤٥٧ ص١٣٤.
٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ٩٠، رقم الحديث ٣٥٢٢، ج٥ ص ٥٠٣، مسند أحمد، ج٦ ، ص٣١٥، حديث صحيح. انظر صحيح الجامع الصغير، الألباني، ج٢ ص٨٧١ الحديث: ٤٨٠١
٣) سنن الترمذي، باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال، رقم الحديث: ٢٧٧٨، ج٥ ص١٠٢، وقال حديث حسن صحيح.

خامسا: توجيهات تتعلق بأمور غيبية:

ومن الأمثلة على ذلك قول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-: **(أنها ذكرت النار ، فبكت، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار، فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: أما في ثلاثة مواطن، فلا يذكر أحد أحدا؛ عند الميزان، حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند الكتاب، حين يقال: ﴿هَا ؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ﴾،[1] حتى يعلم أين يقع كتابه، أفي يمينه، أم في شماله، أم وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم).**[2]

وختاما؛ يتضح مما سبق أن الحديث الشريف له من الأهمية البالغة في توجيه، وتربية أمهات المؤمنين، – رضوان الله تعالى عنهن-، ما ليس لغيرهن، ذلك لأنهن عشن الظروف التي دعت إلى تلك التوجيهات، وتعطشت نفوسهن إليها قبل أن يذكرها النبي – صلى الله عليه وسلم-، فنهلنها كأطيب ما ينهل الظمآن أطيب ماء، وأعذبه.

كما أنهن تلقين تلك التوجيهات من إنسان عاشرنه، وتأثرن به خير تأثر، مما جعلهن ينقلن صورة نقية مشرقة عن تلك الحياة العظيمة، وذلك الزوج الكريم.

وإن مما يبرز الصورة الطيبة لحقيقة التأثر، لدى بني البشر؛ ما ذكره محمد جاد المولى، في كتابه (الخلق الكامل)، فقال: " إذا نشأ المرء بين أسرة مهذبة، سرت أخلاقها إليه، من حلم وأناة، و شجاعة وقوة، وإرادة، وغير ذلك من الفضائل، فإذا عاش كبيرا بين قوم أخيار، بررة لا يعرفون النقيصة، ولا يألفون سوى الفضيلة؛ أصبح كاملا فاضلا، خيّرا لنفسه، خيّرا لأسرته، خيّرا لأصدقائه، وقومه، فإنه لا يجد لديهم مدحا إلا للفضيلة، ولا ذما إلا للرذيلة؛ فيعتاد ذلك، فتتأصل فيه الفضائل، ويجانب الرذائل".[3]

---

١) سورة الحاقة، جزء من الآية ١٩

٢) سنن أبي داوود ، كتاب السنة، باب (٢٨) في ذكر الميزان، رقم الحديث: ٤٧٥٥، ج٢، ص٦٥٤ .

٣) محمد أحمد جاد المولى: الخلق الكامل، ج١ ، ص ٧١ .

المبحث الثالث
بعض مظاهر التربية في بيت النبوة

المطلب الأول: التربية الروحية

- أولا: التربية بمجاهدة النفس وقيام الليل
- ثانيا: التربية على الزهد والرضا باليسير
- ثالثا: التربية على التوقي بالآيات القرآنية الكريمة
- رابعا: التربية على المبالغة في الصدقة
- خامسا: التربية بتعليم الدعاء

المطلب الثاني: التربية الاجتماعية

-أولا: التربية على تنمية العلاقات الاجتماعية الطيبة

-ثانيا: التربية على حماية العلاقات الاجتماعية من الأسباب المؤدية إلى الوهن

المطلب الثالث: التربية الجسمية

-أولا: التربية على ممارسة الرياضة والحركة الجسمية

-ثانيا: التربية على العناية بالمظهر والطيب

-ثالثا: التربية على العناية بالنظافة

اعتنى الرسول – صلى الله عليه وسلم- بتربية أمهات المؤمنين، وتعليمهن وتوجيههن -رضوان الله تعالى عنهن-، عناية بالغة. شملت الكثير من الجوانب الهامة؛ كالجانب الفقهي والتعبدي، والجانب العلمي، والجانب الأخلاقي، بما يتضمنه من أخلاقيات التعامل مع الخالق – سبحانه-، وأخلاقيات التعامل مع البشر. وقد اتضحت تلك الجوانب في المبحث الثاني من هذا الفصل.

ولم تقتصر عنايته – صلى الله عليه وسلم-، على ما سبق ذكره فحسب، بل تعدت ذلك إلى مواقف تربوية عملية، تجلت في مظاهر متعددة، كالتربية الروحية، والاجتماعية، والجسمية.

المطلب الأول: التربية الروحية

تعرّف التربية الروحية* بأنها " التربية التي تعمل ضمن منهج قرآني، إلى تملك القدرة النفسية، بطريقة المجاهدات، لتسخيرها طواعية في تطبيق حقائق الأمور الشرعية، باطمئنان ورضا ويقين".[1]

وقد كان خلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – القرآن؛ فقد رباه الخالق – سبحانه وتعالى– فأحسن تربيته، وأدبه ، فأحسن تأديبه، فنشأت روحه الكريمة – صلى الله عليه وسلم–، وهي تضم بين جنبيها المنهج القرآني الكريم، وبه تملك – صلى الله عليه وسلم–، جميع قدراته النفسية، وجاهد به نفسه حق الجهاد.

لذا حرص – عليه الصلاة والسلام– على أن يربي أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، تلك التربية، ليصبحن معه، وبعده، سراجا للهداية التي شاء الخالق – جل وعلا–، أن يتكفلن بنصيب منها.

وقد تجلى ذلك الحرص في كثير من المظاهر التربوية التي سلكها – عليه الصلاة والسلام– ، في بيوتاته؛ حيث كان، يتعهد أمهات المؤمنين بالتربية الروحية، ليصل بهن إلى الدرجة التي تمكنهن من قيادة نفوسهن، ومجاهدتها الجهاد الذي شاء الخالق– سبحانه– أن تتميز به هذه الأسرة خاصة، دون سواها من الأسر.

وتمثلت تلك التربية في مواقف مختلفة؛ كالحث على الإكثار من العبادة، والصدقة، والحث على الزهد، والرضا باليسير من المتاع والطعام والشراب، والحث على المداومة على بعض الأدعية، والذكر، والتبشير بدخول الجنة، وغيرها، **مما سيتضح فيما يأتي:**

أولا: التربية الروحية، بمجاهدة النفس وقيام الليل:

يشكل هذا النوع من التربية أعظم مظهر من مظاهر التربية الروحية، لما في قيام الليل من شدة بالغة على النفس، لا يدركها إلا من نقى روحه وصقلها، وجاهدها بالتدريب والممارسة الدائمة.

---

*يرى بعضهم أن الروح لا تربى، وأن هذا المصطلح وافد من الغرب، والذي تراه الباحثة إنما يعود سببه إلى أصل تكوين الإنسان، من جسد وروح، فالجسد أصله من التراب، والروح أصله نفخة علوية، ولكل من هذين الأصلين غذاء يحتاجه، فالغذاء الجسدي مصدره الأرض، أما الغذاء الروحي فمصدره الهداية الربانية، وتكمن الهداية الربانية في امتثال أوامر الخالق وتشريعاته والانتهاء عن نواهيه، ومما يعين على ذلك النهوض بما يسمو بالإنسان عن ابتغاء الدنايا من الأمور الدنيوية، والإقبال عليها. والوصول به إلى المكانة التي ينشدها الإسلام له، وهو ما أمكن تسميته بالتربية الروحية، أما النفس فهي على مراتب أعلاها النفس المطمئنة، التي جنت ذلك الاطمئنان من خلال استقامتها، والاستقامة التامة تنشأ عن المجاهدات الروحية بلا ريب .

١) محمد شيخاني: التربية الروحية بين الصوفيين والسلفيين، ص١٧

وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، سيد المجاهدين، في ميدان القتال، وفي ميدان النفس. وبالتالي فهو – عليه الصلاة والسلام– سيد المعلمين لهذه المهمة العظيمة.

وفي ذلك تقول السيدة أم سلمة – رضي الله تعالى عنها– عندما سئلت عن قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم–، وصلاته: (**ما لكم وصلاته!! كان يصلي، ثم ينام قدر ما صلى، ثم يصلي قدر ماتام، ثم ينام قدر ما صلى، حتى يصبح، ثم نعتت قراءته، فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا**)،[1]

وفي صيغة إجابتها – رضوان الله تعالى عنها– يبرز استشعارها لحرص رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، ورغبتها الشديدة في الحض على اتباعه، وذلك يبدو في أسلوب التحدي في قولها: (**مالكم وصلاته**)، وذلك إنما هو تحد في ظاهره، ولكن باطنه حرص ودعوة إلى ضرورة الاتباع والاقتداء.

وبالطبع! لم يصدر منها ذلك الحض، إلا بعد اقتدائها واتباعها هي بنفسها لذلك على قدر إمكانها.

ومثل هذا الموقف، موقف آخر، للسيدة عائشة، عندما ذكر لها أن ناسا يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين، أو ثلاثا فقالت: (**أولئك قرؤا ولم يقرؤا؛ كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقوم الليلة التمام،[2] فيقرأ سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء، ثم لا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله – عز وجل– ورغب، ولا يمر بآية فيها تخويف إلا دعا الله – عز وجل – واستعاذ**).[3]

وهذا الموقف يوضح أن قيام الليل مدرسة روحية تربت عليها أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، حيث كن يقتدين برسول الله – صلى الله عليه وسلم–، ويقمن معه.

ولم يكن القيام للصلاة، هو الدرس الوحيد في ذلك الوقت؛ حيث كان – عليه الصلاة والسلام– يعلمهن أمورا أخرى أثناء الصلاة فيه. وذلك يتضح من قول السيدة عائشة : (**فلا يمر بآية فيها تخويف إلا دعا الله – عز وجل – واستعاذه، ولا يمر بآية استبشار إلا دعا الله ورغب إليه**).

وفي ذلك ما يدعو إلى ضرورة التفاعل مع القرآن الكريم أثناء تلاوته، لما يدعو التفاعل إليه من يقظة وتدبر، وما يؤدي إليه من خشوع واطمئنان. لذا قال – عليه الصلاة والسلام–، لصحابته عندما تلا عليهم سورة الرحمن: (**لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردودا**

---

١) سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب (٢٣)، ما جاء كيف كان قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم– ، رقم الحديث: ٢٩٢٣، ج٥ ص١٦٧. وقال حديث حسن صحيح.

٢) ليل التمام: أطول ما يكون من الليل، ويكون لكل نجم هَوِيّ من الليل يطلع فيه، حتى تطلع كلها فيه. انظر لسان العرب، ج١٢، ص٦٨

٣) مسند أحمد، ج٦، ص١١٩، وإسناده حسن، انظر المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين، ج١٧ ص٣٨١

منكم، كنت كلما أتيت قوله: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد).[1]

ثانيا: التربية على الزهد، والرضا باليسير:

يتأثر الإنسان بزهده في متاع الدنيا، وبرضاه باليسير، حيث تنفك روحه من كل ما قد تعلق به من متع وزينه، فتتحرر من ذلك، لتسمو إلى العلا، وتعيش في رحاب أوسع من ذلك النطاق الضيق الذي يعيشه الجسد.

لذا سلك الرسول -صلى الله عليه وسلم- سبيل الزهد في حياته، وربى عليه أزواجه الطاهرات.

ويتجلى ذلك في موقف صدر من رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، ليعلم السيدة عائشة حقيقة الزهد. وفي ذلك تقول: **(دخلت عليّ امرأة من الأنصار، فرأت فراش رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، مثنية، فانطلقت، فبعثت إلي بفراش فيه صوف، فدخل علي رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فقال: ما هذا؟ فقلت، فلانة الأنصارية دخلت، فرأت فراشك، فبعثت إلي بهذا. فقال: رُدّيه، قالت: فلم أرده، وأعجبني أن يكون في بيتي، قالت: حتى قال لي ذلك ثلاث مرار، فقال: رديه يا عائشة؛ فوالله لو شئت لأجرى الله عليّ جبال الذهب والفضة، قالت: فرددتها).**[2]

وهذا الموقف يبين كيف كان – عليه الصلاة والسلام- زاهدا في متع الدنيا، حتى وإن كان ذلك المتاع قد سيق إليه، فهو – عليه الصلاة والسلام- لا يعد ذلك خيرا جاءه، بل يعده ابتلاء، يرى من الضرورة التخلص منه.

كما أنه – عليه الصلاة والسلام-، يرى ضرورة مشاركة أزواجه الطاهرات في ذلك الزهد، فيوجههن بالأسلوب الأمثل، كما في قوله للمرة الأولى: **(رديه يا عائشة)**، ليعالج بذلك أمرا، وهو أن رد الهدية في البداية أمر سهل، ولكن بقاؤها لفترة زمنية، قد يؤدي إلى حبها وتعلق النفس بها، لذا ردد – عليه الصلاة والسلام- قوله ذلك ثلاث مرات. ثم عالج الأمر بإيضاح حقيقة هامة، تدفع بالناظر إليها بعين البصيرة إلى استصغار كل ما سواها، وهي أن الزهد في ذلك الفراش، والزهد في جبال من الذهب والفضة، عنده – عليه الصلاة والسلام-، على حد سواء، لا فرق بينهما عنده، ليتضح لها، أن الزهد في القليل طريق للزهد في الكثير، وأن الزهد في كلاهما، هو سبيل السمو، والارتقاء بالروح التي يحبها الخالق – سبحانه-، ويُكنّ لها أطيب المنازل في الآخرة.

وهناك مظهر آخر من مظاهر التربية الروحية في بيت النبوة، يتجلى فيه الأسلوب الثالث في غرس الزهد في النفوس؛ وذلك ما ورد عن السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-: (أن

---

١) سنن الترمذي، المجلد ٥ ص٣٧٢-٣٧٣، الحديث٣٢٩١، وقال حديث غريب

٢) الأصبهاني: أخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم- وآدابه. ج٢ ٥٠٠ ، قال المحقق: إسناده ضعيف

النجاشي أهدى إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، حلية فيها خاتم من ذهب، فأخذه، وإنه لمعرض عنه، فأرسل به إلى ابنة ابنته، زينب، فقال: تحلي بهذه يا بنية).[1]

وفي هذا الموقف ما يوضح شيئا من الخلق العظيم الذي يتحلى به الرسول – صلى الله عليه وسلم–، فهو لم يرد تلك الهدية، بالرغم من الضيق الذي سببته له، حيث قبلها – عليه الصلاة والسلام–، ولكنه ظل معرضا عنها، لعلمه – صلى الله عليه وسلم–، ما لبقاء مثل هذه الأشياء في الحوزة، والإقبال عليها، من أثر سلبي يؤدي بالنفس إلى التعلق بها.

لذا اتخذ – صلى الله عليه وسلم–، موقفا يربي فيه أم المؤمنين ، إلى الكيفية التي ينبغي أن تتصرف بها إذا حدث لها مثل هذا الموقف لاحقا.

فالعلاج الأول هو الإعراض، وما يجب أن ينتج عن ذلك، من إشعار النفس بكراهية ما تم الإعراض عنه لتسهل المرحلة التالية؛ وهي التخلي عنه بسهولة للغير.

ومن مظاهر التربية الروحية في بيت النبوة أيضا؛ القناعة والرضا باليسير، فقد رضيت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن– أن يعشن عيشة الكفاف، والاكتفاء بما يقضي الحاجة. يؤيدهن في ذلك معلمهن، – سيد البشرية–، ويأخذ بأيديهن معززا ذلك الاكتفاء، برضاه وبقناعته، وبمشاركته لهن في الاكتفاء بما في حوزته وحوزتهن.

وفي ذلك تقول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–: **(أن النبي – صلى الله عليه وسلم– كان له حصير يبسطه بالنهار، ويحتجره[2] بالليل. . .).**[3]

وفي هذه الصورة ما يمس القلب فيخجله، وما يمس النفس فيحط من استعلائها وطلبها المزيد؛ فذلك هو متاع رسول الله – صلى الله عليه وسلم– الذي قبله هو وزوجه، ليكون فراشا للجلوس عليه في النهار، وفراشا للنوم عليه في الليل، وما أجمل المتاع الذي يلبي أكثر من حاجة، ويؤدي عدة منافع.

وفي الحقيقة أن يسر ذلك المتاع، سبب من الأسباب التي تعين الروح على التفرغ لخالقها، وعلى تنقية النفس وتصفيتها، لتقبل على العبادة والطاعة، وهي متحررة من أسر كل متاع، وزينه.

---

١) العسقلاني: الإصابة، ج٤ ، ص٢٣٦، وأسد الغابة: ج٥، ص٤٠٠ ، وطبقات ابن سعد: ج٨ ، ص٢٣٣.

٢) يحتجره: أي يتخذه مثل الحجرة، وفي رواية الكشميهني: بالزاي، بدل الراء: أي يجعله حاجزا بينه وبين غيره. انظر فتح الباري: ج٢، ص٢٥٢ ، كتاب الأذان، باب (٨١) رقم الحديث: ٧٣٠

٣) فتح الباري، كتاب الأذان، باب (٨١) ، رقم الحديث: ٧٣٠

ثالثا: التربية على التوقي بالآيات القرآنية الكريمة:

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد عن السيدة عائشة: **(أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– كان إذا أخذ مضجعه، نفث في يديه وقرأ بالمعوذات ومسح بهما جسده).**[1]

وهو أسلوب للتوقي بالآيات الكريمة، من كل سوء وأذى، حيث يحمي الخالق – سبحانه وتعالى–، عبده من كل ما من شأنه أن يؤذيه في منامه، كالشياطين، والكائنات الضارة.

وفي هذا العمل اليسير الذي كان يقوم الرسول – صلى الله عليه وسلم–، به، تربية روحية ترتقي بالانسان، إلى حيث الثقة التامة في الشعور بالأمان. وذلك يعني أن ثقة الإنسان بعناية ربه، ورعايته له، بلغت أقصاها.

وسبب ذلك أن إيمان الفرد، يبلغ به إلى رؤية خالقه بعين بصيرته، كما يرى ما سواه ببصره. مما يدفعه إلى الاتصال الدائم به، بالعبادة والطاعة والخضوع والامتثال.

رابعا: التربية على المبالغة في الصدقة:

وكان الأسلوب الذي اتبعه الرسول – صلى الله عليه وسلم– في تربيته هذه؛ أسلوبا عظيما؛ أبرز الحقيقة القائلة أنه – عليه الصلاة والسلام–، قد أوتي جوامع الكلم.

وذلك عندما ذُبحت شاة للسيدة عائشة، فدخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وفي يده عصية، فألقاها، ثم هوى إلى فراشه، فاتبطح عليه، ثم قال: (هل من غداء؟)، فأتيناه بصفحة فيها خبز شعير، وفيها كسرة وقطعة من الكرش، وفيها الذراع، فأخذت عائشة قطعة الكرش، وإنها لتنهشها، إذ قالت: ذبحنا شاة اليوم فما أمسكنا منها غير هذا، فقال: (لا، بل أمسكت كلها إلا هذا).[2]

فاتضح بذلك إخباره عن الأجر العظيم الذي نالته السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، مقابل الشاة كلها، إلا ما أمسكت منها لنفسها.

وفي جوابه – صلى الله عليه وسلم–، ما يشير إلى أنه يوجه السيدة عائشة، إلى السمو بروحها، لتتطلع إلى أجر ما تصدقت به،لا إلى الجزء الذي أبقته لديها، فما بقي لديها تمتعت بأكله، ولكن ما تصدقت به تمتعت بأجره، وذلك الأمر هو الذي له الأولوية والأهمية عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم–.

---

١) فتح الباري، كتاب الدعوات، باب (١٢)، التعوذ والقراءة عند المنام، رقم الحديث: ٦٣١٩، ج١٢ ص٤٠٨

٢) الهيثمي: مجمع الزوائد، ج٥، ص ٣٩، وقال فيه إبراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن مجمع، وهو ضعيف.

خامسا: التربية بتعليم الدعاء:

ويتجلى ذلك المظهر في ما رأته السيدة عائشة، وفيما علّمها الرسول – صلى الله عليه وسلم–، قالت: **(كانت ليلتي من رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فانسل، فظننت إنما انسلّ إلى بعض نسائه، فخرجت، فإذا أنا به ساجد كالثوب الطريح، فسمعته يقول: سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك فؤادي، رب هذه يدي وما جنت على نفسي، ياعظيما ترجى لكل عظيم، فاغفر الذنب العظيم. قالت: فرفع رأسه، فقال: ما أخرجك؟ قلت: ظن ظننته، قال: إن بعض الظن إثم، واستغفري الله. إن جبريل – عليه السلام–، أتاني فأمرني أن أقول هذه الكلمات التي سمعت، فقوليها في سجودك، فإنه من قالها، لم يرفع رأسه حتى يغفر له).**[1]

وهنا تتضح صورتين للتربية الروحية؛ أولها: ذلك المشهد الذي رأته السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، وهو سجود رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، الذي كان كالثوب الطريح، وما في هذا المشهد من تصوير لشدة الخشوع، والخضوع التام، الذي تلاه الدعاء والتضرع. وفي هذا الموقف درس عملي للحال التي يجب أن يكون المؤمن عليها، في حال تعبده وتضرعه وسؤاله لله – عز وجل–.

والصورة الثانية للتربية الروحية؛ هي تعليمه – صلى الله عليه وسلم–، السيدة عائشة ذلك الدعاء، وحضها عليه، بإبراز ميزته وفضله، فهو دعاء لايقوله مسلم في سجوده إلا ورفع رأسه من ذلك السجود وهو مغفور له. فالحمد لله على فضلة والصلاة والسلام على خير خلقه.

---

١) مسند أبي يعلى الموصلي، رقم الحديث: ٤٦٦١، ج٨ ص١٢١، وقال المحقق إسناده ضعيف

المطلب الثاني: التربية الاجتماعية

من مظاهر التربية الإجتماعية في بيت النبوة، ما كان الرسول – صلى الله عليه وسلم–، يحرص عليه، من أعمال تربوية، يعلم أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن – من خلالها الأعمال التي تنهض بالمجتمع؛ عن طريق حماية العلاقات الاجتماعية، وممارسة الأعمال التي تؤدي إلى النهوض بها، والابتعاد عن الأسباب التي تؤدي إلى وهنها.

وذلك يتضح من خلال ما يلي:

أولا: التربية على تنمية العلاقات الاجتماعية الطيبة:

ويتضح ذلك فيما حدث لأبي لبابة– رضي الله تعالى عنه–، وهو أحد الصحابة الأجلاء، الذين أدركوا خطأهم فعاقبوا أنفسهم، طاعة لله – تعالى–، ورغبة منهم في نوال توبته عليهم.

وذلك عندما أشار أبو لبابة ليهود بني قريظة، إلى حلقه، ليعلمهم أن العقاب الذي سيتخذه المسلمون ضدهم هو الذبح، لخيانتهم العهد.

ولكن تلك الإشارة كانت عملا تعجل به أبو لبابة، ولم يدرك خطورته، إلا بعد أن صدر منه، وحينها أدرك أن ما فعله، معصية لله ورسوله، إذ أن اليهود لايستحقون ذلك التعاطف.

لذا سارع بربط نفسه، وحبسها، إلى أن يتوب الله – تعالى– عليه.

فعلم الرسول – صلى الله عليه وسلم–، بفعله، فتركه، لتُتقي توبة الله – تعالى– عليه، كل المشاعر التي ألمت به نتيجة تصرفه مع اليهود.

وهذا هو الدرس الأول. أما الدرس الثاني من هذه القصة، والذي يتجلى فيه أسلوب النهوض بالعلاقات الاجتماعية؛ فهو موقف الرسول – صلى الله عليه وسلم–، عندما نزلت التوبة على أبي لبابة؛ فقد كان – عليه الصلاة والسلام– آنذاك عند أم سلمة فسمعت تلك التوبة، وأحبت أن تكون هي المبشرة له أولا؛ فاستأذنت الرسول – صلى الله عليه وسلم–، في ذلك فأذن لها.

تقول – رضي الله تعالى عنها–: **(ألا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت).**[1] وهذا الموقف يبين الحرص على النهوض بالعلاقات الاجتماعية الطيبة؛ حيث تعلم ما للبشارة من أثر طيب في نفس المبَشّر، فتسعى إلى غرس ذلك الأثر في نفسه. وكذلك الرسول – صلى الله عليه وسلم–، لم يتغيب عنه هذا الأمر؛ فقد أدركه، وأدرك أهميته، وضرورته؛ فأذن للسيدة أم سلمة مباشرة، وبدون تردد.

---

١) وردت القصة كاملة في المغازي، للواقدي، ج٢ ، ص٥٠٨

ومن المواقف التربوية الأخرى، التي كان لها أثرها في النهوض بالعلاقات الاجتماعية، في بيت النبوة؛ ما كان من السيدة عائشة، تجاه السيدة صفية بنت حيي. تقول – رضي الله تعالى عنها: **(بعثت صفية إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بطعام صنعته له، وهو عندي، فلما رأيت الجارية، أخذتني رعدة حتى استقلّني أفكل،[1] فضربت القصعة، فرميت بها، قالت: فنظرت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فعرفت الغضب في وجهه، فقلت: أعوذ برسول الله أن يلعني اليوم، قالت: قلت ما كفارته يا رسول الله ؟ قال: طعام كطعامها، وإناء كإنائها).**[2]

وهذا الموقف، أيضا يوضح حرص الطرفين على الإصلاح؛ وذلك لإصلاح الخلل الذي من شأنه أن يمس العلاقات الاجتماعية، فيوهنها.

فقد شعرت السيدة عائشة، بالخطأ الذي ارتكبته، وشعرت بالذنب الذي سيترتب عليه، إضافة إلى ما سيحدثه ذلك من إشعار السيدة صفية بالإساءة إليها. وكل ذلك لا ترغب السيدة عائشة في حدوثه، وقد ندمت على فعلها، وسارعت إلى البحث عن طريقة الإصلاح، والكفارة.

فأرشدها الرسول – صلى الله عليه وسلم-، إلى ذلك، وهو **(طعام كطعامها،وإناء كإنائها)** إذن؛ فهو جبر وإصلاح لما حدث، وبعد ذلك ، تعود النفوس إلى هدوئها، وكأن شيئا لم يكن، مما يزيل عن العلاقات الاجتماعية كل مايكدرها، ويدفعها إلى النمو والارتقاء.

ثانيا: التربية على حماية العلاقات الاجتماعية من الأسباب المؤدية إلى الوهن:

وتبرز تلك التربية في توعية الرسول – صلى الله عليه وسلم-، السيدة أم حبيبة، إلى أمر قد غفلت عنه، ولم تدرك ما سيترتب عليه من آثار سلبية تمس العلاقات الاجتماعية، فتوهنها.

وذلك فيما ذكرته، – رضي الله تعالى عنها- بقولها: **(دخل علي رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فقلت له: يا رسول الله، انكح أختي بنت أبي سفيان، فقال لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: أو تحبين ذلك؟ قالت: نعم، لست لك بمخلية، وأحَبُ من شركني في خير أختي، فقال: إن ذلك، لا يحل لي، فقالت: فإنا نُحدّث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة، قال – صلى الله عليه وسلم: بنت أم سلمة؟ قالت: نعم، فقال: لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري، ما حلت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة؛ أرضعتني وأبا سلمة ثويبة، فلا تعرضن عليّ بناتكن ولا أخواتكن).**[3]

---

١) أفكل: رعدة تعلو الإنسان ولا فعل له، وقيل رعدة من برد أو خوف. لسان العرب، ج١١، ص٥٢٩، ٥٣٠

٢) مسند أحمد، ج٦، ص٢٧٧، ومجمع الزوائد للهيثمي، ج٤ ص٣٢١، وقال رجاله ثقات.

٣) فتح الباري، كتاب النكاح، باب (٢١)، وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم، ج١٠ ص١٧٥، رقم الحديث: ٥١٠١، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الرضاع، باب (٤)، تحريم الربيبة، وأخت المرأة، رقم الحديث: ١٤٤٩، ج١٠ ص٢٤

وفي هذا الحوار الهادئ يبرز مظهر من مظاهر التربية الاجتماعية؛ ففي عرض السيدة أم حبيبة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم- الزواج بأختها، واستفهامه إياها بقوله: (**أو تحبين ذلك؟**) يتضح حرصه على أن يبين لها أن حبها لأختها، يتطلب منها ألا تعرض أمرها لزوجها كي يتزوجها، بل ينبغي أن توجه حبها لأختها وجهة أخرى؛ وهي الإبقاء على حسن وطيب علاقتها بها، ففي زواج الأختين من الرجل الواحد ما يعين الشيطان على العمل في تخريب تلك العلاقة، وتحطيمها. وكذلك الزواج بالبنت، لذا وجهها – عليه الصلاة والسلام-، في الختام بقوله: (**فلا تعرضن عليّ بناتكن ولا أخواتكن**).

المطلب الثالث: التربية الجسمية

تعد مظاهر التربية الجسمية في بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، من الجوانب التي نالت عنايته، ورعايته، بل ودعوته، وتوجيهه إليها – صلى الله عليه وسلم-.

وتتمثل تلك التربية في المواقف المختلفة التالية:

أولا: التربية على ممارسة الرياضة والحركة الجسمية:

وتتجلى تلك التربية في مسابقته – عليه الصلاة والسلام-، السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-.

وفي ذلك السباق تقول: **(خرجت مع النبي – صلى الله عليه وسلم-، في بعض أسفاره، وأنا جارية، لم أحمل اللحم، ولم أبدن، فقال للناس، تقدموا، فتقدموا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك، فسابقته، فسبقته، فسكت عني، حتى إذا حملت اللحم، وبدنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس، تقدموا، فتقدموا، ثم قال: تعالي حتى أسابقك، فسابقته، فسبقني، فجعل يضحك، ويقول: هذه بتلك).**[1]

وهنا تتجلى عنايته – عليه الصلاة والسلام-، بالترفيه عنها، وبدعوته لها إلى ممارسة رياضة بدنية جيدة، تعمل على تحريك عضلات الجسد، وتهبه المرونة، وتؤدي إلى تنشيط الدورة الدموية فيه، مما يضفي النشاط والحيوية على ذلك الجسد.

وهذا العمل، يشير إلى حرصه – عليه الصلاة والسلام- على ذلك، بدليل أن هذا العمل تكرر مرتين. إلى جانب المواقف الأخرى التي توضح ذلك الحرص؛ كاهتمامه عليه الصلاة والسلام، بلعب السودان بالدرق والحراب، وتشجيعه لهم، بقوله: **(دونكم يابني أرفدة).**[2،3]

إضافة إلى حرصه – صلى الله عليه وسلم- على الحركة الجسمية المتمثلة في القيام بأعمال المنزل؛ حيث كان – عليه الصلاة والسلام- حريصا على تقديم العون لأزواجه الطاهرات؛ وفي ذلك تقول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، عندما سئلت: هل كان رسول الله – صلى

---

١) مسند أحمد، ج٦، ص٢٦٤، إسناده صحيح. انظر المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين، ج١٧ ص٢٣٥

٢) جزء من حديث في صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة العيدين، باب (٤)،الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، رقم الحديث: ٨٩٢، ج٦، ص١٥٢

٣) أرفدة: بفتح الهمزة وإسكان الراء، هو لقب للحبشة، ولفظة دونكم من ألفاظ الإغراء، وحذف المغري به، تقديره عليكم بهذا اللعب الذي أنتم فيه. انظر حاشية صحيح مسلم، بشرح الإمام النووي، رقم الحديث: ٨٩٢

الله عليه وسلم-، يعمل في بيته شيئا؟ قالت: (**نعم، كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته، كما يعمل أحدكم في بيته**)[1].

مما يشير إلى أنه – عليه الصلاة والسلام-، قد ربى أمهات المؤمنين التربية الجسمية، قولا وعملا، فكان بذلك قدوة لهن. كما كان في عونه لهن، نعم المثل لغيره من الرجال الذين يقدّرون الأعباء الكبيرة التي تتحملها المرأة في بيتها، تجاه حقوق زوجها، وحقوق أبنائها، وحقوق بيتها عليها.

ثانيا: التربية على العناية بالمظهر والطيب:

وقد تجلت عنايته – صلى الله عليه وسلم- بالمظهر والطيب، أن كان قدوة طيبة لأمهات المؤمنين، في الحرص الدائم على طيب المظهر، وطيب الرائحة. وفي ذلك تقول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-: (**كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، يكره أن يخرج إلى أصحابه تَفِل[2] الريح، وكان إذا كان من آخر الليل مسّ طيبا**).[3] وعن أنس بن مالك – رضي الله تعالى عنه-، قال: (**كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يطلب الطيب في جميع رباع[4] نسائه**).[5]

وذلك يشير إلى أن تطييب الجسد له أهمية بالغة، أيقنت ضرورتها أمهات المؤمنين، فأثنين على حرصه – صلى الله عليه وسلم- ومواظبته عليها.

ثالثا: التربية على العناية بالنظافة:

وتتجلى مظاهر العناية بالنظافة في حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم-، على استخدام السواك دائما، حتى في اللحظات التي سبقت وفاته – عليه الصلاة والسلام-، ليشير بذلك إلى ضرورة النظافة الدائمة، لا سيما حينما يقبل الإنسان على خالقه؛ كإقباله في الصلاة للوقوف بين يدي ربه، ولكنه – صلى الله عليه وسلم- لم يأمر بذلك خشية أن يشق على أمته.

أما هو – صلى الله عليه وسلم-، فقد كان قدوة للمسلمين عامة، ولأمهات المؤمنين خاصة في الدوام على التسوك، إلى أن توفي – عليه الصلاة والسلام-.

وفي ذلك الحرص، تقول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-: (**دخل عبد الرحمن بن أبي بكر، على النبي – صلى الله عليه وسلم-، وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبد الرحمن سواك**

---

١) مسند أحمد ، ج٦، ص١٢١. إسناده صحيح، المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين، ج١٧ ص٥٧٣
٢) تفل الريح: التفِل الذي ترك استعمال الطيب، من التفل، وهي الريح الكريهة. انظر لسان العرب، ج١١، ص٧٧
٣) الأصبهاني: أخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم-، ج٢، ص٦١، وقال المحقق إسناد الحديث حسن، ص٦٢
٤) رباع نسائه: الرّباع بكسر الراء، المنزل ودار الإقامة . انظر معجم لغة الفقهاء، ص٢١٩
٥) الأصبهاني: أخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم- وآدابه، ج٢ ص٦٧، وقال المحقق إسناد الحديث ضعيف ص ٦٧

رطب، يستن به، فأبَدَهُ[1] رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بصره، فأخذت السواك، فقضمته، ونفضته، وطيبته، ثم دفعته إلى النبي – صلى الله عليه وسلم- فاستن به، فما رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم- استنّ استنانا قط، أحسن منه، فما عدا أن فرغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم- رفع يده أو إصبعه، ثم قال: في الرفيق الأعلى، – ثلاثا-، ثم قضى، وكانت تقول: مات ورأسه بين حاقنتي وذاقنتي).[2،3]

إن هذه الحادثة، تصور مظهرا من مظاهر العناية بالنظافة، فالحرص على النظافة لا يقتصر على الأوقات التي يلتقي فيها الإنسان بغيره من بني البشر؛ بل تتعدى ذلك لتصبح أكثر أهمية في الأوقات التي يلتقي فيها الإنسان بخالقه: أثناء صلاته، وعكوفه، وقبيل نومه، فقد لا يقوم من النوم ثانية، فيلقى خالقه على أحسن حال.

وختاما؛ فإن تلك الأمثلة على مظاهر التربية في بيت النبوة، لم تكن إلا إشارات سريعة ترشد إلى أن العناية النبوية بأمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، قد بلغت الذروة في جميع النواحي التي يحتجنها لتلبية متطلبات دنياهن وأخراهن، ولتلبية حاجات غيرهن، ممن يتعطشون إلى أن ينهلوا من علمهن، وخبرتهن.

---

١) فأبدَه: بتشديد الدال، أي مد نظره إليه، يقال: أبددت فلانا النظر إذا طولته إليه، وفي رواية الكشميهني: (فأمده)، بالميم. فتح الباري، كتاب المغازي، باب (٨٤)، رقم الحديث: ٤٤٣٨

٢) الحاقنة والذاقنة: الحاقنة ما بين الترقوة والعنق، والذاقنة: ما تحت الذقن، وقيل: رأس الحلقوم. انظر لسان العرب: ج١٣ ، ص١٢٦ ، ١٧٢

٣) فتح الباري، كتاب المغازي ، باب (٨٤)، مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، رقم الحديث: ٤٤٣٨ ج٨ ص٤٨٤

الفصل الثالث
الجوانب التربوية المستمدة من واقع التربية عند أمهات المؤمنين -رضي الله تعالى عنهن-

المبحث الأول
الجانب التربوى الإيماني والتعبدى

المطلب الأول: الجوانب التربوية الإيمانية

=أولا: الحض على ذكر الله تعالى وشكره

=ثانيا: الحض على امتثال أمر الخالق سبحانه

=ثالثا: الحض على الصبر

المطلب الثاني: الجوانب التربوية التعبدية

= أولا: الحض على أداء السنن

= ثانيا: حض النساء على التفقه في الدين وضبط خلق الحياء

= ثالثا: الحض على إتقان تلاوة القرآن الكريم والتفاعل معه

= رابعا: الحض على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

= خامسا: إيضاح مسائل متعلقة بالطهارة

= سادسا: الحض الجهاد

=سابعا: الحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

=ثامنا: العناية بستر المرأة

= تاسعا: الحض على الصدقة

= عاشرا: الحض على تحسين الدعاء

=حادي عشر: الاعتبار بالمواقف

برزت الجوانب التربوية في سيرة أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–؛ من خلال أساليب الحياة التي اتبعنها؛ والتي اتضحت في عشرتهن للرسول – صلى الله عليه وسلم–، وسلوكهن في بيوتهن وخارجها، وتجاه بعضهن بعضا، وتجاه الآخرين، من الرجال والنساء.

كما اتضحت من خلال الأحداث التي كانت تقع، فتتخذ أمهات المؤمنين تجاهها موقفا معينا، أو يُجِبْنَ عنها بجواب؛ تتحصل منه الفائدة التربوية.

واتضحت كذلك فيما روينه من أقوال وأفعال، كان الرسول – صلى الله عليه وسلم–، يفعلها؛ فحرصت أمهات المؤمنين على نقلها، وإيضاحها.

وقد كانت تلك الأساليب والأحداث والروايات، زاخرة بالمواقف والسلوكات التربوية المختلفة، المتعددة الجوانب؛ والتي تمثلت في عدة نواح؛ كالناحية الإيمانية والأخلاقية، والعلمية، وغيرها، مما سَيَرِدُ تفصيله في هذا الفصل – إن شاء الله–.

المبحث الأول: الجانب التربوي الإيماني والتعبدي

يشمل هذا الجانب، بعض المسائل المتعلقة بالأعمال التربوية الإيمانية؛ كالحض على ذكر الله – تعالى- وشكره، وامتثال أمره، والصبر على بلائه. وهي ما يتضمنها المطلب الأول من هذا المبحث.

كما يشمل بعض المسائل التربوية التعبدية؛ كالحض على أداء السنن، وإيضاح يسر الإسلام في العبادات، والعناية بالطهارة، والحض على التفقه في الدين، وحسن الدعاء، وإتقان تلاوة القرآن الكريم، وفهمه، والحض على الخشوع، والعناية بستر المرأة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحض على الصدقة، وعلى محبة الرسول – صلى الله عليه وسلم-، وكذلك الحض على الجهاد، والاعتبار بالمواقف المختلفة. وهي مايتضمنها المطلب الثاني من هذا المبحث.

المطلب الأول: الجوانب التربوية الإيمانية

أولا: الحض على ذكر الله – تعالى – وشكره:

ذِكر الله – تعالى–، وشكره؛ هو الزاد الروحي الذي يتزود به العبد، لتبقى روحه متصلة بالخالق – جل وعلا–، ومستلهمة منه دوافع الثبات على الطاعة والخضوع.

لذا حث المولى – جل وعلا– عباده على الذكر؛ في قوله – تعالى–: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]

وقد كان الرسول – صلى الله عليه وسلم– قدوة للمسلمين عامة، ولأمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن– خاصة، في الذكر والشكر، وكل حركاته، وسكناته، وأقواله، وأفعاله.

وقد وعت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، أهمية الذكر والشكر، فطبقنه، وأرشدن غيرهن إلى ضرورة تطبيقه.

ومن الأمثلة على ذلك؛ ما روته السيدة حفصة عن حال الرسول – صلى الله عليه وسلم–، قالت: **(كان إذا أراد أن يرقد، وضع يده اليمنى تحت خده، ثم يقول: اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك، ثلاث مرار).**[2]

وذكرت السيدة عائشة، فعل الرسول – صلى الله عليه وسلم– بعد الصلاة؛ فقالت: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إذا سلّم لم يقعد إلا مقدار ما يقول: (اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام)**[3]

كما ذكرت السيدة أم سلمة الدعاء الذي علّمها الرسول – صلى الله عليه وسلم– فقالت: قال: **(قولي: اللهم هذا إستقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك، وحضور صلواتك، أسألك أن تغفر لي)**[4].

وذلك بالإضافة إلى ماروته، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– كان يقول دبر كل صلاة فجر: **(اللهم إني أسألك علما نافعا، وعملا متقبلا، ورزقا طيبا).**[1]

---

١) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٣٥

٢) سنن أبي داوود ، كتاب الأدب، باب(١٠٧) ما يقول عند النوم، رقم الحديث: ٥٠٤٥ ،ج٢ ص ٧٣١، وسنن الترمذي كتاب الدعوات، باب (١٨) رقم الحديث: ٣٣٩٨ ، ج٥، ص٤٣٩، وقال حديث حسن صحيح.

٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب (٢٦) استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم الحديث: ٥٩٢، ج٥ ص٧٥

٤) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب١٢٧ دعاء أم سلمة، الحديث٣٥٨٩، ج٥ ص٥٣٦، وقال حديث غريب.

كما ذكرت السيدة عائشة الذكر الذي كان يقوله الرسول – صلى الله عليه وسلم- عندما يستيقظ من الليل؛ فقالت: **(كان إذا استيقظ من الليل قال: (لا إله إلا أنت سبحانك اللهم، أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علما، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب).**[2]

وقد كان دوام الرسول – صلى الله عليه وسلم-، على ذكر ربه وعبادته، مما علمته أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، وتعوّدن عليه.

لذا عجبت السيدة عائشة، من نفسها، لعدم انصراف تفكيرها إلى ما عهدته في رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، من الذكر والطاعة.

وفي ذلك تقول: **(افتقدت النبي – صلى الله عليه وسلم-، ذات ليلة، فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه، فتحسست، ثم رجعت، فإذا هو راكع، أو ساجد، يقول: سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت، فقلت: بأبي أنت وأمي، إني لفي شأن، وإنك لفي آخر).**[3]

وهذا الموقف يبين تعجب السيدة عائشة من انصراف تفكيرها إلى الغيرة، في وقت التهجد والذكر، لذا قالت – رضي الله عنها: **(بأبي أنت وأمي، إني لفي شأن، وإنك لفي آخر)**، لتثني عليه – صلى الله عليه وسلم-، ولتبين ما قصر عنه تفكيرها، وهو ضرورة الذكر في ذلك الوقت، ولتبين أيضا الفرق الشاسع بين ما كان عليه حال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، من الذكر والطاعة، وبين الحال الذي كانت عليه هي من الغيرة.

وفي ذلك ما يوضح أنها – رضوان الله تعالى عنها-، تقلل من شأن موقفها، لتبرز ميزة الذكر وفضله. وتحث عليه، بأسلوب ضمني.

وكل ما سبق يدل على أن الأذكار دروس تربوية، تأخذ بيد الإنسان إلى الطمأنينة، والتوازن النفسي، وتشعره بقرب ربه منه، فتطمئن نفسه، وتسمو روحه لكي تنهل من فيوضات الرب – جل وعلا-. فيصبح إنسانا سويا، تقيا يسير في درب الهداية.

وهو سلاح قوي، يواجه المسلم به أعداءه من الجن والإنس، وذلك ما يدركه كل مسلم كمل إيمانه، وعلا يقينه، وقوي اتصاله بحسن الظن بربه.

أما الذين انصرفوا عن ذكر ربهم، فأطبقت عليهم الأمراض النفسية، فمن الجدير بهم أن يقبلوا على ذكر ربهم، لما في الذكر من دواء ناجع لدائهم.

---

١) مسند أحمد ج٦ ص ٢٩٤، ٣٢٢، وإسناده صحيح، انظر المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين، ج١٨ ص٢٤٨

٢) سنن أبي داوود ، كتاب الأدب، باب (١٠٨)، ما يقول الرجل إذا تعارّ من الليل، رقم الحديث: ٥٠٦١، ج٢ ص ٧٣٥.

٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الصلاة، باب (٤٢)، ما يقال في الركوع والسجود، رقم الحديث: ٤٨٥، ج٤ ص١٧٠

ومن الذكر أيضا، شكر الخالق – سبحانه- على إنعامه وفضله. ومن الشكر معرفة قدر تلك النعم، والحفاظ عليها.

ويتجلى ذلك في موقف السيدة ميمونة – رضي الله تعالى عنها-، عندما أبصرت حبة رمان في الأرض ، فأخذتها، وقالت: **(إن الله لا يحب الفساد)**.[1]

ويتضح من هذا الموقف؛ ضرورة استشعار عظمة نعم الله – تعالى- على عباده، وإن كانت في مثل حبة الرمان. ذلك لأن الخالق – سبحانه وتعالى- يمتن على عباده، فيرزقهم ويتفضل عليهم، ويحب شكرهم وعرفانهم بهذه النعم، ليزيدهم منها. وفي ذلك يقول – سبحانه-: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ . . ﴾.[2]

" فشكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية، فالخير يشكر، لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي في الفطرة المستقيمة. والنفس التي تشكر الله على نعمته، تراقبه في التصرف بهذه النعمة، بلا بطر، وبلا استعلاء على الخلق، وبلا استخدام للنعمة في الأذى والشر والدنس والفساد. وذلك مما يزكي النفس، ويدفعها للعمل الصالح، والتصرف الصالح في النعمة بما ينميها، ويبارك فيها، ويرضي الناس عنها، وعن صاحبها، فيكونون له عونا، ويصلح روابط المجتمع، فتنمو فيه الثروات، في أمان".[3]

ويشير الموقف الذي اتخذته السيدة ميمونة إلى استقامة نفسها، مما دفعها إلى كراهية الاستهانة بالنعمة، مع دقتها، وصغر حجمها.

كما أن ذلك يشير إلى أن ما قل وماكثر من النعم؛ على حد سواء في ضرورة العناية والتقدير والعرفان للمنعم به. وذلك يقود إلى الاعتراف بأن الإيمان المتين هو الذي يجعل الإنسان يعي فضل ربه، ويدرك ضرورة شكره، والعرفان بمنه وفضله دائما، مما يجعله يدرك أهمية النعمة إن دقت وإن عظمت.

وإلى جانب ذلك، ينبغي للمسلم أن يستشعر من خلال ما يدور حوله من مظاهر عظمة الخالق – جل وعلا-، ليغرس في نفسه العجب من تلك العظمة؛ فيزداد إيمانه، ويقوى يقينه؛ ويتجلى ذلك في موقف السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، وذلك حينما قالت: **(الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات)**[4]، وفي سنن ابن ماجه: **(تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله، وهي تقول: (أكل شبابي**

---

١) ابن سعد: الطبقات، ج٨ ص١٣٩

٢) سورة ابراهيم، جزء من الآية: ٧

٣) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج١٣، المجلد الرابع، ص٢٠٨٩ ، بتصرف يسير.

٤) فتح الباري، كتاب التوحيد، باب (٩)، وكان الله سميعا بصيرا، ج١٥، ص٣٢٤.

ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾[1]،[2].

وفي هذا الموقف، يتضح أن التعجب من قدرة الله – تعالى-، سبيل من السبل التي تقود الإنسان إلى التيقن من أنه مخلوق ضعيف، يحتاج إلى أن يستمد القوة من خالقه دائما، وذلك أمر من الأمور التي تعزز الإيمان في القلب، وتوثقه. وهو أيضا من الدوافع التي تدفع الإنسان إلى الارتباط بخالقه، واستشعار عنايته ورعايته الدائمة، مما يجعله يتحرى التقوى في جميع أقواله وأفعاله. ومما يجعله دائم الذكر والشكر.

وفي هذا الحديث الشريف يبرز التعجب من تلك القدرة العظيمة، التي تسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الملساء، في الليلة الظلماء، والتي تشعر الإنسان بالقدرة المحدودة التي أوتيها في السمع، والإدراك. فالسيدة عائشة كانت بالقرب من السيدة خولة – رضي الله تعالى عنهما-، حيث كانت في ناحية من البيت، وكانت خولة تشتكي إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم- مظاهرة زوجها لها، وتجادله. فتعجز السيدة عائشة عن سماع ذلك الجدال، وتعلن عجزها إلى جانب إعلانها سمع الخالق – عز وجل-.

وتلك هي المرحلة الأولى التي تأخذ بيد الإنسان إلى اليقين بالتفاوت الذي لا يمكن قياسه بين قدرة الخالق – جل وعلا- وقدرة عبيده.

وذلك اليقين يؤدي إلى الغاية التي لابد من التوصل إليها، ليظفر الإنسان بالأجر والثواب؛ وفي قول السيدة عائشة، ما يوضح ذلك؛ حيث قالت: (**الحمد لله**)، وتلك هي الغاية من استشعار قوة الله – تعالى-، فإذا أيقن الإنسان ذلك، سلك مسلك الشكر والعرفان والامتنان للمنعم بفضله ومنّه.

ثانيا: الحض على امتثال أمر الخالق – سبحانه-:

لقد كان امتثال أمر الخالق – جل وعلا-، نصب أعين أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، ولا ريب في ذلك؛ فهن اللواتي رباهن الرسول – صلى الله عليه وسلم-، على طاعة الله – تعالى- وطاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم-. فسلكن ذلك السبيل في حياته – عليه الصلاة والسلام-، وبعد وفاته.

---

١) سورة المجادلة، جزء من الآية : ١

٢) سنن ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب (٢٥)، الظهار، رقم الحديث: ٢٠٦٣، ج١ ص٦٦٦

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد عن السيدة سودة -رضي الله تعالى عنها-، أنها قالت: **(حججت، واعتمرت، فأنا أقر في بيتي كما أمرني الله – عز وجل-)**[1]. وفي هذه الكلمات ما يبين شفافية تلك النفس الطيبة؛ التي امتثلت الأمر، وذكّرت بالآمر، ووعظت بذلك الأمر غيرها، بأن جعلت من نفسها – رضوان الله تعالى عنها- قدوة وأسوة في الامتثال والتطبيق.

فبتلك الكلمات؛ وجهت النساء إلى ضرورة القرار في البيت، وملازمته، وعدم الخروج إلا للحاجة الداعية للخروج.

وهذا الالتزام والتطبيق، يعود إلى تقوى الله – عز وجل-، وامتثال أمره – سبحانه-، فهو القائل: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[2]. ويعود كذلك إلى طاعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم-. فقد خاطب – عليه الصلاة والسلام-، أمهات المؤمنين بعد أن حججن معه، بقوله: **(هذه ثم ظهور الحصر)**[3]،[4] ليرشدهن إلى أن الأمر الداعي لخروجهن – وهو الحج-، قد انقضى، وانقضت الحاجة به، وبالتالي فلا خروج إلا للحاجة الماسة. ولكن ذلك الإرشاد لم يكن على سبيل النهي التام، فقد التزمته السيدة سودة، والسيدة زينب بنت جحش – رضوان الله تعالى عنهما-، فقلن: **(والله لا تحركنا دابة بعد قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم- هذه ثم ظهور الحصر)**[5]، أما غيرهن من نساء النبي – صلى الله عليه وسلم-، فقد كن يحججن بعد وفاته – عليه الصلاة والسلام-.

وفي ذلك الخلاف ما يشير إلى أن المرأة ليست منهية تماما عن الخروج من بيتها، ولكنها مطالبة بأن يكون البيت هو القرار الذي تسكن إليه غالبا، وهو المكان الذي تثقل فيه، بحيث لا تطيل البقاء خارجه، بل تقدر مكثها في أي مكان آخر، بقدر الحاجة التي أخرجتها من بيتها.

ومن هنا يمكن القول للنساء اللواتي عشقن التسوق، وأماكن الترفيه، من حدائق وملاه، ومطاعم، وغيرها، بقصد الترويح عن النفس والتأمل في كل جديد. أنه: قد آن لهن أن يعرفن أن كل تلك المغريات من صنع عدو يريد أن يصرفهن عن التعرف على واجبات دينهن، ومسؤلياتهن وما عهد إليهن من عناية ورعاية.

وإن مما يعين على الاستقرار، عدم الاهتمام البالغ بمتع الدنيا وزينتها؛ وتحدي الرغبة الداعية إلى الإقبال عليها. فقد نقت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، أنفسهن وطهرنها

---

١) ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص٥٥

٢) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٣٣

٣) ظهور الحصر: الحصير سقيفة تصنع من بردي، وأسل، ثم تفرش، سمي بذلك لأنه يلي وجه الأرض. والمراد من خطاب الرسول – صلى الله عليه وسلم- لأزواجه: أنكن لا تعدن تخرجن من بيوتكن وتلزمن الحُصُر، وهو جمع حصير الذي يبسط في البيوت. انظر لسان العرب، لابن منظور، ج٤ ، ص١٩٥

٤) مسند أحمد، ج٦، ص٣٢٤، إسناده صحيح، مسند أحمد بشرح حمزة الزين ، ج١٨ ص٣١٥.

٥) المرجع نفسه.

من كل أسباب التعلق، فصفت نفوسهن، وتوجهت لخالقها، وسعدت بالبقاء والمكث في البيت سنوات عديدة، انتقلن بعدها إلى مرضات الله – عز وجل–، وجناته. رضي الله تعالى عنهن، وأنزل على قبورهن شآبيب الرحمة والرضوان.

ثالثا: الحض على الصبر:

لقد أثنى الخالق – جل وعلا– على الصابرين، ووعدهم الأجر الجزيل، والثواب الرفيع، فقال – جل شأنه–: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا . ﴾[1]، وقال: ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[2]، وقال: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾[3].

كما بشر رسول الله – صلى الله عليه وسلم– الصابرين، ووعدهم الجنة. وقد سمعت السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها– تلك البشارة، وأحبت أن يتسع نطاقها؛ فدار ذلك الحوار بينها وبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم–:

قال – عليه الصلاة والسلام–: **(من كان له فَرَطان[4] من أمتي، أدخله الله بهما الجنة، فقالت عائشة: فمن كان له فَرَط من أمتك؟ قال: ومن كان له فرط يا موفقة، قالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك؟ قال: فأنا فرط أمتي، لن يصابوا بمثلي)**[5].

ومن هذا الحوار الطيب، نستشف تلك العظمة البالغة التي تصقل النفس البشرية، وتربيها على تحمل الشدائد، فتتجو من كل ما من شأنه أن يحطم كيانها، أو يودي بها إلى الانهيار؛ فتبقى سوية متفائلة بما ستحظى به من خير ورضوان من الخالق – جل وعلا–.

ولم تغب هذه الحقيقة عن فكر السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–؛ وذلك ما يشير إليه تساؤلها، الذي أخذ مأخذ التدرج في رجاء توسيع دائرة تلك الرحمة، حيث رجت، أن يحظى من فقد ولدا واحدا من أولاده، بما يحظى به من فقد اثنين، فإذا بها تفوز بتبشيره بذلك؛ من خلال إقرار

---

١) سورة القصص، جزء من الآية: ٥٤

٢) سورة الإنسان، الآية ١٢

٣) سورة الفرقان، الآية: ٧٥

٤) فرطان: الفرط بفتح الفاء والراء: ما تقدم من أجر وعمل، وفرط فلان وُلْدا وافترطهم: أي ماتوا صغارا، وأفرط فلان ولدا: إذا مات له ولد وهو صغير قبل أن يبلغ الحلم. وفي الدعاء للطفل الميت اللهم اجعله لنا فرطا: أي أجرا يتقدمنا حتى نَرِد عليه. انظر لسان العرب، لابن منظور ج٧ ، ص٣٦٧

٥) سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب (٦٥)، ما جاء في ثواب من قدم ولدا، رقم الحديث: ١٠٦٢، ج٣، ص٣٧٦، وقال: حديث حسن غريب.

المطلب الثاني: الجوانب التربوية التعبدية

أولا: الحض على أداء السنن:

السنن جمع سنة، والسنة هي ما نقل عن النبي – صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل أو تقرير. **والمراد بالفعل في هذا التعريف:** ما نقله الصحابة من أفعال النبي – صلى الله عليه وسلم- في شئون العبادة وغيرها؛ كأداء الصلوات ومناسك الحج، وآداب الصيام.[1]

وهي -أي السنن- أعمال يتقرب بها المسلم إلى ربه، ويبتغي بها مرضاته، ويتحرى من خلالها الحفاظ على ما كان يتعاهده الرسول – صلى الله عليه وسلم- ويواظب عليه.

لذا ورد عن أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- الحث عليها، وترغيب المسلمين بها. وذلك من خلال إبراز حسن تأسيهن بالرسول – صلى الله عليه وسلم-، و من خلال دعوتهن إليها، أو من خلال إيضاح حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم- عليها.

وفيما يأتي تفصيل ذلك:

(١) الحث على الدوام على العبادة ولو كانت قليلة:

وذلك ما وضحته السيدة عائشة – رضي الله عنها-، عندما سُئلت: **(هل كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، يختص من الأيام شيئا؟ قالت: كان عمله ديمة،[2] وأيكم يطيق ما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، يطيق)**[3].

ويتضمن هذا الحديث إبراز صورة مشرقة للعبادة التي كان عليها الرسول – صلى الله عليه وسلم-؛ فقد كانت أعماله التعبدية – صلى الله عليه وسلم-، مستمرة على الدوام، دون ملل أو فتور، أو انقطاع. وهذه الصورة تجعل المسلم ينظر إليها بعين الإجلال والإكبار، مما يعرفه بحقيقة أمره فيما يتعاهده من عبادات، فينكشف له مدى حرصه على العبادة، وحينها يحكم على نفسه إن كان مقتديا برسول الله – صلى الله عليه وسلم- حقا، أم لا.

---

١) مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ٤٧، بتصرف

٢) ديمة: الديمة مطر يكون مع سكون، وقيل يكون خمسة أيام أو ستة. والسيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- شبهت عبادة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بالديمة من المطر في الدوام والاقتصاد. انظر لسان العرب، لابن منظور، ص٢١٣ ، ٢١٤، بتصرف.

٣) فتح الباري، كتاب الصوم، باب ٦٤، هل يخص شيئا من الأيام، الحديث ١٩٨٧، ج٤، ص٧٥٩

كما أن الحفز الوارد في قول السيدة عائشة: **(وأيكم يطيق ما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، يطيق)**، حفز يأخذ بيد الإنسان، فيدفعه إلى حب الاقتداء، والمماثلة، لمن ذكر له أفضليته عليه، – وعلى الرغم من كون المماثلة التي يرنو إليها المسلم لا يمكن أن تتحقق، لكون الرسول – صلى الله عليه وسلم–، يطيق ما لا يمكن لغيره أن يطيق–؛ إلا أن ذلك الحفز يدفعه إلى بذل قصارى الجهد في الدوام على العبادة.

(٢) الحث على أداء النوافل، وقيام الليل:

ويتضح ذلك مما ورد عن السيدة أم حبيبة – رضي الله تعالى عنها–، في حثها على الحفاظ على السنن الرواتب. فقد ورد في صحيح مسلم عن النعمان بن سالم[١] عن عمرو بن أوس[٢] قال: حدثني عنبسة بن أبي سفيان[٣] في مرضه الذي مات فيه، بحديث يَسَّارّ إليه،[٤] قال: سمعت أم حبيبة تقول: **(سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، يقول: من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة، بُني له بهن بيت في الجنة، قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة، وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة، وقال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس.)**[٥]

ويجدر بنا أن نفعل كفعلهم، ونقول كقولهم؛ فما أجمل الأثر الذي يتوالى غرسه في النفوس، وما أجمل الاقتداء بمن هم أهل للإقتداء. فأم حبيبة – رضوان الله تعالى عنها–، لم يقتصر تعليمها على نقل حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم–؛ فقد تدرج موقفها من التعليم إلى التربية؛ حيث حثّت حثا ضمنيا، ببيان حفاظها على الالتزام بتطبيق مادعا إليه الرسول – صلى الله عليه وسلم–،

---

١) هو النعمان بن سالم الطائفي، ذكره ابن حبان في كتاب الثقات: ٤٧٣/٥، وروى له الجماعة سوى البخاري. انظر تهذيب الكمال، ج٢٩، ص٤٤٨

٢) هو عمرو بن أوس بن أبي أوس، واسمه حذيفة الثقفي الطائفي، ذكره ابن حبان في كتاب الثقات: ١٧٥/٥، وروى له الجماعة. تهذيب الكمال، ج٢١، ص٥٤٧

٣) هو عنبسة بن أبي سفيان، واسمه صخر بن حرب، بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أبو الوليد، ويقال أبو عثمان، ويقال أبو عامر المدني، أخو أم المؤمنين السيدة أم حبيبة – رضي الله عنهما، ذكره ابن حبان في التابعين من كتاب الثقات:٢٦٨/٥ ، روى له الجماعة سوى البخاري. تهذيب الكمال، ج٢٢ ، ص٤١٤

٤) يتسار إليه: أي يسرّ به من السرور، لما فيه من البشارة لسهولته. صحيح مسلم بشرح النووي، ج٦، ص٩

٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (١٥)، فضل السنة الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، رقم الحديث: ٧٢٨، ج٦ ص٧

لتدعو بذلك كل سامع إلى العناية بتلك النوافل، وإلى ضرورة الاقتداء بها؛ فهي زوج الرسول – صلى الله عليه وسلم–، وأم المؤمنين.

وقد كان لتلك التربية أثرها؛ حيث تجلى ذلك الأثر في توالي الاستجابة إلى الامتثال والتطبيق، لدى الرواة الذين سمعوا، ورووا ذلك الحديث؛ فكان كل واحد منهم يسمعه فيرويه ويمتثله، ويعلن ذلك الامتثال، ليحث بدوره كل من يسمعه، فيهدي به.

ولم تكن تلك العناية، وتلك المواظبة، إلا نتيجة لما استلهمته السيدة أم حبيبة – رضي الله تعالى عنها–، وما استلهمه الرواة الكرام من "استحباب المحافظة على أداء الاثنتي عشرة ركعة".[1] وما تنطوي عليه تلك الركعات من فضل كبير.

ومن دروس التربية على النوافل أيضا؛ ما روته السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، قالت: **(لم يكن النبي – صلى الله عليه وسلم–، على شيء من النوافل أشد منه تعاهدا على ركعتي الفجر)**.[2]

ونلمس في هذه الصيغة من الحث ما يدعو إلى البحث عن قيمة تلك الركعتين، مما جعل الرسول – صلى الله عليه وسلم–، يتعاهدهما ذلك التعاهد الشديد، الذي أبرزت قوته السيدة عائشة بقولها أولا: **(لم يكن النبي)**، ثم قولها: **(أشد تعاهدا)**، وذلك يشير إلى ما يدخره المولى – جل وعلا–، لمن يحرص على أدائهما، ويتعاهدهما كتعاهد الرسول – صلى الله عليه وسلم–، لهما.

وفي ذلك من التربية ما يدفع البصير إلى اليقظة الدائمة، التي تدعوه إلى العناية بركعتي الفجر، وعدم التفريط فيهما. حيث تتضمن كلمات السيدة عائشة "التنبيه على أهمية ركعتي الفجر والتأكيد على المحافظة عليها وأن أداءهما بإخلاص خير من الدنيا وما فيها من متاع".[3]

كما حثّت رضوان الله تعالى عنها– على صلاة الضحى؛ فقد أخرج مسلم عن عائشة – رضي الله تعالى عنها– قالت: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، يصلي الضحى أربعا، ويزيد ما شاء الله)**[4].

وهنا تتضح التربية الطيبة؛ حيث توضح السيدة عائشة، عدد الركعات التي كان يصليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، في الضحى؛ فهي أربع ركعات؛ وفي هذا العدد من اليسر

---

١) النووي: نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، من كلام سيد المرسلين، ج٢ ص ٨٠١

٢) فتح الباري، كتاب التهجد، باب (٢٧)، تعاهد ركعتي الفجر ومن سماهما تطوعا، رقم الحديث: ١١٦٩، ج٣ص ٣٥٩، و صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة المسافرين، باب (١٤) ، استحباب ركعتي سنة الفجر، رقم الحديث:٧٢٤ ، ج٦ ص٤

٣) النووي: نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، ج٢ ص٨٠٣

٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة المسافرين ١٣ باب استحباب صلاة الضحى، رقم الحديث: ٧١٩، ج٥ ص١٨٨

والسهولة مايدعو إلى الاقتداء به – صلى الله عليه وسلم–، فهي ركعات تعادل في عددها ركعات بعض الصلوات المفروضة؛ كالظهر، والعصر، والعشاء. وبالتالي فإن هذا العدد، قد ألِفه المسلم في عبادته اليومية، وذلك يعني أنه يخاطب بأداء صلاة هي من اليسر كالصلاة التي اعتادها.

ولا يقتصر الحث على ذلك فقط؛ حيث أضافت إليه، حثا ضمنيا، وذلك في قولها: **(ويزيد ما شاء الله)**، لتدفع بذلك المسلم إلى الاستجابة التلقائية، التي تجعله يكثر من عدد ركعات نافلة الضحى فوق أربع ركعات، أي على قدر استطاعته. وهذه التربية تجعل المسلم الواعي، يبذل قصارى جهده لبلوغ العدد الأكبر من الركعات، ليكون مطمئنا إلى حسن اقتدائه برسول الله – صلى الله عليه وسلم–. وقد " أفاد هذا الحديث أنه لا حصر للزيادة في صلاة الضحى، ولكن استقراء الأحاديث الواردة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يدل على أنه لم يزد على الثمان، ولم يرغب في أكثر من اثنتي عشرة ركعة"[1]

ومن وجوه التربية التي عنيت بها أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، أيضا، حرصهن على تعليم صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–. ولا سيما حين يستفسر أحدهم، ويطلب الإفادة.

وحينها، يعتنين بالإجابة على الوجه الأكمل الذي يلبي حاجة السائل، ويغذي روحه فيما يحتاجه من علم، وتربية.

ومن ذلك ما أخرجه ابن ماجة عن قابوس[2] عن أبيه، قال: **(أرسل أبي إلى عائشة: أي صلاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، كان أحب إليه أن يواظب عليها؟ قالت: كان يصلي أربعا قبل الظهر، يطيل فيهن القيام، ويحسن فيهن الركوع والسجود).**[3]

وبهذه الإجابة تتفضل السيدة عائشة بإهداء التربية والتعليم، في آن واحد؛ حيث أعلمت السائل؛ أحب الصلوات التي كان الرسول – صلى الله عليه وسلم– يحافظ عليها؛ وهي أربع ركعات قبل صلاة الظهر، ثم انتقلت إلى التربية التي تصقل أداء المسلم لتلك الصلاة، ولغيرها من الصلوات؛ بحيث يؤديها على الوجه الأكمل الذي يحبه الله – تعالى–، ورسوله – صلى الله عليه وسلم–؛ وذلك في قولها للسائل: **(يطيل فيهن القيام، ويحسن فيهن الركوع والسجود)**. مما يشير إلى الأداء الأفضل للصلاة؛ فإطالة القيام بالتلاوة، ومناجاة الخالق – سبحانه–؛ لها أثرها الكبير في تغذية الروح تغذية نابعة عن اتصال العبد بربه، وما يؤدي إليه ذلك الاتصال من شعور بالطمأنينة،

---

١) النووي: نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، ج٢ ص٨٠٣

٢) قابوس: ابن أبي ظبيان،حصين بن جندب، قال النسائي : ليس به بأس، وذكره ابن حبان في كتاب (الثقات)، توفي بالمدينة في خلافة عبد الملك، وكان قليل الحديث. تهذيب الكمال، ج٢٣ ، ص٣٢٧ و ٣٣٣

٣) سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب (١٠٥)، الأربع ركعات قبل الظهر، رقم الحديث: ١١٥٦، ج١ ص٣٦٥، وقال الألباني: حديث ضعيف، انظر ضعيف ابن ماجة، ص٨٤

والخشوع. كما أن إحسان الركوع والسجود، له أثره في استشعار العبد لضعفه أمام القوة التي يركع لها ويسجد، مما يدعوه إلى الخضوع، والشعور بالحاجة الدائمة إلى الله – جل وعلا-، وإلى مغفرته.

ولا يقتصر الفضل على تلك الركعات فقط؛ فهناك من الركعات مايزيد المؤمن خيرا كثيرا، وذلك ما توضحه السيدة أم حبيبة، في قولها: **(قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها، حُرّم على النار).**[1]

ويا لها من بشارة طيبة تكفلت بتبليغها لأمة محمد – صلى الله عليه وسلم-، لتدعوهم إلى الزيادة من النوافل التي حث الرسول – صلى الله عليه وسلم-، على إتيانها؛ ففي هذا الحديث؛ بشارة بالفوز الكبير الذي أعده الخالق – سبحانه-، لعباده. فإذا أضفنا الحث الوارد فيه، إلى ما سبقه، مما ذكرته السيدة عائشة، أن أحب الركعات التي كان يتعاهدها الرسول – صلى الله عليه وسلم-؛ هي أربع ركعات قبل الظهر؛ فإن التأكيد عليها في حديث السيدة أم حبيبة – رضوان الله تعالى عنهما-، مع ذكر الأربع ركعات التي بعد صلاة الظهر؛ دليل على الفوز الكبير، المُعدّ لمن يقيم تلك الصلوات، ويحافظ عليها؛ حيث سيحظى بمرضاة الله تعالى، وليس ذلك فحسب؛ فهناك بشارة بالحماية التامة من النار، ففي قول الرسول – صلى الله عليه وسلم-، **(حرم على النار)**، دليل على أن الذي يعتني بتلك الركعات محمي حماية كاملة من النار، ولو كان شيئا يسيرا منها، وذلك ما يدل عليه لفظ التحريم.

وإلى جانب ذلك، تحض السيدة عائشة، على النافلة بعد المغرب والعشاء، بإيضاح حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم-، عليها، وفي ذلك تقول: **(. . . وكان يصلي بالناس المغرب، ثم يدخل، فيصلي ركعتين. ويصلي بالناس العشاء، ويدخل بيتي فيصلي ركعتين).**[2]

مما يدل على أن المحافظة على أداء السنن الرواتب؛ عمل يحبه الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم، وذلك يدفع بالمسلم إلى الاجتهاد فيها على قدر المستطاع. كما أن أداءه – عليه الصلاة والسلام- في بيته؛ يشير إلى أفضلية أداء الرجل للنوافل في بيته.

وفي قيام الليل تؤكد السيدة عائشة، حرص رسول الله – صلى الله عليه وسلم- عليه، وتدعو المسلمين إلى العناية به؛ وفي ذلك تقول لأحد الصحابة: **(لاتدع قيام الليل؛ فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، كان لا يدعه، وكان إذا مرض أو كسل، صلى قاعدا).**[1]

---

١) سنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب (٢٩٦) ، الأربع قبل الظهر وبعدها، رقم الحديث: ١٢٦٩، ج١ ص٤٠٦، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر صحيح أبي داوود، ج١ ص ٢٣٦ .

٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (١٦)، جواز النافلة قائما وقاعدا، رقم الحديث: ٧٣٠، ج٦ ص٨

ويتضح في هذا التوجيه الأهمية الكبرى لقيام الليل؛ فالسيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، توجه إرشادها بصيغة النهي عن ترك قيام الليل، والنهي غالبا يشير إلى خطورة المنهي عنه، ويتضح ذلك في قولها: (**لاتدع قيام الليل**)؛ وبذلك تؤكد على ضرورة القيام، وتدعو إليه، وليس ذلك فحسب؛ بل تضيف دليلا عمليا يثير الدافعية إلى الحفاظ على القيام؛ ففي قولها: (**فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– كان لا يدعه**)، دليل يرشد المؤمن الحق إلى أن من غفر الله – تعالى– له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو رسول الله – صلى الله عليه وسلم– كان لا يدع القيام مطلقا، مما يدفع المسلم إلى الشعور بأنه هو الأولى بالحرص على القيام الدائم، لما هو محتاج إليه من مغفرة ورحمة.

وإذا كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، يحرص على القيام ذلك الحرص الشديد، الذي أوضحته السيدة عائشة، بقولها: (**وكان إذا مرض أو كسل، صلى قاعدا**)، فدل ذلك على أن قيامه – عليه الصلاة والسلام–، كان يؤديه على الدوام، دون كلل أو ملل، وإذا واجه ما يقلل من قدرته على الصلاة واقفا، صلى – عليه الصلاة والسلام–، قاعدا.

وفي هذا التأكيد من التوعية؛ ما يدفع بالمسلم إلى أن يبذل قصارى جهده في العناية بقيام الليل، والحرص على الدوام عليه.

وتضيف السيدة عائشة في حديث آخر، إيضاح الكيفية التي كان الرسول – صلى الله عليه وسلم–، عليها في قيامه في الليل؛ فتقول: (. . **وكان يصلي من الليل تسع ركعات، فيهن الوتر، وكان يصلي ليلا طويلا قائما، وليلا طويلا قاعدا، وكان إذا قرأ وهو قائم، ركع وسجد وهو قائم، وإذا قرأ قاعدا، ركع وسجد وهو قاعد، وكان إذا طلع الفجر صلى ركعتين**)[2].

وهنا تبرز فوائد تربوية جمة؛ حيث تتضح الضرورة القصوى لقيام الليل، مما جعله يتخذ عدة صور، وهيئات، تشير إلى ضرورة أدائه، وخسران التفريط فيه، كما تشير إلى التيسير المتاح لمن يحب الإطالة فيه، فقد كان – عليه الصلاة والسلام–، يؤدي صلاة الليل، تسع ركعات، يختمهن بالوتر، ويصلي على هيئتين إحداهما وهو قائم، والأخرى وهو قاعد. وذلك يرشد إلى أن القيام والقعود صورتان تعينان المسلم على تنويع هيئة صلاة الليل، ليتجدد بهما نشاطه، وليستشعر الخضوع والخشوع فيهما.

---

١) سنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب (٣٠٧)، قيام الليل، رقم الحديث: ١٣٠٧، ج١ ص٤١٧، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر صحيح أبي داوود، ج١ ص٢٤٣

٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (١٦)، جواز النافلة قائما وقاعدا، رقم الحديث: ٧٣٠

(٣) الحث على الصيام:

لقد تعبّدنا الخالق – عز وجل– بالصيام، وفرض علينا صوم رمضان، وتكفل – سبحانه–، بإثابة الصائمين ثوابا عظيما، ليكون الصوم مدرسة تربوية، تعد المسلم إعدادا طيبا، وتسهم في إعداد ملامح الشخصية الإسلامية، بحيث ينطلق المسلم مما تعلمه في صيامه من صبر وجلد، إلى تحمل التكاليف والمشاق، التي تواجهه في دينه و دنياه.

ومن هنا كان الصيام أمرا من الأمور التي حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم– على الإكثار منها، زيادة على ما فرضه الخالق – جل وعلا–. وقد وعت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن– ذلك الحرص، وأدركن تلك الأهمية، وأبرزن صورة صيامه – صلى الله عليه وسلم– وأوضحن الأيام التي كان يتعاهدها بالصيام، فلا يفوته صومها مطلقا.

تقول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، فما رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان).**[1]

وبهذه الصيغة في إيضاح منهج الصوم عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، تبرز السيدة عائشة، يسر الإسلام، والطريقة المثلى في عبادة الصوم، حيث تتضح حرية الاختيار التي حظي بها المسلم؛ بحيث يختار من الأيام ما يشاء أن يصوم فيه؛ فإذا أحب أن يواصل الصوم لمدة طويلة، فله ذلك، وإذا أحب أن يمتنع عن الصوم لمدة طويلة، فله ذلك أيضا، ولا يؤاخذ على فعله، إلا في الشهر المفروض عليه، وهو شهر رمضان.

وذلك ما يدل عليه قولها – رضوان الله تعالى عنها–: **(يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم)**، وذلك يفيد بأنه – عليه الصلاة والسلام–، يختار بعض الأيام فيصومها صوما متتاليا، لا يفطر بينها، إلى درجة أنهم يقولون أنه لن يفطر أبدا، ولكنه – عليه الصلاة والسلام–، يختار أياما أخرى ليفطر فيها، ويترك الصوم مؤقتا، فتتوالى تلك الأيام إلى أن يقولوا أنه لن يصوم.

ثم تضيف السيدة عائشة، مثالين على قولها، لتؤكد ذلك المنهج؛ فتقول: **(فما رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان)**. وبهذا القول توضح – رضي الله تعالى عنها–، الأيام التي يفطرها الرسول – صلى الله عليه وسلم–، والأيام التي يصومها؛ ففي بعض الشهور تلاحظ عدم استكماله لها بالصوم، بحيث يترك – عليه الصلاة والسلام–، الصيام فيها لفترة قد تكون طويلة أحيانا، – وهذا ما نستنتجه من

---

١) فتح الباري، كتاب الصوم، باب (٥٢)، صوم شعبان، رقم الحديث: ١٩٦٩، ج٤ ص٧٣١

قولها: **(حتى نقول لا يصوم)**-. وفي بعض الشهور، تلاحظ حرصه على الصيام الكثير، كصيام شهر شعبان، مما يشير إلى الأجر العظيم الذي يختص الصوم به في هذا الشهر.

ومن الأيام التي كان يحرص الرسول – صلى الله عليه وسلم-، على صومها، ما أخبرت به السيدة حفصة – رضي الله تعالى عنها-، في قولها: **(أربع لم يكن يدعهن النبي – صلى الله عليه وسلم-: صيام يوم عاشوراء، والعشر،[1] وثلاثة أيام من كل شهر، وركعتين قبل الغداة).**[2]

وتلك هي سنته – صلى الله عليه وسلم-، في تلك الأيام الكريمة المباركة؛ حيث كان يتعاهدها بالصوم، فلا يترك ذلك مطلقا. وفي قول السيدة حفصة، إيضاح لذلك الحرص، وتربية تدفع المسلم إلى تحري أهمية تلك الأيام، والدوام على صيامها، حيث تقول: **(لم يكن يدعهن)**، وهذا النفي يتضمن حثا يشعر المسلم بضرورة الاقتداء، فرسول الله – صلى الله عليه وسلم-، قد حافظ على صيام تلك الأيام، وذلك يدل على أنها أيام مباركة، تتنزل فيها الرحمات، وتستوجب فيها المغفرة. لذا فالمسلم مطالب بتلمس أوقات النفحات الإلهية، والتعرض لها بالطاعات والقربات، للفوز برضوان الله – عز وجل-.

وقد اقتدت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، بفعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فكن يصمن قدر استطاعتهن، ولا سيما السيدة عائشة، التي كانت تصوم كثيرا، وقد قيل: **(أن عائشة كانت تصوم الدهر، ولا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر).**[3]

ويشير هذا الوصف إلى حرصها الشديد على الصوم، وفي ذلك من التربية ما يدعو المسلم إلى جهاد النفس، والإكثار من الصيام؛ فالمسلم بحاجة إلى الأعمال التعبدية التي تعينه على تحصيل الأجر والثواب، وفي الصيام ما يلبي تلك الحاجة.

والسبيل إلى الإكثار من الصوم يكمن في التعود عليه؛ حيث يمكن أن يضع الإنسان خطة لذلك؛ كأن يحدد لأول ثلاثة أشهر من بدء الخطة: صيام الأيام البيض منها، وهي الثالث عشر، والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر، ثم يضيف إليها كل يوم اثنين وخميس من كل أسبوع، ثم يضيف لنفسه ما يشاء من الأيام مستقبلا. على أن يحرص على الالتزام بتطبيق الخطة، التزاما محكما، يدعوه إلى النشاط، وعدم التخاذل.

وفي الحقيقة؛ أن التعالي على النفس، وتعويدها اتباع التخطيط العقلي السليم، ينافي اتباع هواها، ويقلل من أثرها في الأمر بالسوء، وفي ذلك يقول المولى – جل وعلا-: ﴿إِنَّ النَّفْسَ

---

١) يوم عاشوراء: هو اليوم العاشر من شهر محرم. والعشر: هي الأيام التي تسبق عيد الأضحى من شهر ذي الحجة.

٢) مسند أحمد، ج٦ ص٢٨٧، وإسناده صحيح، انظر المسند للإمام أحمد، بشرح حمزة الزين، ج١٨ ص٢٢٩

٣) صفة الصفوة، ج٢، ص٣١

لأمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾.[1] ويتحدث الشاعر عن طبيعة النفس، وقدرة الإنسان في السيطرة عليها بقوله:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم[2]

وهذا الجانب التربوي ثمرة من ثمرات أمهات المؤمنين في تربية النفس وتزكيتها، مما أثر عنهن من قول وعمل – رضي الله تعالى عنهن-.

ثانيا: حض النساء على التفقه في الدين، وضبط خلق الحياء:

المرأة بطبعها السليم تشعر بالحياء، الذي يمنعها من السؤال، والأخذ والعطاء، مع الرجال، ولا سيما فيما يتعلق بشؤون النساء. إلا أن هذه السمة تتعارض مع حاجتها إلى التفقه في أمور دينها، والتعرف إليها.

فقد فصل الإسلام، الضوابط المختلفة التي تلبي حاجة المرأة إلى التعرف على ما يجب عليها تجاه ما ابتليت به من حيض، واستحاضة، ونفاس، وغيرها من الأمور الفقهية التي تختص بها المرأة.

ولما كان المعلم، هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فقد كانت الحاجة تتطلب الرجوع إليه، والتفقه على يديه. وعلى الرغم من كون أمهات المؤمنين، قد كن الواسطة التعليمية بينه، وبين نساء الأمة؛ إلا أن الصحابيات – رضوان الله تعالى عنهن-، كن يشعرن أحيانا بالحاجة الماسة إلى طلب الفقه من رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، مباشرة. وقد أدركت أمهات المؤمنين، تلك الضرورة، وعرفن قدرها، وشجعن المسلمات على عدم التردد في إبراز تلك الحاجة في الظروف الداعية إليها؛ وفي ذلك، تثني السيدة عائشة – رضوان الله تعالى عنها- على نساء الأنصار، قائلة: **(نعم النساء، نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين).**[3]

ونلمس في هذا الثناء، الدعوة إلى ضرورة الموازنة في خلق الحياء، ووضع الضابط السليم له؛ فالضرورات الحياتية، تتفاوت في درجاتها، ومنها ما يضطر المرأة إلى أن تضبط ما بداخلها من حياء، لتتمكن من الإيفاء بحاجتها.

وتتمثل تلك الضرورة – كما قلنا آنفا-، في أهمية تعلم أمور الدين، المتعلقة بشؤون المرأة، والتفقه فيها. ومن هنا تبرز السيدة عائشة، تلك الأهمية من خلال الثناء على نساء الأنصار، بقولها:

---

١) سورة يوسف، جزء من الآية: ٥٣

٢) من قصيدة البردة، للبوصيري، ص٢٣٧، كتاب دلائل الخيرات، للجزولي.

٣) فتح الباري ، كتاب العلم، باب (٥٠) ، الحياء في العلم، ج١ ص٣٠٨ ، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحيض، باب(١٣) استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، رقم٣٣٢، ج٤ ص١٤

(لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)، لتبين الفصل في مسألة الحياء، ولتحدد الأمر الذي ينبغي للمرأة أن تتحدى فيه حياءها.

وهي – رضوان الله تعالى عنها- بهذه الكلمات، تشجع النساء على أن يحذين حذوهن، ويسلكن سبيلهن، في الحرص على التعلم والتفقه، ليكنّ على بصيرة فيما يخصهن من أمور، وليتفادين بذلك الوقوع في المحظور.

ومن المواقف التي استحقت النساء عليها ذلك الثناء، ما روته السيدة عائشة : **(أن أم حبيبة استحيضت سبع سنين، فسألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، عن ذلك، فأمرها أن تغتسل، فقال: (هذا عرق)، فكانت تغتسل لكل صلاة)**[1].

وهذه الحادثة تبين الضرورة التي ألجأتها للاستفسار من رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، مباشرة؛ فقد عانت – رضوان الله تعالى عنها- من الاستحاضة لمدة سبع سنين، شعرت خلالها بالحياء من السؤال والتعرف على ما يجب عليها اتخاذه تجاه تلك الحالة، إلا أنها تحدّت ذلك الحياء فيما بعد، ورفعت الأمر إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، ليبين لها الفصل فيه.

وبالفعل؛ بيّن لها الرسول – صلى الله عليه وسلم- حاجتها، وأرشدها إلى السلوك الذي ينبغي فعله. ولولا استفسارها، وتعليم الرسول لها، ولولا نقل السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، هذه الحقيقة، لأصبحت النساء في حيرة من أمرهن، حينما يتعرضن لمثل هذه الحالة، والحمد لله رب العالمين.

ثالثا: الحض على إتقان تلاوة القرآن الكريم، والتفاعل معه، والخشوع أثناء تلاوته

القرآن الكريم كتاب الله – تعالى- المنزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم-. وقد تعبدنا الخالق – عز وجل-، بتلاوته. وأمر رسوله الكريم – صلى الله عليه وسلم- أن يتلوه، فقال: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾[2]، وأثنى عليه، فقال: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً﴾[3]، وأثنى كذلك على المؤمنين الذين يتلونه بقوله – تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾[4].

---

١) فتح الباري، كتاب الحيض، باب (٢٦)، عرق الاستحاضة، رقم الحديث: ٣٢٧، ج١ ص٥٦٦

٢) سورة الكهف، الآية: ٢٧

٣) سورة البينة، الآية:٢

٤) سورة فاطر، الآية: ٢٩

ولأجل ذلك وعت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن– ضرورة تلاوة كتاب الله – تعالى–، وترتيله، وضرورة تدبر آياته، وعلمن ما لتحسين الصوت أثناء التلاوة من أهمية بالغة "فتحسين الصوت ينتج عنه التفاعل والرغبة في القراءة، والتأثر والتأثير، فصاحب الصوت الحسن، يتأثر ويؤثر في غيره".[1]

لذا كن يتمتعن بسماع التلاوة، ويقبلن على الإنصات، والتدبر؛ ومن ذلك ما ورد عن السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، قالت: **(أبطأت على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، ليلة بعد العشاء، ثم جئت، فقال: أين كنت؟ قلت: كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك، لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام وقمت معه، حتى استمع له ثم التفت إليّ، فقال: هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا)**.[2]

وفي هذه الرواية تبرز عدة مواعظ تربوية طيبة؛ فإبطاء السيدة عائشة، عن الرسول – صلى الله عليه وسلم–، يفيد بأن السبب الذي دفعها إلى ذلك سبب مهم، وهو الإنصات إلى تلاوة تأخذ بالألباب، تلاوة جعلت من السيدة عائشة، تتأخر في حضورها إلى النبي – صلى الله عليه وسلم–، وهي من هي في شدة حبها له، وحرصها على كسب كل دقيقة من الوقت المخصص لها في البقاء إلى جانبه، ولكن هناك ما دعا إلى تأجيل هذا الحرص مؤقتا؛ وهو التلاوة؛ فهي ليست كأي تلاوة؛ إنها تلاوة إنسان تقول عنه: **(لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد)**، إذن فالحال يدعو إلى البقاء والإنصات. والصوت الذي ينال الأولوية في الاهتمام والعناية غالبا. وفي هذه الحقيقة ما يدفع الإنسان إلى بذل الجهد في ترتيل القرآن الترتيل السليم، والدوام على ذلك، ليكسب المران، ويتقدم في حسن التلاوة شيئا فشيئا، إلى أن يتمتع بالقدرة على التأثير في الآخرين، وجذبهم إلى حب الإنصات إلى القرآن الكريم، وحب تلاوته، وحب الاقتداء به.

وهذه الحقيقة يؤكدها فعل النبي – صلى الله عليه وسلم–، الذي رباهن – رضوان الله تعالى عنهن–، على حب القرآن، وأيدهن في حبهن وإقبالهن عليه؛ فقد اعتنى – صلى الله عليه وسلم–، بما اعتنت به السيدة عائشة، وحرص على تشجيع فعلها، فقام لينصت هو أيضا. ولما حضر ورأى القارئ، وأنصت له، أخبرها عنه بقوله – عليه الصلاة والسلام–: **(هذا سالم مولى أبي حذيفة)**، ثم عقّب مؤيدا لصحة إعجابها بتلاوته، بقوله: **(الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا)**، ليدفع بذلك كل

---

١) فضل عباس: إتقان البرهان في علوم القرآن، ج١ ص٣٠

٢) سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب (١٧٦)، حسن الصوت في القرآن، رقم الحديث: ١٣٣٨، ج١ ص٤٢٥ ، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر صحيح ابن ماجة، ج١ ص٢٢٣

سامع، إلى الاقتداء بذلك الصحابي الجليل، والتحلي بتحسين التلاوة، والارتقاء بالترتيل. وفي ذلك يقول -عليه الصلاة والسلام-: **(زينوا القرآن بأصواتكم)**[1].

ومما ينبغي التنويه إليه هنا، أن السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، بموقفها الكريم، ومحاورتها الطيبة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وإبداء تعجبها من تلاوة سالم مولى أبي حذيفة، كانت سببا في التوجيه التربوي النبوي، المتمثل في قول الرسول – صلى الله عليه وسلم-: **(الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا)**، مما يُشعر المرء بالسعادة الغامرة، أن يكون في مثل تلاوة ذلك الصحابي الذي أدخل السرور إلى قلب النبي – صلى الله عليه وسلم-، حتى شكر الله تعالى على أن كان هذا الرجل في أمته.

ولا يقتصر ترتيل القرآن في التأثير على البشر؛ بل يتعدى إلى جذب الملائكة – عليهم السلام- فالملائكة تطوف بمجالس الذكر لترتع منها، وخير مجلس للذكر الترتيل الحسن.

ومما يدل على ذلك ما حدث للصحابي الجليل أسيد بن حضير – رضوان الله تعالى عنه- الذي أخبر عن نفسه: **(بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده، إذ جالت**[2] **الفرس، فسكت، فسكنت، فقرأ، فجالت الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ، فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبا منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجترّه،**[3] **رفع رأسه إلى السماء، حتى ما يراها ، فلما أصبح حدث النبي – صلى الله عليه وسلم-، فقال له اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير، قال: فأشفقت يا رسول الله، أن تطأ يحيى وكان منها قريبا، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها، قال: وتدري ما ذاك؟ قال: لا، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم)**.[4]

وبالإضافة إلى ما سبق؛ توضح أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، الوجه الأمثل للتلاوة؛ للدعوة إليه، والحث على تطبيقه،؛ وفي ذلك تقول السيدة حفصة: **(ما رأيت رسول**

---

١) سنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب (٣٥٥) استحباب الترتيل في القراءة ، رقم الحديث: ١٤٦٨، ج١ ص٤٦٤، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر صحيح أبي داوود، ج١ ص٢٧٥

٢) جالت: جال واجتال إذا ذهب وجاء، ومنه الجولان في الحرب، والجائل: أي الزائل عن مكانه، ومنه الحديث (لما جالت الخيل أهوى إلى عنقي)، ويقال: جال يجول جولة: إذا دار. انظر لسان العرب،لابن منظور، ج١١ ، ص١٣١

٣) اجتره: لولده: أي اجتر ولده من المكان الذي هو فيه حتى لا تطأه الفرس. انظر فتح الباري، كتاب الصوم، باب (١٥)، نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، رقم الحديث: ٥٠١٨

٤) فتح الباري، كتاب فضائل القرآن، باب (١٥) نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن ، رقم الحديث ٥٠١٨ ، ج١٠ ص٧٧ ، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (٣٦، نزول السكينة لقراءة القرآن) رقم الحديث ٧٩٦، ج٦ ص٦٨

الله – صلى الله عليه وسلم- صلى في سبحته[1] قاعدا، حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سبحته قاعدا، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطولَ مِنْ أطولَ منها).[2]

وهنا تبرز السيدة حفصة صورة الترتيل الطيب الذي كان الرسول – صلى الله عليه وسلم-، يؤديه أثناء تلاوته؛ فقد كان يرتل السورة ترتيلا متأنيا، يبرز من خلاله عظمة السور القرآنية، وجمال عرضها، وسلاسة ألفاظها، بحيث يشعر السامع أن السورة التي يرتلها هي أطول سورة قرآنية.

وفي هذا الوصف ما يدعو إلى تحري الأساليب المختلفة التي تدعو الآيات إليها أثناء التلاوة؛ فمن الضرورة بمكان أن يتدبر المسلم ما يقرأه، ويتلوه حق تلاوته، بحيث يمنح الآيات التي تتضمن السؤال؛ نبرة السؤال، والآيات التي تتضمن التعجب؛ نبرة التعجب، والآيات التي تتضمن ذكر الجنة ونعيمها؛ نبرة السرور والتمني، والآيات التي تتضمن ذكر النار والعذاب؛ نبرة الحزن والنفور. ولا يتلو القرآن تلاوة سريعة تشين به، وتذهب معانيه، وتنفي إمكانية تدبره، والتمتع بفهم ما يحويه من شرائع وقيم وأداب .

وتؤكد السيدة عائشة، ذلك، عندما ذكر لها أن ناسا يقرأون القرآن في الليلة مرة أو مرتين، فقالت: **(أولئك قرؤا ولم يقرؤا! كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، يقوم الليلة التمام، فيقرأ سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء، ثم لا يمر بآية فيها استبشار، إلا دعا الله – عز وجل-، ورغب، ولا يمر بآية فيها تخويف، إلا دعا الله – عز وجل-، واستعاذ).[3]**

ففي قولها: **(أولئك قرؤا ولم يقرؤا)**؛ ما يوضح أن ختم القرآن الكريم، ليس في الأهمية كتدبره، والخشوع أثناء تلاوته؛ فقد قارنت فعل أولئك الناس، بفعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فوجدت أنهم قرؤوا القرآن كاملا مرة أو مرتين في ليلة واحدة، ورأت أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، قرأ بعض السور فقط، وهي البقرة وآل عمران، والنساء، في ليلة واحدة، ولكن شتان ما بين قراءتهم وقراءته.

فقراءتهم تسمى قراءة من حيث كونها قراءة، لا من حيث كونها تلاوة وترتيلا وتدبرا، لذا قالت عنهم أنهم: **(قرؤا ولم يقرؤا)**، ثم شرعت في إيضاح حقيقة التلاوة السليمة الطيبة، التي تعود بالنفع على القارئ؛ فقالت: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يقوم الليلة التمام)**، وفي هذا

---

١) السبحة، بضم السين، صلاة النافلة، وقال الجوهري رحمه الله تعالى: السبحة: التطوع من الذكر والصلاة، تقول: قضيت سبحتي. قالوا وإنما قيل للمصلي مسبح لكونه معظما لله – عز وجل- بالصلاة، وعباداته إياه وخضوعه له فهو منزه بصورة حاله. تهذيب الأسماء واللغات، للنووى، ج٣، ص١٤٢

٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (١٦)، جواز النافلة قائما وقاعدا، رقم الحديث٧٣٣، ج٦ص١٢.

٣) سبق تخريجه. انظر ص١١٤

القيام ما يدعو إلى التعاون الزوجي في تعليم الترتيل الصحيح، وما يتضمنه ذلك من عظة بالغة في ضرورة عناية الزوج بتعليم أهله التلاوة، وإشراكه لهم في قيام الليل، وإحيائه الليل بالتلاوة العطرة.

ثم تبين، السور التي اكتفى الرسول – صلى الله عليه وسلم- بتلاوتها؛ فهي ثلاث سور فقط؛ ولكن الخير ليس في العدد؛ إنما في العائد من ذلك العدد، والعائد عليه – صلى الله عليه وسلم-، وعليها، خير كثير، يكمن في موقفه – صلى الله عليه وسلم-، أثناء التلاوة؛ حيث كان – عليه الصلاة والسلام-، لا يمر بآية فيها تخوّف إلا دعا الله – عز وجل-، أن يقيه ما تخوّف منه الآية، واستعاذ من أن يمسه شيء منه، وهنا – بكرم الله تعالى وفضله- تتحقق للإنسان أمنيته، فينجو من ذلك، ويفوز.

كما أنه – عليه الصلاة والسلام-، كان عندما يمر بآية فيها استبشار، يدعو الله – عز وجل-، ويسأله أن يحظى بنصيب من تلك البشارة، ويرغب فيما عنده من خير كثير. وبذلك يتحقق للإنسان – بفضل من الله تعالى ومنة- ما تمنى، ويفوز فوزا كبيرا.

وهذه الحقيقة توضح أن قارئ القرآن، الذي يتعجل في تلاوته، ويهمل التفاعل مع آيات الله – تعالى-، يفوّت على نفسه الكثير من الخير، ويبتعد عن النهج الفاعل في النفس، والداعي إلى الخشوع، والفهم، والتدبر.

والتدبر يقتضي " أن لا يقف القارئ عند ظاهر الكلمات، بل لابد أن يبحث عما وراء هذه الألفاظ من معان، ومقاصد، وغايات؛ فإن معاني القرآن الكريم لا تنقضي، لذلك استنبط العلماء المتدبرون هذه الثروة العلمية العظيمة من آي القرآن الكريم، وما هذه العلوم التي نفاخر بها الدنيا، إلا قطرة من هذا البحر الزاخر"[1] ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[2]

ولما في التدبر من ضرورة بالغة؛ أوصى عبد الله بن مسعود – رضي الله تعالى عنه- كل قارئ فقال: **(لا تنثروه نثر الدقل،[3] ولا تهذّوه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة).**[4]

---

١) فضل عباس: إتقان البرهان في علوم القرآن، ج١ ص٣٢

٢) سورة الكهف، الآية ١٠٩

٣) الدقل هو التمر الرديء، ولرداءته كانوا يهزون النخلة هزا، فيتساقط عنها، وينتثر. إتقان البرهان، فضل عباس، ج ١ ص٣٤

٤) فضل عباس: إتقان البرهان، ج١ ص٣٣، ذكر الكاتب – جزاه الله خيرا- قولا طيبا ونافعا في إيضاح قول ابن مسعود – رضي الله تعالى عنه- ص٣٤

وموقف السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، في تفاعلها مع آيات القرآن الكريم، يوضح ذلك؛ فقد ورد عنها، أنها كانت عندما تقرأ قوله – تعالى–: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾[1] تدعو، وتبكي، وترددها.[2]

وهذا التفاعل يبرز الخشوع والتدبر الذي كانت عليه. وهي في هذا الحال مثال وقدوة لمن يتعطش إلى معرفة السبيل المعين على الخشوع أثناء التلاوة؛ فالتفاعل عامل من العوامل المؤدية إلى ذلك؛ حيث يعيش المسلم في رحاب القرآن، ويتدبر معانيه، فيتبادل المناجاة معه، ويسعد بالغذاء الذي يستلهمه منه، فتسمو به روحه، ويخشع به قلبه.

لذا حثت أم المؤمنين، السيدة صفية بنت حيي – رضوان الله تعالى عنها–، قوما اجتمعوا عندها، فذكروا الله – عز وجل–، وتلوا القرآن، وسجدوا،[3] فنادتهم صفية: **(هذا السجود، وتلاوة القرآن، فأين البكاء؟)**.[4]

وبهذا السؤال، تثير حقيقة غائبة عن الأذهان، فالقرآن الكريم، كتاب الله – تعالى–، وليس من الكتب التي كتبت بيد البشر؛ وبالتالي فهو كتاب عظيم، تستدعي عظمته وأهميته؛ الخشوع والبكاء، فإن كان القلب قاسيا، لايشعر بتلك الضرورة فإن عليه التباكي، كما أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في قوله: **(إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه، فابكوا، فإن لم تبكوا، فتباكوا، وتغنوا به، فمن لم يتغنّ به، فليس منا)**.[5]

فلا شك إذن؛ أن الخشوع الذي حثت عليه أمهات المؤمنين، أمر من الأمور التي تؤثر في الإنسان؛ فتقوي إيمانه، وتمده بالعزيمة التي تعينه على الطاعة، والثبات في دينه ودنياه.

رابعا: الحض على محبة الرسول – صلى الله عليه وسلم–، والصلاة عليه:

لقد اصطفى الخالق – عز وجل– رسوله الكريم؛ محمدا بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم–، وأمره بدعوة الناس إلى الحق، وجعله هدى ونورا للعالمين؛ فوصفه بقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[6]. وأمر بالإيمان به واتباعه،

---

١) سورة الطور، الآية: ٢٧

٢) صفة الصفوة، ج٢، ص٣١

٣) أحمد خليل جمعة: نساء أهل البيت، ص٣٦٠، بتصرف.

٤) الأصفهاني: حلية الأولياء، ج٢، ص٥٥

٥) سنن ابن ماجه، إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب ١٧٦، حسن الصوت في القرآن، ــ رقم الحديث:١٣٣٧، . ج١ ص٤٢٤، وقال الألباني: حديث ضعيف، انظر ضعيف ابن ماجة، ص٩٩

٦) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٤٦

والاستجابة له؛ فقال: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ . . . ﴾.[1] وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾.[2] وأمر بإجلاله، وتوقيره، وإعلاء شأنه؛ فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ، وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾.[3] كما أمر بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[4].

وفي ذلك من الرفعة والعزة ما يدعو إلى تدبر الواجب الملقى على العاتق تجاه هذه الشخصية العظيمة، وتجاه تلك المنزلة، التي أوضح الخالق – سبحانه– شيئا من حقيقة عظمتها؛ بقوله: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾؛[5] ليعلّمنا ما يترتب على تلك الرفعة من واجبات ومهام يجب أن نقوم بها، تجاه هذا الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم–؛ لذا بيّن – سبحانه وتعالى–، ذلك المنهج، وحض عليه.

ومن ذلك المنهاج، ضرورة محبته – صلى الله عليه وسلم–، محبة تفوق النفس والولد والمال؛ وفي ذلك يقول – عليه الصلاة والسلام–: **(فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده، والناس أجمعين)**.[6] ويقول لسيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه–، عندما قال له: **(يارسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي)**، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم–: **(لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم–: الآن يا عمر)**.[7]

مما يشير إلى أن " المحبة التي تنفع صاحبها، فتدفعه إلى محبة النبي – صلى الله عليه وسلم– أكثر من نفسه، ووالده وولده، وأهله وماله، والناس أجمعين، والتي تثمر في نفس صاحبها،

---

١) سورة الأعراف، جزء من الآية: ١٥٨

٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤

٣) سورة **الحجرات** الآية: ٢

٤) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦

٥) سورة الشرح، الآية: ٤

٦) فتح الباري، كتاب الإيمان، باب (٨) حب الرسول – صلى الله عليه وسلم– من الإيمان، رقم الحديث ١٥، ج١ ص٨٤

٧) فتح الباري، كتاب الأيمان والنذور، باب (٣)، كيف كان يمين النبي صلى الله عليه وسلم رقم الحديث: ٦٦٣٢، ج١٣ ص٣٦٩

وتظهر آثارها في نفس المحب، وقلبه وقالبه، ومظهره وعبادته، واتباعه وطاعته، والتزامه؛ هي المحبة الشرعية، وليست هي المحبة العاطفية التي لا أثر لها على مدعيها، فهي ليست كمحبة الوالد لولده، أو الزوج لزوجه، والعاشق لمعشوقه، فليست هذه هي المحبة، إنما هي أسمى من ذلك بكثير، إنها رباط الإيمان بين المسلم، ورسوله – صلى الله عليه وسلم–، إنها نتيجة الاتباع لله – تعالى– ولرسوله، إنها السبب الموصل إلى رضاء الله – تعالى– ورسوله – صلى الله عليه وسلم–، فتدفع صاحبها إلى الطاعة، والامتثال التام غير المنقوص، إنها عربون الوفاء، وثمن لأداء بعض حقه – صلى الله عليه وسلم–".[1]

وقد أدركت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالىعنهن–، تلك الضرورة، فعملن على حض المسلمين على السبيل المؤدي إليها، وروين مشاهد عملية، برزت فيها صورة تلك المحبة.

ومن ذلك حض السيدة عائشة، على الصلاة على الرسول – صلى الله عليه وسلم–، لعلمها بما في الصلاة عليه من أثر فاعل في غرس محبته – عليه الصلاة والسلام–؛ لذا تقول: **(زينوا مجالسكم بالصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم–، وبذكر عمر بن الخطاب).**[2]

وفي هذا الحض يتجلى الأسلوب الطيب في بيان أهمية الصلاة عليه – صلى الله عليه وسلم–؛ حيث تقول: (زينوا)، فالزينة شيء طيب، تحبه القلوب، وتقبل عليه دائما، وتطلبه في كل شيء، وتميل إليه حيثما وجدته، وبالتالي فإن المجالس المعطرة بالصلاة على الرسول – صلى الله عليه وسلم–؛ هي مرتع الملائكة والصالحين، وهي مقر القلوب التي تبحث عن السمو. والكتابات المزينة بالصلاة على الرسول – صلى الله عليه وسلم–؛ هي كتابات مباركة، طيبة، تحمل في ثناياها الأجر الجزيل للكاتب كلما قرأ الآخرون كتابه، ودعتيم الصلاة في الكتاب إلى الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم–.

لذا لا يمكن التردد في القول أن الذين اكتفوا في كتاباتهم بحرف (ص)،[3] لتكون بديلة عن كتابة الصلاة والسلام على الرسول – صلى الله عليه وسلم– كاملة، قد خسروا خيرا كثيرا، وأهملوا جانبا هاما من الجوانب الفاعلة في النفس، والمؤثرة فيها؛ جانبا يضطر القارئ إلى أن يصلي على النبي – صلى الله عليه وسلم–، كلما مرّ بكلمات الصلاة والسلام عليه، ويتكفل بغرس محبة الرسول – صلى الله عليه وسلم–، في النفس، ويتكفل كذلك بحمل الإنسان والسير به في سبيل الاتباع والاقتداء به – عليه الصلاة والسلام–، ومن ثم يحمله إلى منزلة محبة الله – تعالى– القائل لرسوله

---

١) خليل ابراهيم العزامي: محبة النبي – صلى الله عليه وسلم– وطاعته، ص٢٢٣

٢) منتخب الكنز، بحاشية مسند الإمام أحمد، ج٤، ص٣٩٤

٣) على الرغم من كون حرف (ص)، لايحل محل الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم–، إلا أنه جائز بشرط أن يتلفظ القارئ والكاتب بالصلاة والسلام على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم–.

– صلى الله عليه وسلم–: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.[1]

أما كلمة (صلعم)، فتشير إلى إساءة قد غفل عنها بعض المسلمين؛ فقد تعمدت بعض أقلام المستشرقين الحاقدين؛ العمل على اختصار الصلاة على الرسول – صلى الله عليه وسلم– بهذه الكلمة، وهي كلمة يراد بها الإساءة للرسول – صلى الله عليه وسلم–، وقد قلدهم بعض الكتاب في ديارنا، فليتنبه هؤلاء إلى هذا الخطأ الكبير.

وإلى جانب ذلك تروي السيدة عائشة، مشهدا من مشاهد المحبة البالغة التي تمتع بها الصحابة – رضوان الله تعالى عنهم–، فتقول: **(جاء رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم–، فقال يا رسول الله، إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك أحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك، عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلتُ الجنة، حسبت أن لا أراك، فلم يرد إليه رسول الله– صلى الله عليه وسلم– شيئا، حتى أنزل الله – تعالى– قوله: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾.[2]،[3]**

وهذا الموقف يتجلى فيه مظهر المحبة العظيمة التي تعجز الإنسان عن البعد عن محبوبة لفترة طويلة، فكلما فارقه اشتاق إليه ثانية، وكلما عاود المجيء نظر إليه ليروي ظمأه من ذلك الحب؛ وذلك جزء من محبة الرسول – صلى الله عليه وسلم–، في قلوب أصحابه. ترويه السيدة عائشة، لتوضح لكل مسلم السبيل الذي يغذي تلك المحبة، فأولئك الذين عاصروا الرسول – صلى الله عليه وسلم–، رووا محبتهم بلقائه، ومتّعوا أعينهم بمشاهدته – عليه الصلاة والسلام–، أما الذين لم يعاصروه فكيف السبيل بهم لكي يرووا محبتهم له؟

إن السبيل إلى ذلك ليس النظر وحسب؛ فهناك طرق أخرى تغذي هذه الحاجة وترويها، ويمكن استلهامها من الموقف نفسه، فهذا الصحابي الجليل يعود إلى أهله، فيشعر بشوقه لرسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فيعود ليراه ثانية. ولكن غيره من المسلمين الذين لم يحظوا برؤية الرسول – صلى الله عليه وسلم–، قد حظوا بسيرته ومآثره – عليه الصلاة والسلام–، وإن في قراءتها والاطلاع عليها، ومعايشة أحداثها، ما يشبع تلك الحاجة، ويروي ظمأها؛ حيث يشعر القارئ – كلما زاد من قراءاته لها– وكأنه يعيش في تلك الفترة التي عاشها رسول الله – صلى الله

---

١) سورة آل عمران، جزء من الآية: ٣١

٢) سورة النساء، جزء من الآية: ٦٩

٣) الأصفهاني: حلية الأولياء، ج٨، ص١٢٥، وذكره الهيثمي في المجمع، وقال رجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد، ج٧ ص٧

عليه وسلم-، ويشعر وكأنه معه ومع صحابته، يشاركهم حياتهم، والمشاق التي واجهوها، والأفراح التي سعدوا بها، والانتصارات التي أكرموا بها. وكل ذلك يزيد من شوقه وحبه للرسول – صلى الله عليه وسلم-، ولصحبه الكرام.

ولكن هناك ما يثير القلق والخوف من فراق المحبوب فراقا أبديا لا لقاء بعده، ويبدو ذلك في خوف الصحابي من فراق رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، في الجنة حيث المنازل المختلفة؛ فهو يخشى – وإن دخل الجنة-، أن لا يحظى برؤية محبوبه الذي سيكرمه ربه بمنزلة رفيعة عالية. ولكن ذلك الفهم فهم قاصر؛ فالله – سبحانه وتعالى- أكرم من ذلك؛ فالمؤمن الحق المحب للرسول – صلى الله عليه وسلم- يستحق الإكرام والرفعة، ويستحق الثواب الذي يرتقي به إلى رؤية رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، في الجنة؛ وذلك هو الفوز الكبير. لذا يطمئن الخالق – سبحانه وتعالى- بقوله: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾.

ومن هنا يتضح أن المحبة أمر تعبر عنه الطاعة لله – تعالى- والطاعة لرسوله – صلى الله عليه وسلم-؛ وطاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم- تكمن في محبته، ومحبته تقتضي ألا يتلقى المؤمن شيئا من المأمورات والمنهيات، إلا من مشكاته، ولا يسلك إلا طريقته، ويرضى بما شرعه، حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضاه، ويتخلق بأخلاقه في الجود والكرم، والإيثار، والحلم، والتواضع، وغيرها. . . [1]

وذلك يوضح أن المحبة والطاعة أمران بينهما تبادل وترابط وطيد، بحيث يكمل أحدهما الآخر، مما يشير إلى أن محبته – عليه الصلاة والسلام- من التكاليف الشرعية التي لا غنى للمؤمن عنها.

خامسا: إيضاح مسائل متعلقة بالطهارة:

الطهارة من الأمور التي يجب أن يحرص المسلم عليها دائما؛ فالإسلام دين الطهارة، والله – سبحانه وتعالى- ﴿ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾.[2] وقد اشتملت كتب الفقه على تفصيل واسع جدا فيما يتعلق بالمسائل المختلفة المتعلقة بالطهارة.

---

١) خليل ابراهيم العزامي: محبة النبي – صلى الله عليه وسلم- وطاعته، ص١٥٦ ، بتصرف يسير.

٢) سورة البقرة، جزء من الآية: ٢٢٢

وما يخصنا هنا، هو دور أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، في إيضاح بعض ما يتعلق بالطهارة. فقد كن يستفهمن من الرسول – صلى الله عليه وسلم– عن ذلك، ليتعلمنه، ويروينه ليعلمن غيرهن.

كما كن ينقلن حاجة غيرهن من النساء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، ليفصل لهن ما صعب عليهن الفصل فيه، وكن يرشدن غيرهن إلى ما يلتبس عليهم أمره في هذه المسائل.

ومن ذلك ما ورد عن السيدة ميمونة، قالت: **(أجنبت أنا ورسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فاغتسلت من جفنة ففضلت فضلة، فجاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، ليغتسل منها، فقلت: إني قد اغتسلت منها، فقال: إن الماء ليس عليه جنابة، أو لا ينجسه شيء، فاغتسل منه)**.[1]

وفي هذه الحادثة درس تربوي طيب؛ حيث جعلت السيدة ميمونة من نفسها قدوة في التطهر والاغتسال عن الجنابة، وذلك أمر يوجبه الإسلام على كل مسلم أصابته جنابة، ويدعو إليه.

كما أوضحت – رضي الله تعالى عنها–، الإناء الذي اغتسلت منه، مما يشعر بضرورة الاغتسال بما يكفي من الماء، وعدم الإسراف فيه. وهي في نفس الوقت قد تعلمت، وعلّمت غيرها حقيقة هامة؛ وهي أن الماء الطاهر لا ينجس بالاغتسال منه، وإن كان المغتسل قد اغتسل من جنابة.

ونلمس في إيضاح الرسول – صلى الله عليه وسلم–، الأسلوب الأمثل في التربية والتعليم؛ حيث يقول – عليه الصلاة والسلام–: **(إن الماء ليس عليه جنابة)**، ليوضح لها، بتلك الكلمات الموجزة؛ ما غاب عن ذهنها؛ فقد ظنت أن الماء ينجس باغتسال الجنب منه، ولكنه– عليه الصلاة والسلام–، يتجاوز هذا الفهم، ويتجاوز نفيه، ليبين لها ما هو أهم من ذلك؛ وهو أن الماء مادة مسخرة لخدمة الإنسان، وأصلها الطهارة، والتغير الطارئ على الإنسان، لا علاقة للماء به؛ إذن يبقى الماء على حاله.

أما ما يتعلق بطهارة الإنسان؛ ففيما روته السيدة ميمونة – رضي الله تعالى عنها–، قالت: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، يصلي، وأنا حذاءه، وأنا حائض، وربما أصابني ثوبه إذا سجد)**[2]

---

١) مسند أحمد، ج٦، ص٣٣٠، وإسناده حسن، انظر المسند للإمام أحمد بشرح حمزة الزين، ج١٨، ص٣٣١.

٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب (٥١)، الاعتراض بين يدي المصلي، رقم الحديث: ٥١٣، ج٤ ص١٩٣

لتعلم المسلمين، نقطة هامة، قد يشعر بعضهم إزاءها بالتقزز والنفور، ولكن ذلك لا يقره الإسلام، ولا يؤيده؛ بدليل فعل الرسول – صلى الله عليه وسلم-؛ فالمرأة طاهرة الجسد، وإن اعتراها الحيض. فالنجاسة في الحيض نفسه، وليس فيها هي.

لذا كان – عليه الصلاة والسلام-، يقع ثوبه على السيدة ميمونة، أثناء صلاته، وهي حائض، فلا يؤثر ذلك في شيء، ولا يتصرف – عليه الصلاة والسلام-، تصرفا يشير إلى الحذر منها، أوتجنّبها، لكونها حائضا.

وإلى جانب ذلك، فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- كان يتحرى المكان الطاهر. وفي هذا الفعل يتجلى الحذر في تلمس الطهارة، ولو كان في مس الثوب لجسد المرأة الحائض بأس، لتحذر منه الرسول – صلى الله عليه وسلم-، كما اعتنى بمكان صلاته وسجوده – عليه الصلاة والسلام-.

وأخيرا؛ قد يلتبس الأمر على النساء بين الحيض والاستحاضة، ويحتجن إلى معرفة الفاصل في ذلك، مما يدفعهن إلى اللجوء إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم-، للإستيضاح منه؛ وفي ذلك تقول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-: **(جاءت فاطمة بنت أبي حبيش[1] إلى النبي – صلى الله عليه وسلم-، فقالت: يارسول الله: إني امرأة استحاض، فلا أطهر، أفأدع الصلاة، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: لا إنما ذلك عرق، وليس بحيض، فإذا أقبلت حيضتك، فدعي الصلاة، وإذا أدبرت، فاغسلي عنك الدم، ثم صلي).**[2]

وفي هذا الحديث الشريف، تنقل السيدة عائشة، صورة من صور طلب العلم، الذي حرصت عليه نساء المسلمين، ليكن على علم بما يخصهن من أمور الدين، فلا يقعن في المحظور.

فهذه الصحابية تستوضح من الرسول – صلى الله عليه وسلم-، أمرا يتعلق بالحال الذي تعانيه، وهو استمرار الطمث عندها؛ فهل هذا الطمث كله حيض؟؟

لا يمكن أن يكون هذا الطمث كله حيضا، فالحيض دورة شهرية، تنتج عن تغيرات تحدث في جسد المرأة. فينتج عنها تكون دم فاسد، لابد أن يتخلص الجسد منه. ولا تتم تلك التغيرات إلا مرة واحدة في كل شهر. تحيض المرأة بعدها لأيام معدودة فقط. أما ما سواها من الأيام، فقد ينزل الدم فيه، ولكنه ليس الدم الفاسد الذي يدعو إلى تنزيه الصلاة عنه. وبالتالي؛ يجب على المرأة أن تصلي، ولا تدع صلاتها، وإن كانت تعاني من ذلك.

---

١) فاطمة بنت أبي حبيش؛ واسمه قيس بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية، تزوجت بعبد الله بن جحش، فولدت له محمد بن عبد الله، روى لها أبو داوود، والنسائي. انظر تهذيب الكمال، للمزي، ج٣٥ ص٢٥٤

٢) فتح الباري، كتاب الوضوء ، باب (٦٣)، غسل الدم، رقم الحديث ٢٢٨، ج١ ص٤٤٢

والرسول – صلى الله عليه وسلم–، يبين للسائلة، ضرورة تحري أيام الحيض ومعرفتها، ومعرفة أوصاف ذلك الدم، لتميز بينه وبين الدم الفاسد؛ لذا يقول – عليه الصلاة والسلام–: (**فإذا أقبلت حيضتك فدعي الصلاة**)، وذلك يفيد أن إقبال الحيضة له علامات، وأيام محددة ومعروفة. ثم يقول: (**وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم، ثم صلي**)، إذن فإدبار الحيض لا يعني انتهاء نزول الدم؛ فقد يستمر، ولكنه دم طاهر؛ لذا يجب غسله، وتجاهل وجوده، والصلاة به، بشرط الوضوء لكل صلاة بعد دخول وقتها.

وهذا الاستفسار إنما هو لتحقيق جانب تعبدي تربوي، وهو الصلاة؛ فالاستحاضة ليست من محظورات الصلاة، لأنها طهارة، بينما الحيض عذر مانع من أداء الصلاة، والصلاة هي قمة التربية السلوكية كما لا يخفى.

سادسا: الحض على الجهاد:

شاركت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، المؤمنين في الجهاد، وعملن على حث الآخرين عليه، وطمعن في القيام بدور فاعل في العمل الجهادي، يعادل في فاعليته العمل الجهادي الذي يقوم به الرجال.

ومما روي في الحث على الجهاد؛ ما روي عن السيدة عائشة، أن مكاتبا لها دخل عليها ببقية كتابته[1]، فقالت له: أنت غير داخل عليّ غير مرتك هذه، فعليك بالجهاد في سبيل الله، فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، يقول: (**ما خالط قلب امرئ رهج[2] في سبيل الله إلا حرّم الله عليه النار**).[3]

وفي هذا الموقف الكريم، يتضح النصح للمسلمين، فقد حرصت – رضوان الله تعالى عنها– ، على أن يكون آخر عهدها بخادمها النصح والإرشاد؛ حيث تقول – رضوان الله تعالى عنها–: (**أنت غير داخل عليّ غير مرتك هذه**)، فدخوله عليها قبل ذلك؛ لكونه مملوكا لها، أما الآن، وبعد مكاتبته، أصبح حرا، فرغبت في إهدائه ما هو خير من ذلك؛ وهو الوعظ والإرشاد لما فيه الخلود والبقاء؛ ألا وهو الجهاد، لذا حثته بقولها: (**فعليك بالجهاد**)، ثم ذكّرته بقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، لترتقي بالمعنويات التي يحتاجها المجاهد، فحينما يعلم المجاهد أنه عندما يصير إلى ربه سيبعده عن النار أشد البعد، – وذلك يتضح في قوله – عليه الصلاة والسلام–: (**حرّم الله عليه**

---

١) المكاتَبُ: هو العبد يُكاتَب على نفسه بثمنه، فإذا سعى وأداه، عُتِق. انظر لسان العرب، ج١ ، ص٧٠٠

٢) الرهج: هو الغبار، وفي الحديث : (من دخل جوفه الرهج، لم يدخله حر النار). انظر لسان العرب، ص ٢٨٤

٣) مسند أحمد، ج٦، ص٨٥، وإسناده صحيح، انظر المسند للإمام أحمد بشرح حمزة الزين، ج١٧ ص٣٦٥.

النار)، ولفظ التحريم يفيد ذلك-، فإنه يشعر بهوان النفس، وحب القرب من الله - تعالى-، فيبذل في سبيل ذلك كل طاقاته، وإمكاناته.

وقد حرصت أمهات المؤمنين - رضوان الله تعالى عنهن- على أن يكون لهن نصيب من مهمة الجهاد، لما علمن ما فيه من خير كثير؛ وفي ذلك تقول السيدة عائشة: **(يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور)**.[1]

لتدعو كل سامع إلى تحري فضائل الجهاد، والإقبال عليه، وعدم المبالاة بالروح التي تسكن الجسد الدنيوي الفاني، فأفضل العمل،- وهو الجهاد-، يخرج الروح إلى السعة والنعيم.

لذا طمعت - رضوان الله تعالى عنها-، أن يكون لها نصيب منه، فقالت: **(أفلا نجاهد؟)**. وإن كانت هذه المرأة الضعيفة الجسد، لا تبالي بما ستلقاه في ميدان الجهاد من مشقة وعناء، فما بال الرجال الذين خلقهم المولى - جل وعلا- مؤهلين لذلك؟!!!

وبالتالي؛ فإن هذا الحرص الشديد، يتضمن حث الرجال، وإشعارهم بالأولوية في الحرص عليه.

وقد تضمنت الكثير من الكتب، والرسائل، البحث والتفصيل في هذا الموضوع، وأغنت في ذلك غناء كبيرا.

سابعا: الحض على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر:

عملت أمهات المؤمنين - رضوان الله تعالى عنهن-، على تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعون إليه، وبلّغن المسلمين حث الرسول - صلى الله عليه وسلم-، عليه.

ومن ذلك ما روته امرأة من الأنصار، قالت: **(دخلت على أم سلمة فدخل علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، وكأنه غضبان، فاستترت بكمّ درعي، فتكلم بكلام لم أفهمه، فقلت: يا أم المؤمنين، كأني رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، غضبان؟ قالت: نعم، أو ما سمعتيه؟ قالت: قلت: وما قال؟ قالت: قال: إن السوء إذا فشا في الأرض فلم يُتَناهَ عنه، أنزل الله - عز وجل- بأسه على أهل الأرض. قالت: قلت: يا رسول الله، وفيهم الصالحون؟ قال: نعم، وفيهم الصالحون، يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يقبضهم الله - عز وجل- إلى مغفرته، ورحمته)**.[2]

---

١) فتح الباري، كتاب الحج، باب٤ فضل الحج المبرور، رقم الحديث ١٥٢٠، ج٤ ص ١٥٦، وكتاب الجهاد والسير، باب١ فضل الجهاد والسير، رقم الحديث ٢٧٨٤ ، ج٦ ص٧٨

٢) مسند أحمد، ج٦، ص٤١٨، وإسناده حسن. انظر المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين، ج١٨ ص٥١٩

وفي هذا الحث ما يوضح حرص السيدة أم سلمة على التعرف الدقيق إلى ما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالتفصيل، لتنقل عنه صورة جلية واضحة، تنفع به المسلمين، ليكونوا على بينة من أمرهم.

فقد بدأت ذلك الإيضاح بتوجيهه إلى المرأة التي دخلت عليها، فأثارت حب المعرفة لديها بقولها: **(أو ما سمعتيه؟)**؛ لتشوقها، وتشوق كل سامع إلى معرفة ما قاله الرسول – عليه الصلاة والسلام–، فيكون لذلك أثر كبير في النفس، وبالفعل، جذبت رغبتها في المعرفة، ودفعتها إلى السؤال، فقالت: **(وما قال؟)**، فشرعت – رضوان الله تعالى عنها–، في بيان خطورة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تلك الخطورة المتمثلة في قوله – عليه الصلاة والسلام–: **(أنزل الله – عز وجل– بأسه على أهل الأرض)**، وهذه العاقبة الشديدة لا تنزل على أهل الأرض ما داموا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. أما إذا فشا السوء فيهم، فتهاونوا، وتكاسلوا عن توعية غيرهم، وإرشادهم إلى السبيل الأقوم، وتركوهم على باطلهم، ولم ينهوهم عنه. أصبحوا في وضع يستحقون العقاب عليه.

وعقاب الله – سبحانه وتعالى–، شديد، وهذا ما يفسر غضب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– على قوم علموا ذلك، ولم يبالوا، فكان حقا له أن يغضب.

وذلك العقاب لا يقتصر على الذين يفعلون السوء، ويأتون المنكر، ولكنه يعم الجميع، ومنهم الصالحون، لأنهم اقتصروا في تطبيق الحق، والانتهاء عن الباطل، على أنفسهم، ولم يعتنوا بإرشاد غيرهم، ليسيروا على المنهج الذي ساروا هم عليه.

وقد غابت هذه الحقيقة عن ذهن السيدة أم سلمة – رضي الله تعالى عنها–، لذا تساءلت متعجبة: **(وفيهم الصالحون؟!!)**، فأجابها – عليه الصلاة والسلام–، بقوله: **(نعم، وفيهم الصالحون)**، ليوضح لها أن أولئك الصالحون يستحقون العقاب أيضا، لتقصيرهم في حق غيرهم، ولكن بعد حلول العقاب، يأتي العفو والغفران للصالحين، ويستمر العقاب للمعاندين، وذلك ما يقتضيه عدل الخالق – جل وعلا–.

وقد كان من الجدير بالصالحين أن يقدموا النصحية لغيرهم ويشفقوا عليهم، ويسعون فيما يعود نفعه عليهم، ويقوموا بتعليمهم ما ينفعهم، ويكفّوا وجوه الأذى عنهم، وأن يحبوا لهم ما يحبونه لأنفسهم.

ثامنا: العناية بستر المرأة:

اعتنت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، بستر المرأة عناية تامة، وحرصن على توعية غيرهن بضرورته؛ تارة بالإرشاد إلى صفة الستر السليم، وتارة بالثناء على المتستّرات. وقد شملت توعيتهن إيضاح الستر اللازم للمرأة أثناء صلاتها.

ومن تلك العناية ما ورد عن السيدة عائشة، تجاه السيدة حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، – رضي الله تعالى عنهم جميعا–.

فقد روي **أن السيدة حفصة دخلت على السيدة عائشة، وعليها خمار رقيق، فشقته عائشة عليها، وكستها خمارا كثيفا.**[1]

وهنا تتجلى العناية التامة، والحرص الشديد الذي كانت أمهات المؤمنين عليه، تجاه ما فرض الخالق – عز وجل–؛ **فالحديث يبرز ثلاث حقائق مهمة؛ أولها:** أن الخمار الرقيق ليس من تشريع الستر في شيء، فعندما أمر الخالق – سبحانه– إماءه بالستر أمرهن بما يحقق الستر الصحيح؛ أي بالستر الذي يتصف بصفات معينة، أهمها أن يكون سمكيا بحيث لا يشفّ عن رأس المرأة أو عنقها، أو الجزء الذي غطته بالخمار. وهذه الضرورة كانت غائبة عن ذهن السيدة حفصة بنت عبد الرحمن – رضي الله عنها–، مما دفع السيدة عائشة إلى اتخاذ الموقف المناسب تجاهها.

ومما يؤسف له أن بعض النساء لا يعبأن بهذا الفاصل، حيث أصبحت المرأة تظن أن ما على رأسها هو الستر المطلوب، وإن كان رقيقا وشفافا. لذا أصبح من الضرورة بمكان الوعظ والتذكير، ولفت النظر إلى ذلك، فهو مما لا يلتفت إليه أحيانا.

وقد اتخذت السيدة عائشة موقفا تربويا آخرا، مكملا للموقف الأول؛ وهو أنها قامت بشق ذلك الخمار؛ وهذا الفعل فيه توعية ذات أثر كبير، يفوق التوعية التي تقتصر على الإيضاح باللسان، حيث يتضح الرفض القاطع للخطأ، مما يدفع إلى أن يدرك المخطئ تلك الضرورة، ويسلم بها، ويشعر بأهميتها، وذلك يوقظ الضمير، فيجعله على وعي فيما يتعلق بالدقائق من الأمور.

أما الموقف التربوي الثالث؛ فهو الموقف الأخير في العملية التربوية التي قامت بها السيدة عائشة – رضي الله عنها–؛ وهو أنها كست السيدة حفصة خمارا كثيفا، ينطبق فيه شرط الستر الصحيح، وفي هذا العمل ما يشير إلى أن التربية السليمة تستلزم استكمال جوانبها التي تضفي عليها صفة التأثير المرغوب فيه، وإلا لاتسمت بالفشل.

وقد أثنت السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها– على نساء الأنصار، لسرعة التزامهن، وتعجلهن في طاعة الله ورسوله، في التحلي بالستر؛ وفي ذلك تقول: **(إن لنساء قريش لفضلا،**

---

١) ابن سعد: الطبقات، ج٨ ص ٧١

وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقا لكتاب الله، ولا إيمانا بالتنزيل، ولما أنزلت سورة النور: (وليضربن بخمرهن على جيوبهن)، انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله فيها، ويتلوا الرجل على امرأته، وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابة، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل[1]، فاعتجرت به[2] تصديقا وإيمانا، بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان).[3]

بدأت السيدة عائشة بعد الثناء على نساء قريش، بالثناء على نساء الأنصار، ثناء تبرز فيه الأفضلية التامة التي لا تعدلها أفضلية، في تصديق كتاب الله، والإيمان بما أنزل، لتجعل منهن قدوة طيبة لغيرهن، ولتبرز ضرورة الامتثال لكتاب الله – تعالى–، وضرورة الاعتناء بالستر.

فقد تجلى ذلك كله فيما ذكرته عن موقف نساء الأنصار، في قولها: **(فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل، فاعتجرت به تصديقا وإيمانا، بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان).**

وبهذه الصيغة: **(فما منهن)** تحصر السيدة عائشة جميع نساء الأنصار، لتأكيد أحقيتهن بالثناء. ثم تبين السبب في ذلك بقولها: **(إلا قامت إلى مرطها المرحل، فاعتجرت به)**، وهذا السبب يشير إلى سرعة الاستجابة، وعدم التردد؛ وهذا هو ما يجب على المرأة إذا عرفت الحق، أن لا تتردد، بل تأخذ به مباشرة، لتستحق أن تكون أهلا للثناء الكريم الذي حظيت به نساء الأنصار.

ثم تبرز السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها– الصورة التطبيقية للاستجابة بقولها: **(فأصبحن وراء رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان).**

ولا بأس في هذا التشبيه إذا كان فيه طاعة لله ورسوله، وإذا كان سبب لمثوبة الله – تعالى– وفضله؛ فالمهم أن تسير المرأة على ما سارت عليه نساء الأنصار، من سرعة الاستجابة والتطبيق، ففي ذلك الخير الكثير.

وبالإضافة إلى ما سبق؛ عملت السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، على إرشاد غيرها إلى الستر الصحيح اللازم للصلاة؛ وفي ذلك تقول: **(لابد للمرأة من ثلاثة أثواب تصلي فيهن: درع، وجلباب، وخمار).[4]**

---

١) مرطها المرحل: المرط كساء من خزّ أو صوف أو كتان. والمرحل: أي عليه تصاوير الرحال. لسان العرب، ج ٧ ص٤٠١، ج١١ ص٢٧٨

٢) فاعتجرت به: الاعتجار يعني لفّ العمامة على الرأس مع تغطية الأنف فما دونه بها. معجم لغة الفقهاء، محمد قلعه جي ص٧٥

٣) تفسير ابن كثير، ج٣، ص٢٨٤

٤) ابن سعد: الطبقات، ج٨ ص٧١

وهذه الحماية المكثفة تسترعي الاهتمام، وتدعو إلى تحليل الموقف الذي تقفه المرأة بين يدي ربها؛ حيث ينبغي أن يكسوها الحياء حلة تجعلها تقف موقف الخشوع والخضوع؛ مما يدفعها إلى استشعار ضعفها وحاجتها للخالق – جل وعلا-. إذن فستر الصلاة عامل هام في جلب الشعور بالحياء من الخالق – سبحانه-، وما يؤدي إليه من تأثير في السلوك العام لدى المرأة في تعاملها مع خالقها، ومع مخلوقاته.

تاسعا: الحض على الصدقة:

حرصت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، على الصدقة حرصا شديدا، أبرز ضهارة نفوسهن، وجودهن، وكرم أخلاقهن. ولم يكن ذلك الحرص يقتصر على أنفسهن، حيث كنّ يرشدن غيرهنّ إلى ضرورة الصدقة، ويدعونهم إليها.

ومن الأمثلة على تحليهن بهذا الخلق العظيم؛ موقف السيدة زينب بنت جحش – رضوان الله تعالى عنها-، عندما جاءها عطاء من عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه-، **(فقالت: غفر الله لعمر، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني، قالوا هذا كله لك، قالت: سبحان الله، واستترت منه بثوب، وقالت: ضعوه واطرحوا عليه ثوبا، ثم قالت لي: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان، وبني فلان، من أهل رحمها، وأيتامها، حتى بقيت منه بقية تحت الثوب، فقالت لها برة: غفر الله لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذا حق، قالت: فلكم ما تحت الثوب، قالت: فوجدنا ما تحته خمسة وثمانين درهما، فرفعت يديها إلى السماء، فقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا، فماتت).**[1]

وفي هذا الموقف تتضح دروس تربوية طيبة؛ أولها الموقف الكريم الذي اتخذته السيدة زينب تجاه المال الذي وصلها من عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه-، فقد أبدت استياءها من ذلك المال، ولكنها قالت قولا يشير إلى أدب النبوة في التربية والتعليم: **(غفر الله لعمر)**، هذه هي الجملة التي يجدر بكل إنسان عاقل أن يقولها، لكل من يتعامل معه، سواء أرضي عن تعامله، أم لم يرض. وإن لم يرض عنه، فقولها أولى، لئلا يحل محلها قولا يغضب الله – تعالى-.

ثم أبدت تعجبها من أن يكون هذا المال كله لها؛ لذا اتخذت موقفا يشير إلى عدم رغبتها في بقاء المال بين يديها، فالمال لا قيمة له في سبيل نوال مرضاة الله – عز وجل- وثوابه.

استترت – رضوان الله تعالى عنها- بثوب، ودعت إلى ستر المال أيضا بثوب، وكل ذلك احتراز من شيء ترغب في التعفف عنه، والتعالي عليه. وترغب في أن تُمتع به غيرها من الناس،

---

١) المرجع نفسه، ج٨ ص١١٠

ممن يحتاجون إليه. أما هي فقد تربت في بيت النبوة، وتعالت على أن تميل نفسها لأموال الدنيا الفانية. وفي ذلك من العظة والعبرة البالغة، لمن أصبحوا يعبدون المال، ويسعون إلى كسبه بشتى الطرق، غير مبالين بالحلال منها والحرام.

ولقد حرصت، على أن تتصدق بالمال كله؛ ففي قولها للجارية: (**أدخلي يدك، فاقبضي منه قبضة**)، ما يؤكد ذلك، فالقبض باليد دون النظر إلى الكمية، يعني قبض كمّ لا بأس به، أي بقدر ما يمكن لليد أن تحمله، وفي هذا الموقف درس تربوي كريم، وهو عدم المبالاة بالكم المتصدق به، وذلك وجه طيب من وجوه الجود.

ولكن بقي أن يكون للجارية نصيب من هذا المال، وبالفعل؛ قد كان، وكان منه خيرا كثيرا، فحب السيدة زينب للتصدق، جعلها، تتكرم على الجارية بجميع ما بقي؛ حيث قالت لها: (**لكم ما تحت الثوب**)، غير مبالية بما تحت الثوب. وغير مبالية بإبقاء اليسير منه لنفسها، – رضوان الله تعالى عنها–.

ولم تكتف، بالتصدق بالمال كله؛ بل رفعت يديها، لتسأل الخالق – عز وجل–، أن لا يصلها مال مرة أخرى. وفي هذه المسألة ما يشير إلى تلك النفس الطاهرة التي ترشد الآخرين إلى أن يحذوا حذوها، ويقتدوا بها في سموها إلى طلب مرضاة الله – عز وجل–.

عاشرا: الحض على تحسين الدعاء:

الدعاء هو العبادة؛ به يلوذ العبد بربه، وبه يستشعر قربه منه، وبه يقضي حوائجه، فالخالق الكريم يقول، وقوله الحق: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.[1]

وللدعاء آداب يتحلى بها المسلم؛ لتكون عونا له على التضرع، والخشوع، ولتعينه على استشعار حاجته لله – عز وجل–، ولتشعره بعظمة من يسأله، ويناجيه.

ومما ورد في توجيه السائل؛ قول السيدة عائشة لابن السائب قاصّ أهل المدينة: (. . **اجتنب السجع من الدعاء، فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وأصحابه كانوا لا يفعلون ذلك**).[2]

وبذلك حرصت السيدة عائشة على إيضاح أدب من آداب الدعاء؛ فالدعاء حاجة تملي على الإنسان الاهتمام بالسؤال والتضرع، لا تملي عليه ضبط السؤال بقافية موحدة، أو بصياغته في شعر، إلا إن كان ذلك نابعا من قريحة السائل، وإن كان كذلك فهو شاعر، ولا بأس، ولكن السجع المتكلف يُذهب استشعار الخضوع والضعف أمام الخالق – عز وجل–، وهو – سبحانه– يحب أن

---

١) سورة غافر ، جزء من الآية: ٦٠

٢) مسند أحمد، ، ج٦ ص٢١٧، وإسناده صحيح، انظر المسند للإمام أحمد بشرح حمزة الزين، ج١٨ ص٦١

يرى عبده متذللا بين يديه، ومتخلصا من جميع المشاعر الداعية إلى سؤال غيره، أو مراءاة الناس حسن أداء دعائه.

ويصاحب وعظ السيدة عائشة، وإرشادها إلى ضرورة اجتناب السجع في الدعاء؛ ذكر السبب الداعي إلى ذلك الوعظ؛ حيث تقول: **(فإني عهدت رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وأصحابه، وهم لا يفعلون ذلك)**، مما يشير إلى أن نفوسهم قد رغبت في عدم الانصراف والانشغال عن الاتصال الروحي بينهم وبين خالقهم، بما من شأنه أن يُحدث ذلك.

ومن الآداب الطيبة التي حرصت أمهات المؤمنين على نقلها، وإيضاح صورتها، ماروته السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، من دعاء الرسول – صلى الله عليه وسلم–؛ فقالت: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يرفع يديه يدعو، حتى إني لأسأم له مما يرفعهما)**.[1]

فهذه الهيئة – أي رفع اليدين– من الهيئات التي تضفي على السائل الشعور بعمق حاجته لله – عز وجل–، فتدعوه إلى الإكثار من سؤاله والتضرع له، كما تضفي عليه خشوعا، وخضوعا نابعا من الأدب المتمثل في مد اليدين لسؤال الخالق – جل وعلا–، وهذا الشعور قد يشعر به من يمد يده لتناول شيئا من غيره من الناس، فكيف بمن يمد يده ليتناول الإمداد والرحمات من رب العزة – سبحانه–.

وفي قول السيدة عائشة: **(حتى إني لأسأم له مما يرفعهما)**؛ دعوة للإقتداء والتشبه به – عليه الصلاة والسلام–، في إطالة السؤال والتضرع، والإلحاح على الخالق – جل وعلا–، فكلما زاد إلحاح العبد على ربه، كلما زاد إيمانا ويقينا أنه لن يقضي حوائجه سواه.

حادي عشر: الاعتبار بالمواقف:

من الضرورة بمكان أن يكون المؤمن يقظا لما يحدث حوله من أحوال وظروف؛ بحيث يحاول أن يدرك أسبابها، وما تدعو إليه، ويتأمل في عواقبها، ويتخذها عظة وعبرة له فيما يشابهها مما قد يطرأ عليه من أحوال، فيستفيد ويفيد منها.

ومن ذلك ما حدث للسيدة عائشة، عندما دخلت امرأة عليها، فصلّت عند بيت النبي – صلى الله عليه وسلم–، وهي صحيحة، فسجدت، فلم ترفع رأسها حتى ماتت، فقالت عائشة: **(الحمد لله الذي يحيي ويميت. إن في هذه لعبرة لي في عبد الرحمن بن أبي بكر – رضي الله تعالى عنه–، رقد في مقيل له قالهُ، فذهبوا يوقظونه، فوجدوه قد مات، فدخل في نفس عائشة تهمة أن يكون**

---

١) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف، رقم الحديث: ٣٢٤٨، ج٢ ص٢٥١، وذكره الهيثمي في المجمع، وقال: رواه أحمد بثلاثة أسانيد ورجالها كلها رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد، ج١٩ ص١٦٨

صُنع به شرا، وعُجّل عليه فدفن وهو حي، فرأت أنه عبرة لها وذهب ما كان في نفسها من ذلك).[1]

وفي هذا الموقف – أيضا– يتضح عددا من الدروس التربوية الطيبة؛ حيث تبدأ السيدة عائشة – رضوان الله تعالى عنها– بقولها: **(الحمد لله الذي يحيي ويميت)**، وفي حمد الله – تعالى– ما لا يخفى من الخير الكثير؛ فبه يستشعر الإنسان قرب ربه، وفيض رحماته، وتوالي نعمائه. وبالإكثار من الحمد يتذكر المسلم حب الرب – جل وعلا– للشاكرين، فيعتاد التلفظ به في كل أوقاته، فيجني بذلك توالي الإمداد الإلهي لكل متطلباته واحتياجاته، ولا ريب في ذلك، فبالشكر تدوم النعم، وفي ذلك يقول – سبحانه–: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾.[2]

وفي قولها – رضوان الله تعالى عنها–: **(إن في هذه لعبرة لي)**، ما يرشد إلى ضرورة أن يكون الإنسان على هذا الحال من الوعي والاعتبار بكل ما يجري حوله، بحيث يقيس أموره عليه؛ فيختار ما سيجني منه الخير، ويتفادى ما قد يعود عليه بالأذى والخسران.

وفي بيان الحادثة التي جعلتها، تستشعر العظة والعبرة، يكمن الإيضاح؛ حيث تقيس الحادثة التي جرت عليها مسبقا بما حدث في بيتها من موت المرأة؛ فقد توفي أخوها عبد الرحمن فجأة، ودفن. فأثارت تلك الموتة الفجائية لديها الشك؛ مما جعلها تظن أن موته كان بسبب أذى قد لحق به، وبناء على ذلك تُعجل عليه، فدفن وهو حي.

وهنا تعاود التفكير في ذلك الظن، لتتوصل من خلال موت المرأة التي ماتت فجأة في بيتها، أن موت أخيها قد كان كموت هذه المرأة، وأن ما ساورها من ظن، لا داعي له.

وهذا الموقف يشير إلى التوعية النفسية، والضمير الواعي الذي يستشعر الأحوال المختلفة فيتعلم منها، فينجو من عاقبة ما قد يجنيه من أعمال، أو ظنون وأوهام. لذا ختمت السيدة عائشة – رضوان الله تعالى عنها– الحديث بقولها: **(فرأت أنه عبرة لها وذهب ما كان في نفسها من ذلك).**

وختاما؛ فإن الحديث عن الجوانب التربوية الإيمانية والتعبدية، ذو شجون وأفنانه كثيرة ومتنوعة، لا يمكن حصره في مبحث؛ ذلك لأن التربية الإيمانية والتعبدية هي أساس الدعوة الإسلامية، ولبها، وقد نبعت عنها، الجوانب التربوية المختلفة الأخرى. وما هذا المبحث إلا إشارات تبرز بعض ما تكفلت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، بتبليغه في هذا الجانب، وليس كل ما تكفلن به. – فجزاهن الله خيرا كثيرا مباركا فيه–.

---

١) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٤٧٦

٢) سورة ابراهيم، جزء من الآية: ٧

المبحث الثاني
الجانب التربوي الأخلاقي والسلوكي بنوعيه الفردي والاجتماعي

المطلب الأول: التوجيهات الأخلاقية

المطلب الثاني: التوجيهات السلوكية

أولا: التوجيه إلى أهمية التيمن

ثانيا: التوعية إلى ضرورة الشورى

ثالثا: الإرشاد إلى أحب الشراب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

رابعا: الإرشاد إلى عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالطعام

خامسا: العمل على إخضاع النفس وقيادتها لتحقيق اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الثالث: توجيهات أخلاقية وسلوكية تتعلق بالعلاقة الزوجية

المطلب الرابع: توجيهات أخلاقية وسلوكية تتعلق بالعلاقات الاجتماعية

المطلب الخامس: توجيهات سلوكية تحض على الاعتناء بالهيئة

المطلب السادس: حث المرأة على الخضاب بالحناء

المطلب السابع: حث المرأة على تحمل التعدد والإحسان إلى الضرة

إن كتاب الله – تعالى– وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم–، هما منبع الأخلاق الكريمة الفاضلة؛ وقد تضمنا التوجيهات الأخلاقية، والسلوكية، سواء ما كان منها يخص علاقة العبد بخالقه، أو ما يخص علاقة الإنسان بغيره من المخلوقات.

فالأخلاق " ليست قاصرة على تنظيم علاقة الإنسان بغيره من بني الإنسان، بل تتعدى ذلك إلى تنظيم وتوجيه علاقات الإنسان بكل ما في الوجود والحياة من موجودات، وتتعدى أبعد من ذلك؛ إلى توجيه العلاقة بين العبد وربه. ولزيادة هذه النقطة الأخيرة توضيحا وتفصيلا، تجب الإشارة إلى أن الأخلاق في مفهوم الإسلام هي ثمرة من ثمرات الإيمان والعبادة، وإلى أن إيمان الإنسان وعبادته لا يتمادان[1] إلا إذا نتج عنهما خلق حسن، ومعاملة طيبة مع الله ومع خلقه، وإلى أن الأخلاق الفاضلة التي طلب من المسلم أن يتمسك بها هي واجبة المراعاة لا مع الكائنات المخلوقة فحسب، بل هي واجبة المراعاة أيضا، ومن باب أولى – في المعاملة مع الله تعالى عقيدة وعبادة".[2]

ولما شاء الخالق – سبحانه وتعالى– أن تُصقل أخلاق أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن– في بيت النبوة، من خلال التربية القرآنية والنبوية التي عشن في ظلالها؛ أصبح ذلك إعدادا لهن وتهيئة طيبة، ليقمن بالمهمة التربوية الأخلاقية، المعهودة إليهن. فقمن بذلك وتعاهدن المجتمع بالتربية الأخلاقية، والسلوكية.

وقد حظيت التربية الأخلاقية والسلوكية المتعلقة بالعلاقة الزوجية، بنصيب كبير من عنايتهن – رضوان الله تعالى عنهن–. كما وجهن عنايتهن ببناء العلاقات الاجتماعية الطيبة، والحض عليها. واعتنين كذلك بتوعية نساء الأمة، والأخذ بأيديهن إلى الصلاح.

وذلك إلى جانب النواحي المتعددة الأخرى التي اعتنين بها، والتي اتضحت في المطالب الآتية.

---

١) المادة: أي الزيادة المتصلة. القاموس المحيط، ص٤٠٧

٢) عمر التومي الشيباني: فلسفة التربية الإسلامية، ص٢٢١،٢٢٢

المطلب الأول: التوجيهات الأخلاقية

عنيت أمهات المؤمنين بالتوجيهات الأخلاقية والسلوكية، ودعون المسلمين إليها، من خلال إبراز الفعل النبوي القدوة، ومن خلال الممارسات الأخلاقية التي كنّ عليها- رضوان الله تعالى عنهن-.

ففيما يتعلق بالأخلاق الفاضلة التي كان عليها الرسول – صلى الله عليه وسلم-، والتي وجهت أمهات المؤمنين إليها؛ ما وضّحته السيدة عائشة عندما سئلت: ما كان خلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم-؟ فقالت: **(كان خلقه القرآن)**.[1]

وبهذا الإيضاح، تدعو السيدة عائشة، المسلمين إلى التحلي بالأخلاق القرآنية؛ فهي الغاية التي ينبغي للمسلم أن يسعى إليها، وفي قولها: **(كان خلقه القرآن)**؛ لفت للإنتباه إلى تلك الأخلاق العظيمة؛ فهي أخلاق تضمنها القرآن الكريم لتكون دستورا أخلاقيا ضخما تنهل منه الأمة الإسلامية

وفيما يتعلق بالأخلاق الفاضلة التي كانت عليها أمهات المؤمنين أيضا، تذوّق الكلام الموّجه لهن، وحسن اختيار اللفظ المناسب للرد عليه؛ ويتضح ذلك من رد السيدة خديجة – رضي الله تعالى عنها-، عندما **(جاء جبريل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم-، وعنده خديجة، فقال: إن الله يقرئ خديجة السلام، فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام، ورحمة الله وبركاته)**.[2]

وفي هذا الحدث ما يبين فقه السيدة خديجة، ووفور عقلها، وحسن أدبها.[3]ففي إجابتها – رضوان الله تعالى عنها-، تطبيق لتربية الرسول – صلى الله عليه وسلم-؛ فقد ورد عن بعض الصحابة قولهم: **(كنا إذا كنا مع النبي – صلى الله عليه وسلم- في الصلاة، قلنا السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم-: (لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام، ولكن قولوا التحيات لله، والصلوات والطيبات.. .)**.[4]

وذلك يشير إلى وعي السيدة خديجة لهذه الحقيقة، وإدراكها، ضرورة اختيار اللفظ الحق، واستخدامه في الوقت المناسب؛ حيث يبدو عرفانها بذلك، فقد فرّقت في الرد الموجّه لله – تعالى-، والرد الموجه لجبريل، وللرسول – عليهما الصلاة والسلام-، فقالت: **(إن الله هوالسلام)**، وهنا يتجلى العرفان للحق – جل وعلا-، وذلك من الأسباب الدافعة إلى حظوتها بالأجر والثواب من الله – تعالى-، كما أنه عامل من العوامل الفاعلة في ترقية الأسلوب، وابتغاء الطريقة المثلى في الحديث بشكل دائم.

---

١) مسند أحمد، ج٦، ص١٦٣

٢) سنن النسائي، كتاب المناقب، باب (٧٣) رقم الحديث: ٨٣٥٩

٣) أحمد خليل جمعة: نساء مبشرات بالجنة، ص٣٦

٤) فتح الباري، كتاب الأذان، باب (١٥٠)، ما يتخير من الدعاء بعد التشهد، رقم الحديث: ٨٣٥، ج٢ ص٥٨٦

أما تعقيبها الذي قالت فيه: (**وعلى جبريل السلام**)، ثم قولها: (**وعليك السلام، ورحمة الله وبركاته**)، ففيه أدب جم، وكمال خلقي بالغ، حيث أجابت برد السلام، ردا ينفرد كل واحد منهما فيه بسلام خاص به. ولم تقتصر على ذلك، فقد أضافت مفردات التحية الكاملة، وهي طلب الرحمة من الله – جل وعلا–، لهما، وطلب البركة.

وهنا تبرز أهمية رد التحية بالصيغة الكاملة، وفي ذلك تمتثل أمر الخالق – جل وعلا–، فهو القائل: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾[1] وما أجمل الامتثال لدعوة القرآن، فبها تكمل الأخلاق، وينمو الضمير، فتسمو العبادة.

ومن الأساليب الطيبة أيضا؛ التي اتبعتها أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، إجابة السيدة عائشة لمن يسألها: (**كيف أصبحت؟**)، **فتقول: (صالحة، والحمد لله)**،[2] وفي هذا الجواب ما يفيد أنها تربي الآخرين إلى ضرورة التفاؤل بالصلاح للنفس؛ فالتفاؤل يتضمن حافزا نفسيا يأخذ بيد الإنسان إلى تحري أسبابه، والسير على خطا الصلاح. كما أن الحمدلة، لها من الأثر النفسي ما يدفع بالإنسان إلى الصلاح مع ربه، ومع نفسه، فالعرفان بالجميل، والشكر عليه من ثمرات النفس الزكية، ومن عوامل زيادة تزكيتها. ومن هنا تتضح ضرورة تعويد الأولاد – وإرشاد الناس بشكل عام– على إجابة غيرهم، تلك الإجابة، وتذكيرهم بضرورة شكر الله – تعالى– على فضله أن أصبح الإنسان وأمسى على أحسن حال، تعمه نعمة الله تعالى وفضله.

فقد أصبح الكثير من الناس، يقتصرون في إجابتهم لمن يسألهم عن حالهم، بقول كلمة (**بخير**)، وينسون أن ذلك الخير قد تفضل به خالقهم عليهم، وبالتالي؛ فإن من باب رد الجميل إلى أهله الشكر، ولو لفظا. وفي قول (**الحمد لله**)، الخير والبركة.

وذلك إلى جانب التربية الخلقية التي وردت عن السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–؛ التي قالت: (**لو أدرك رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ما أحدث النساء، لمنعهن كما منعت نساء بني إسرائيل. . .**).[3] فبهذه الصيغة تدعو النساء إلى امتثال الحشمة والأدب، وتلك الدعوة، يتضمنها الأسلوب الذي تحدثت به، فقولها: (**لو أدرك رسول الله– صلى الله عليه وسلم– ما أحدث النساء**)، يثير التساؤل عما أحدثه النساء، مما يلفت النظر، وينبه إلى ضرورة مراقبة فعلهن، ودعوتهن إلى نبذ ما نهين عنه. وذلك ما دفع بالسيدة عائشة أن تستشعر الخسارة في غياب الرسول – صلى الله عليه وسلم–، عن الحياة، إلا أن تلك الخسارة لا تعني الرضا بالحال الواقع، وترك الحبل على الغارب. فأسلوب السيدة عائشة في هذا الحديث، عامل من العوامل التي تثير الدافعية إلى العمل على تحسين الخلق؛ حيث أثارت المشكلة، ونسبتها إلى جميع النساء، بالرغم من كون

---

١) سورة النساء، الآية: ٨٦

٢) ابن سعد: طبقات، ج٨ ، ص٥٧

٣) فتح الباري، كتاب الأذان، باب (١٦٣)، انتظار الناس قيام الإمام العالم، رقم الحديث: ٨٦٩ ج٢ ص٦٢٢

حال الرعيل الأول، من الصلاح والتقوى، ينفي ذلك عن أكثرهن. لذا فإن نسبة القصور إلى الجميع، تفيد الدعوة إلى العمل على الإصلاح الجماعي؛ ذلك لأن الخلل الجزئي سيؤثر – حتما- على الجماعة، ويؤدي إلى الانتشار شيئا فشيئا.

ونحن نقول: لو أن السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- رأت حال النساء اليوم، لخاطبتنا الخطاب الأمثل، الذي تثير به مشاعرنا، وتدعونا به إلى التخلص من التيار الفاسد الذي حلّ بنا. ولكن ذلك لا يعفينا من الأخذ بيد النساء، وتوعيتهن، ودفعهن إلى امتثال تعاليم الشريعة، وتطبيقها، ونبذ كل ما يدعو إليه الغرب الفاسق من فسق ومجون، مستخدما في ذلك المرأة أداة، لاقيمة لها، سوى تحقيق مآربه.

وقد رأى الأستاذ عبد الحليم أبو شقه – رحمه الله – أن حل هذه المشكلة، هو ما رأت السيدة عائشة ضرورة الانتهاء عنه؛ فقال: (**ولو رأت عائشة – رضي الله عنها- ما فعل نساء زماننا من الذهاب لجميع أماكن اللهو متبرجات، ومن تعرضهن لغزو إعلامي خبيث، يدخل عليهن في بيوتهن، ويسيطر علىعقولهن وقلوبهن، والمكان الوحيد الذي لا يذهبن إليه هو المسجد، فهل كانت تردد مقالتها تلك، أم تقول: (لو رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ما فعل النساء، لأوجب عليهن الذهاب إلى المساجد)، حتى يبتعد النساء بعض الوقت عن أجواء الفتنة، ويألفن الاحتشام، وتخشع قلوبهن لذكر الله، ويتفقهن في الدين، وتحصل لهن حصانة ضد المغريات).**[1]

وفي الحقيقة، أن هذا القول يوضح حقيقة هامة؛ وهي أن إذنه – عليه الصلاة والسلام- للنساء بالذهاب للمساجد، لم يكن عبثا.

ومن محاسن أخلاق السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، الجود والسخاء؛ وفي ذلك يقول عروة بن الزبير- رضي الله تعالى عنه-: (**رأيتها تصدق بسبعين ألفا، وإنها لترقع جانب درعها**).[2]وفي هذا السخاء ما يدعو المسلم إلى أن يتذكر أن ما بحوزته من مال، هو مستخلف فيه، ليكون الأداة التي ينال بها الثواب الجزيل من الخالق – سبحانه وتعالى-، وليكون الأداة التي يسعد بها غيره، ويكسب بها حبهم ومودتهم، وليكون الرحمة المهداة من رب العالمين؛ للمحتاجين من خلقه؛ فقد شاء – سبحانه- أن تكون أرزاق بعض البشر في يد بعضهم الآخر، ليختبر قوة إيمانهم الذي يملي عليهم الوعي السليم لهذه الحقيقة. ويدفعهم إلى اليقين بضرورتها، والاندفاع إلى بذل ما يرضى به الخالق – عز وجل- عنهم. وفي فعل السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، ما يؤكد ذلك. فسخاؤها بهذا القدر من المال، يثير العجب الداعي إلى البحث عن السبب، ولا سبب إلا تلك الحقيقة التي تكشف عن صدق إيمانها، ويقينها التام بذلك.

---

١) عبد الحليم أبو شقة: تحرير المرأة في عصر الرسالة، ج٣، ص٣٥

٢) ابن سعد: الطبقات، ج٨ ، ص ٦٦

وفي هذا السلوك عظة وتربية لكل ذي مال، ليبذل من أمواله، بذلا طيبا، يطيب به نفوسا تدعو له بالخير، والبركة، فيحظى بذلك كله، ويتمتع بنعمة من الله وفضل إلى أجل مسمى، سينتقل بعده إلى رحمة من الله – تعالى– ورضوان.

ومما يؤكد نزول البركة في مال المنفق، قول الرسول – صلى الله عليه وسلم–: **(ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا).**[1]

---

١) فتح الباري، كتاب الزكاة، باب ٢٧، قول الله تعالى (فاما من أعطى واتقى.)،رقم ١٤٤٢، ج٤ ص٥٨

المطلب الثاني: التوجيهات السلوكية

شملت التوجيهات السلوكية التي عنيت بها أمهات المؤمنين؛ ما روينه من بعض السلوكات، التي مارسها الرسول – صلى الله عليه وسلم–، وبعض السلوكات التي مارستها أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–. **ومن ذلك ما يلي:**

<u>أولا</u>: **التوجيه إلى أهمية التّيمّن**؛ وذلك فيما ذكرته السيدة حفصة، أن النبي – صلى الله عليه وسلم– **(كان يجعل يمينه لطعامه، وشرابه، وثيابه، ويجعل شماله لما سوى ذلك)**.[1] وما ذكرته السيدة عائشة : **(كان النبي – صلى الله عليه وسلم–، يعجبه التيمن في تنعله، وترجله،[2] وطهوره، وفي شأنه كله)**.[3]،[4] وفي هذا السلوك ما يشير إلى الأدب الذي يعمل على رسم نظام طيب، تعتاده النفس؛ مما يؤدي إلى أن يسلك الإنسان السبيل السوي في التعامل مع نفسه، ومع الآخرين؛ ومما يؤدي إلى أن يكون ذلك التعامل أساسا للعلاقات الاجتماعية الطيبة التي ينشدها الإسلام لكل مسلم، وأساس تدريب النفس على الانقياد للهدي الإلهي والنبوي، وبالتالي قيادتها إلى معالي الأمور، وضبطها على المنهج الذي يحبه الخالق – تعالى– ويرضاه. ومن هنا تكمن ضرورة المحافظة على تلك الآداب. فقد أهملها بعض المسلمين، وغضوا الطرف عنها، لعدم وعيهم لأهميتها، حيث فُقد الشعور بالفرق الناتج عن التعامل باليد اليمنى عن اليد اليسرى، وعدّوا ذلك مما لا يلتفت إليه من الأمور. ولو كان كذلك لما عني به رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، ولما أشادت به أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–.

<u>ثانيا</u>: **التوعية إلى ضرورة الشورى**؛ ولنا في رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أسوة حسنة، وفي ذلك تقول السيدة عائشة: **(ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله – صلى الله عليه وسلم–)**.[5] وعلى الرغم من نزول الوحي على قلبه – صلى الله عليه وسلم–، إلا أن ذلك يشير إلى أن الاستشارة تدل على العقل الواعي؛ الذي يأخذ بيد صاحبه إلى اجتناب الخطأ قدر الإمكان، حيث تعمل المشورة على جمع الآراء المختلفة، والتمعن في مدى صحتها، ومدى قابليتها للتطبيق، وبالتالي مدى قابليتها للنجاح، ثم التعرف إلى ما بينها من تفاوت، لاختيار وتقديم الأفضل منها.

---

١) سنن أبي داوود، كتاب الطهارة، باب (١٨)، باب كراهية مس الذكر باليمين في الاستبراء، رقم الحديث: ٣٢، حديث صحيح. انظر صحيح سنن أبي داوود للألباني ج١ ص٩ .
٢) الترجيل: تسريح الشعر، وتنظيفه وتحسينه. انظرلسان العرب، ج ١١، ص٢٧٠
٣) شأنه كله: أي في الأكل والشرب، والنوم، ودخول المسجد، ونحو ذلك.
٤) فتح الباري، كتاب الوضوء، باب (٣١) رقم الحديث: ١٦٨ ، ونحوه في صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الطهارة، باب (١٩) رقم الحديث: ٢٦٨
٥) الأصبهاني: أخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم–، ج٤، ص ١٨ ، وقال المحقق إسناد الحديث ضعيف ص١٩

ثالثا: الإرشاد إلى أحب الشراب عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم-؛ وذلك في قول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-: **(كان أحب الشراب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، الحلو، البارد)**.[1] والناظر لهذه السمات لأول وهلة قد يقول: ما أهمية ذكر السمات الخاصة بتذوق الرسول – صلى الله عليه وسلم- للطعام؟ وما أثرها التربوي؟ فهل لذلك أثر؟ ونحن نقول: لو لم يكن لها أثر تربوي، لما عنيت أم المؤمنين – رضوان الله تعالى عنها- بذكره؛ ففي إعلامها بذلك دعوة لكل مسلم إلى أن يعتني بما كان يحبه الرسول – صلى الله عليه وسلم-؛ فالإقبال على ما كان يحبه، مع إعلام النفس، وإشعارها أنها تقبل على هذا الطعام، وتحبه، اقتداء برسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وتمثلا لفعله؛ من شأنه أن يقود النفس إلى الاتباع؛ ذلك لأن العادة لها أثرها في الإنسان، والاتباع في الأمور اليسيرة، من شأنه أن يقود الإنسان في خطوات الاتباع في غيرها من الأمور؛ حيث يعمل الاقتداء في الأمور اليسيرة على تدريب النفس على الانقياد والمثول، في الأمور الكبيرة.

وقد ورد عن الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى- أنه قال: **(ماكتبت حديثا إلا وقد عملت به، حتى مرّ بي أن النبي – صلى الله عليه وسلم-، احتجم وأعطى أبا طيبة دينارا، فأعطيت الحجام دينارا حين احتجمت)**.[2]

وهذه الصورة تؤيد ما ذهبنا إليه؛ فتدريب النفس على اتباع الرسول – صلى الله عليه وسلم- يقتضي العمل بهديه، والاقتداء بعمله – صلى الله عليه وسلم-، وإن كان في الأمور البسيطة، ومما يستحب فعله من الأعمال.

رابعا: الإرشاد إلى عناية الرسول – صلى الله عليه وسلم-، بالطعام؛ وفي ذلك تقول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-: **(ما كان يبقى على مائدة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- من خبز الشعير قليل أو كثير. وفي رواية: ما رفعت مائدة رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، من بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وعليها فضلة من طعام قط)**.[3] وهذه العناية تدل على حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم-، على المحافظة على الطعام؛ لما علمه – عليه الصلاة والسلام- من ضرورة تلك المحافظة؛ فالطعام نعمة امتنّ الخالق – عز وجل- بها على عباده، وجعلها من الأرزاق المتوالية التي يكاد الإنسان لا يفتقدها مطلقا، إلا في بعض الحالات، والبلدان التي ينزل عليها الابتلاء من مجاعة وفقر. أما الحال الغالب، فهو التكرم الإلهي، والرزق المتواصل؛ ومن هنا وجب معرفة أهمية تلك النعمة، والمحافظة عليها. وفي أسلوب الرسول –

---

١) سنن الترمذي، كتاب الأشربة، باب (٤) رقم الحديث: ٣٠٧، وقال الألباني حديث صحيح، انظر صحيح الترمذي، ج٢ ص١٧٤

٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج١١ ص٢١٣

٣) الهيثمي: مجمع الزوائد، ج١٠، ص٣١٣، وقال: إسناده حسن.

صلى الله عليه وسلم-، طريقة من طرق المحافظة، وهي عدم ترك فضلة من الطعام على المائدة، فتركها يؤدي إلى الرغبة في التخلص منها، ورميها، وهذا الأمر قد تفاداه الرسول – صلى الله عليه وسلم- ليعلمنا الأسلوب الأمثل في تفادي ذلك العمل.

ولكن هذا الأسلوب لا يمكن تطبيقه إذا وجد الاهتمام بالإكثار من الطعام، وتعدد أصنافه، فكثرة الطعام تشبع الإنسان، وتزيد عن حاجته؛ وهذا أمر قد ترفّع عنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وآل بيته؛ وهو ما يشير إليه حرصهم على إنهاء الطعام، وعدم تركهم لشيء منه على المائدة، وذلك يقود إلى القول: أن طعامهم كان قليلا، بحيث لا يقومون عنه، وقد شبعوا منه، وهي حقيقة أثبتها واقعهم، والمآثر في ذلك كثيرة؛ كقول السيدة عائشة: **(ما شبع آل محمد – صلى الله عليه وسلم- منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض).**[1] وقد انتقدت السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، الذين يشبعون أنفسهم، ويثقلون معدتهم بالطعام، فقالت: **(أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها الشبع؛ فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم، فضعفت قلوبهم وجمحت[2] شهواتهم).**[3]

إذن فالإكثار من الطعام، لا يقتصر إثمه على عاقبة إهماله، بل يتعدى ذلك ليكون سببا في آثام كبيرة، تدعو إليها الشهوة الناتجة عن سمنة الأجساد، وضعف القلوب.

<u>خامسا:</u> العمل على إخضاع النفس وقيادتها، لتحقيق اتباع الرسول – صلى الله عليه وسلم-؛ ومن ذلك ما ورد عن السيدة أم حبيبة – رضوان الله تعالى عنها-، أنه **(لما جاءها نعي أبيها، دعت بطيب، فمسحت ذراعيها، وقالت: ما لي بالطيب من حاجة، إلا أني سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم- يقول: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج، أربعة أشهر، وعشرا).**[4]

وهذا الموقف يشير إلى العملية التربوية التي سلكتها السيدة أم حبيبة، في إخضاع النفس لأمر سمعته من رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فدعت بذلك غيرها إليه. وعملت في نفس الوقت على إيضاح قاعدة تربوية يتمكن المسلم من خلالها على تدريب نفسه، والأخذ بها إلى سبيل الاتباع؛ فقد علمت أن الإحداد على الميت غير الزوج يجب أن لا يزيد على ثلاثة أيام، فتوجه ذهنها إلى إدراك أن هجر الطيب – ولو لم يكن الدافع إليه هو الإحداد على الميت-، إلا أن استمرار هجرانه قد يوحي للنفس حب الاستمرار في الحزن، والإحداد؛ لذا عملت على تجنب ذلك من خلال

---

١) فتح الباري، كتاب الأطعمة، باب ٢٣ ما كان النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه يأكلون، الحديث٥٤١٦، ج ١٠ ص٦٨٨

٢) جمحت : الجموح هو الذي يركب هواه فلا يمكن رده. انظر لسان العرب، ج٢، ص٤٢٦. والمراد أن شهواتهم طغت، واتبعت هواها.

٣) المنذري: الترغيب والترهيب، ج٣، ص١٣٧

٤) فتح الباري، كتاب الطلاق، باب٥٠ والذين يتوفون منكم، الحديث٥٣٤٥، ج١٠ ص٦١٨

معاندة النفس، وإذلالها لما لا تشتهيه في أيام موت أبيها، فتحدتها، وتطيبت، لتسوقها إلى امتثال أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وإشعارها بضرورة إنهاء فترة الإحداد التي حددها – عليه الصلاة والسلام– بثلاثة أيام.

ومما لا شك فيه أن هذه العملية هي عملية تدريب للنفس على الخضوع والامتثال، ومنها يمكن الانطلاق إلى القول: أن تدريب النفس على الطاعة، يقتضي تتبع الأمور الداعية إلى الطاعة، وإتيانها، وإن لم تدع الضرورة لها، كالمستحبات من الأمور، وما يتم الاحتياط به من الوقوع في المحذور؛ وهو الذي أخذت به السيدة أم حبيبة – رضوان الله تعالى عنها–.

المطلب الثالث: توجيهات أخلاقية وسلوكية، تتعلق بالعلاقة الزوجية

حظيت التوجيهات الأخلاقية والسلوكية المتعلقة بالعلاقة الزوجية، بنصيب كبير من عناية أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، لما علمنه من حاجة النساء إلى معرفة الضوابط الدينية التي تنمي تلك العلاقة، فتسمو بها، وتعضد تماسكها.

وتعددت تلك التوجيهات؛ فشملت الحث على حسن تبعل المرأة لزوجها، وحماية العلاقة الزوجية، وخدمة الزوج، وطاعته، وتوفير أسباب راحته، والعناية بما يحب، والتوجيه إلى حسن مخاطبته، وحسن معاشرته. كما شملت حث الزوج على العناية بزوجته، ورعايتها، وتقديم العون لها.

وقد كان للسيدة خديجة – رضي الله تعالى عنها– قصب السبق في هذا المجال؛ فقد قدمت – رضوان الله تعالى عنها–، أسمى الأمثلة وأجملها على حسن تبعل المرأة لزوجها. وقد بدأ ذلك ببدء زواجها به – صلى الله عليه وسلم–؛ فقد كان من عادته – عليه الصلاة والسلام–، أن يذهب إلى غار حراء، ويمكث فيه الليالي ذوات العدد، ليخلو بتأملاته، ويسعى بوجدانه، ومشاعره للتعرف إلى ما يقوده إليه فكره، ولإدراك ما تدعوه إليه بصيرته.

ولقد كانت نعم العون له في ذلك؛ حيث لم تضق ذرعا بتلك الخلوات، ولم تعكر عليه صفو تأملاته، ولكنها أحاطته بالرعاية التامة؛ فقد كانت تهيئ له الزاد، وترافقه حين يرغب في ذلك،[1] وكانت ترسل وراءه من يحرسه، دون أن يقتحم عليه خلوته أو يقطع عليه صلته بربه.[2] وتهيئ له أسباب الراحة، والهدوء، ولم تكن تبخل عليه بالمال؛ فقد كانت تبذل أموالها، في سبيل مرضاته، وعونه. ومن الأمثلة على ذلك؛ أنها وهبته غلامها زيد بن حارثة الذي لاحظت ميله إليه وحبه له، وآوت ابن عمه، علي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه–، وأكرمت من يحبه رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، كثويبة وحليمة السعدية اللتين أرضعتاه. وبعد البعثة كانت – رضوان الله تعالى عنها–، تثبته وتخفف عنه، وتصدقه، وتهوّن عليه أمر الناس.[3]

ومن أسباب الراحة التي كانت تهيؤها له، أنها كانت تطمئنه كلما تعرض لموقف، وتخوّف منه؛ كموقفها عندما جاء من الغار خائفا عند بدء نزول الوحي عليه، فقالت له (**كلا؛ والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتحمل الكل، وتعين على نوائب**

---

١) منير الغضبان: التربية القيادية، ج١ ص ٧٣ ، بتصرف يسير.
٢) أحمد خليل جمعة: نساء أهل البيت، ص ٣٨ ، بتصرف.
٣) ابن الأثير: أسد الغابة: ج٥ ، ص٤٣٧ ، بتصرف.

الحق)، وموقفها، عندما (سمع ذات ليلة صوتا يسلم عليه، فجاء مسرعا، فقالت له: ما شأنك؟ فأخبرها، فقالت: أبشر فإن السلام خير)[1].

ومن هذه السيرة العطرة، يمكن أن نستلهم القواعد الأخلاقية التربوية الآتية:

- الزوجة الناجحة هي التي تبحث عن أسباب الراحة لزوجها، فتوفرها له؛ ففي انشغاله بأموره الخاصة، وغيابه – وإن طال– عن بيته، كل ذلك يستدعي أن تعينه عليه، وترفع من معنوياته، وتغذي ما يحبه، بتشجيعه عليه، وبتحملها وصبرها عليه. كما يحسن بها أن تتجنب التذمر من ذلك الانشغال، وتتجنب المطالبة بالمعادلة التي تقيسها من وجهة نظرها؛ فالمرأة بحكم العاطفة المودعة فيها، تشعر بحاجتها إلى قرب الزوج دائما، ولا تتورع عن المطالبة بذلك القرب، بقدر الوقت الذي يقضي فيه مهامه، وأعماله، وذلك مما يعكر عليه صفو حياته، لما في تلك المطالبة من تحميله ما هو فوق طاقته.
- والزوجة الناجحة هي التي تقدم المساعدة الممكنة لزوجها، سواء أكان ذلك بالجهد، أم بالمال، أم بما يمكنها تقديمه له؛ بحيث تشعره بمؤازرتها، وعونها، وتأييدها. وهي التي لا تتورع عن مشاركته أفراحه، وهمومه، وهي التي تجتهد في البحث عن أسباب الطمأنينة له.
- والزوجة الناجحة هي التي تعين الزوج ببقاء العلاقة الطيبة مع كل من يحبهم، وتوطد العلاقة الإيمانية بينهم.

وقد كانت السيدة عائشة، كذلك نعم الزوجة لزوجها؛ حيث كانت توفر له أسباب راحته، وتقدم له ما يحتاجه؛ تقول – رضوان الله تعالى عنها-: **(كنت أزوّد رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، في مغزاة له؛ أزوّده دهنا، ومشطا، ومرآة، ومقصين، ومكحلة، وسواكا)**[2].

وهذه الصورة تعكس حسن تبعّل[3] المرأة لزوجها؛ فالعناية بتوفير المواد التي يحتاجها الزوج، من متاع البيت؛ هي من المهام التي ينبغي أن تتكفل الزوجة بتجهيزها، وضمها، وتقديمها للزوج، بحيث يسهل عليه حملها، والاستفادة منها وقت حاجته لها.

ومن مواقف حسن التبعّل أيضا؛ ما روي عن **(السيدة أم سلمة – رضي الله تعالى عنها-؛ فقد تزوجها رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، أول العشاء، فقامت آخر الليل**

---

١) السيوطي: الخصائص الكبرى، ج١، ص١٦٢

٢) ابن سعد: الطبقات، ج١، ص٤٨٤

٣) تبعّل المرأة لزوجها: إذا كانت مطاوعة لزوجها محبة له. انظر لسان العرب، لابن منظور، ج١١، ص ٥٨

تطحن).[1] وهذا العمل ينبئ عما بداخلها، من همّة ونشاط، ورغبة شديدة في خدمة الزوج، وحسن العمل في بيته، كما يتجلى فيه الحرص على إعداد الطعام، وتوفيره، وذلك يعكس ما جبلت عليه المرأة من حب هذه المهمة. إلا أن الواقع المعاصر أصبح ينفرها منها، ويدعوها لتولي مهام أخرى، هي غير مؤهلة لها. وهنا يكمن الخطر؛ ففي حب المرأة لأعمال بيتها، ما يشعر الزوج بالراحة، والهدوء النفسي، فيغرس مودتها في قلبه. مما يضفي على الحياة الزوجية أسباب الاستمرارية. وفي حبها لتلك الأعمال؛ مسايرة للفطرة. وفي مسايرة الفطرة يكمن سبيل التمتع بالحياة.

وذلك إلى جانب العناية بما يحبه الزوج؛ وفي موقف السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، ما يوضح ذلك؛ تقول – رضوان الله تعالى عنها-: **(دخل عبد الرحمن – بن أبي بكر- على النبي – صلى الله عليه وسلم-، وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به، فأبدّدُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بصره، فأخذت السواك، فقضمته، ونفضته، وطيبته، ثم دفعته إلى النبي – صلى الله عليه وسلم- فاستنّ به، فما رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم- استنّ استنانا قط، أحسن منه، فما عدا أن فرغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم- رفع يده، أو إصبعه ثم قال: (في الرفيق الأعلى) – ثلاثا- ثم قضى، و كانت تقول: مات ورأسه بين حاقنتي وذاقنتي).**[2]

وبغض النظر عن كون هذا الموقف حال وفاته – عليه الصلاة والسلام-، وما يستلزمه حال المريض من عناية خاصة؛ إلا أن تلك العناية تطالب بها المرأة في أحوالها الدائمة مع زوجها؛ فمن الضرورة بمكان أن تتلمس احتياجاته التي قد لا يفصح عنها أحيانا، وتتلمس ما يحبه من الأمور، فتقبل على توفيره له. وموقف السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- يوضح أسلوبا من أساليب تلمس حاجة الزوج، والتعرف عليها؛ فقد لاحظت – رضي الله تعالى عنها-، نظر الرسول – صلى الله عليه وسلم-، إلى السواك، وهو بيد أخيها عبد الرحمن، فاستخلصت من تلك النظرة، الرغبة الداخلية في نفسه – عليه الصلاة والسلام-، ومما أعانها على ذلك ما عهدته فيه من حب التسوك، فعملت على تهيئة السواك وإعداده إعدادا طيبا؛ ليتسوك به الرسول – صلى الله عليه وسلم-.

---

١) ابن سعد: الطبقات، ج٨ ، ص٩٢

٢) فتح الباري، كتاب المغازي، باب (٨٤)، مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، رقم الحديث: ٤٤٣٨، ج٨ ص٤٨٢

وفي هذا الموقف تتجلى الجوانب التربوية التالية:

- ضرورة تعاهد المرأة لما يحبه زوجها بالملاحظة، والاهتمام، ثم بالعناية بإعداده أو توفيره.
- ضرورة اعتناء المرأة بزوجها، لا سيما في أوقات ضعفه ومرضه.
- ضرورة تلمس مواضع رضاه، وإتيانها، ومواضع كراهيته، واجتنابها.

ويتجلى الحرص على طاعة الزوج لدى السيدة أم سلمة – رضوان الله تعالى عنها–، في حديثها مع أبي سلمة قبل وفاته، قالت: **(بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها، وهو من أهل الجنة، وهي من أهل الجنة، ثم لم تزوج بعده، إلا جمع الله بينهما في الجنة، وكذلك إذا ماتت المرأة، وبقي الرجل بعدها، فتعالَ أعاهدك ألا تزوج بعدي، ولا أتزوج بعدك، قال: أتطيعيني؟ قلت: ما أستأمرك إلا وأنا أريد أن أطيعك، قال: فإذا مت فتزوجي، ثم قال: اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلا خيرا مني لا يحزنها، ولا يؤذيها. فلما مات أبو سلمة، قلت من هذا الفتى الذي هو خير لي من أبي سلمة، فلبثت ما لبثت، ثم جاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فقام على الباب، فذكر الخطبة . . .)**،[1] ثم تزوجها – عليه الصلاة والسلام–.

وهنا تبرز العاطفة التي تستميل المرأة أحيانا إلى تمني أمور قد لا يوافقها العقل، ولكن المرأة العاقلة هي التي تخضع عاطفتها لما يمليه الشرع الحكيم، والعقل السليم؛ لذا خططت السيدة أم سلمة – رضي الله تعالى عنها– أمرا، استمالتها إليه عاطفتها، ولكن لم يكن ذلك الأمر هو القرار الحاسم الذي لن تتراجع عنه، ولم تكن له الأولوية لديها، فالأولوية عندها هي إخضاع هذه الفكرة للمشاورة، وطاعة الزوج فيما ينتج عن المشاورة، ومن ثم ستتخذ القرار. ويؤكد ذلك قولها: **(ما استأمرتك، إلا وأنا أريد أن أطيعك)**. إذن فطاعة الزوج أمر هام لديها، لا تعلوه عاطفة أو قرار شخصي.

وتضيف المرأة العاقلة إلى الطاعة أمرا آخر تكسب به مودة زوجها، ومحبته؛ وهو التودد له بما يحبه؛ وهذا الأمر له أساليب وطرق كثيرة تتبعها المرأة التي تتلمس ما يميل إليه الزوج، وما يهواه من الأمور فتقبل عليه، وتبدي موافقتها له. ومن ذلك توعية المرأة زوجها إلى الحال الذي تكون هي عليه، بحيث تدرك أنه من الأحوال التي يحبها، ويرتاح لها؛ ومن الأمثلة على ذلك؛ قول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها – لرسول الله – صلى الله عليه وسلم–: **(يا رسول الله، أرأيت لو نزلت واديا فيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجرا لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع**

---

١) ابن سعد: الطبقات، ج٨ ص٨٨.

بعيرك، قال: في الذي لم يرتع منها، - تعني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، لم يتزوج بكرا غيرها).[1]

وهذا التذكير يُذكي الشعور لدى الزوج بالميزة التي تتحلى بها المرأة، والتي يحبها هو، فيلاقي ذلك موافقة في نفسه، مما يؤثر في زيادة محبته لها. ويتضح ذلك من تذكير السيـــدة عائشة - رضوان الله تعالى عنها- لرسول الله - صلى الله عليه وسلم-، بالحال الذي تفردت به من بين زوجاته، وهو أنه تزوجها وهي بكر، ولم يتزوج غيرها على ذلك الحال؛ فتبرزه ببيان كونها خالصة له دون غيره من المسلمين، وفي ذلك ميزة تفتخر بها، وتعتز.

كما أن اللطف في الثناء على الزوج، وعلى ما يقبل عليه ويستحسنه، له أثره الكبير في العمل على توثيق الرابطة الزوجية؛ ومن ذلك موقف السيدة عائشة - رضي الله تعالى عنها-، **(أن النبي - صلى الله عليه وسلم-، لبس بردة سوداء، فقالت عائشة - رضي الله تعالى عنها-: ما أحسنها عليك، يشرّب بياضك سوادها، وسوادها بياضك).**[2]وبهذا الثناء؛ يتجلى حسن اختيار الألفاظ، وحسن أدائها؛ حيث تقول: **(ما أحسنها عليك)**، ولم تقل ما أحسنك بها؛ لتشير إلى أن البردة التي لبسها - عليه الصلاة والسلام- اكتسبت صفة الجمال منه - عليه الصلاة والسلام-، فَحَسُنَ مظهرها، عندما لبسها؛ إذن فجماله - عليه الصلاة والسلام-أضفى عليها ذلك الحسن والجمال، ثم تفصل السبب؛ فتقول: **(يشرّب بياضك سوادها، ويشرب سوادها بياضك)**؛ لتشير إلى التناسق الجميل الذي حدث بالتقاء اللونين.

وهذه الكلمات لها وقعها على القلب؛ حيث تبني في النفس العلو والرفعة التي تجعل الزوجين بمنأى عن توافه الأمور، وعما يدعو إليه الشيطان ويزينه.

كما أن ابتعاد المرأة عما يغضب الزوج، وكتمانها غضبها عنه، له أثره الكبير، ولنا في السيدة عائشة - رضي الله تعالى عنها- أسوة حسنة، - ولن أدركه الرسول - صلى الله عليه وسلم-، من خلال ما حوله من دلائل-؛ وفي ذلك يقول - عليه الصلاة والسلام-، لها: **(إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبى)، قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: (أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم)، قالت قلت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك).**[3]إذن فكتمان الغضب عامل هام من العوامل التي تطرد الشيطان عن سبيل الزوجين، فإبداءه قد يؤدي إلى التفوه بكلمات تدعو إلى المشاحنات والضغينة، إلا إذا تحلى الطرفان بالقدرة على توجيه الغضب توجيها سليما، بحيث يصبح التفاهم، ومحاولة إيجاد الحلول هو البديل عما ينتج عن الغضب من أمور غير مستحسنة.

---

١) فتح الباري، كتاب النكاح، باب (٩) نكاح الأبكار، رقم الحديث: ٥٠٧٧ ج١٠ ص١٥٠

٢) الأصبهاني: أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم-،ج٢ ، ص١٧٠، وقال المحقق إسناده ضعيف ص٧١

٣) فتح الباري ،كتاب النكاح، باب (١٠٩) ، غيرة النساء ووجدهن، رقم الحديث: ٥٢٢٨، ج١٠ ص٤٠٨ صحيح مسلم، بشرح النووي:كتاب فضائل الصحابة، باب (١٣) ، فضل عائشة، رقم الحديث ٢٤٣٩ ، ج١٥ ص١٧٠

وفي هجر السيدة عائشة التلفظ باسم الرسول – صلى الله عليه وسلم–، ما يشير إلى أنها وجهت غضبها وجهة سليمة؛ فالاقتصار على هجران الاسم، يفيد عدم هجران الشخص، والإعزاز، والمحبة، والتقدير، والاحترام، فكل ذلك باق، وكل ذلك هو المطلوب من المرأة أن تعتني به، وتحرص على بقائه.

وذلك السلوك هو جزء من السلوك الذي يؤدي بالمرأة إلى أن تفوز عند زوجها بالرضا والقبول؛ فتصبح ممن رضي عنهم ربهم، وممن أثنى عليهم نبيهم؛ وفي ذلك يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم–: **(ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرّته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله).**[1]

وأخيرا؛ فإن كل ما سبق، من مآثر عن أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، في تنمية علاقة الزوجة بزوجها، إنما هو للفوز بالهدوء والطمأنينة والسكن في الدنيا، وبالجنة في الآخرة؛ وفي ذلك تروي السيدة أم سلمة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–؛ قالت: **(قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: (أيما امرأة باتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة).**[2]

وكل ما سبق التوجيه إليه من إرشادات اعتنت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن– بتوجيهها، وتطبيقها؛ إنما هي عوامل وأسباب داعية إلى حظوة المرأة برضا الزوج.

ولم تقتصر عنايتهن – رضوان الله تعالى عنهن–، بتوجيه المرأة؛ فقد شملت توجيه الرجال أيضا؛ ومن ذلك لما سئلت السيدة عائشة: **(ما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يعمل في بيته؟ قالت: كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله**[3]**، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم)**،[4] **وفي رواية أخرى؛ قالت: (كان بشرا من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه).**[5] وفي هاتين الروايتين ما يشير إلى عناية السيدة عائشة بتوجيه السائل، وتوجيه رجال الأمة إلى ضرورة الاقتداء برسول الله – صلى الله عليه وسلم–، في بيته؛ فهو – عليه الصلاة والسلام–، يعتني ببعض شئون البيت، ليعين بذلك أزواجه، ولا يعد المرأة هي المسئولة الوحيدة في البيت، وعلى كاهلها هي فقط، تقع كل المسئوليات، بل يعتني بما يعينهن ويهون عليهن بعض مسئولياتهن، كالعناية بما يستعمله من متاع؛ كالثوب، والنعل. ويخدم نفسه – عليه الصلاة والسلام–، في بعض الأمور الخاصة به، ويقدم

---

١) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب (٥)، رقم الحديث: ١٨٥٧، وقال الألباني حديث ضعيف، انظر ضعيف ابن ماجة، ص١٤٥.

٢) الترمذي كتاب الرضاع، باب (١٠)، ما جاء في حق الزوج على المرأة، رقم الحديث: ١١٧١ ، وقال حديث حسن غريب.

٣) خصف النعل يخصفها خصفا: أي ظاهر بعضها على بعض، وخرزها. انظر لسان العرب، ج٩، ص٧١

٤) مسند أحمد، ج٦، ١٢١ ، وإسناده صحيح، انظر المسند للإمام أحمد بشرح حمزة الزين، ج١٨ ص١٥٧

٥) المرجع نفسه ، ج٦، ص٢٥٦، وإسناده صحيح، المرجع نفسه، ص٤٧

العون لأزواجه فيما يحتجنه أحيانا؛ كحلب الشاة، والاعتناء بمتطلبات البيت. وليس في ذلك عيب – كما يرى بعض الرجال–، ولو كان في ذلك عيب أو نقص لما قام به الإنسان الكامل – عليه الصلاة والسلام–.

وتدعو السيدة عائشة الرجال إلى الاعتناء بالمرأة في حالة الضعف التي تعتريها أيام حيضها، وتوضح لهم طهارة عين المرأة أثناءها؛ فالنجس هو دم الحيض، وليس المرأة؛ لئلا يستشعر بعضهم ذلك، فينفر من زوجه، ويعاملها بما لا يليق بها، وهي إنسانة مكرّمة، وذلك ما قد يَرِدُ بخلد بعضهم؛ لذا سأل أحد الصحابة السيدة عائشة، فقال: **(هل تأكل المرأة مع زوجها وهي طامث؟ قالت: نعم، كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، يدعوني فآكل معه وأنا عارك،[1] وكان يأخذ العَرْق،[2] فيقسم عليّ منه، فأعترق منه، ثم أضعه، فيأخذه، فيعترق منه، ويضع فمه حيث وضعت فمي من العرق، ويدعو بالشراب، فيقسم عليّ فيه من قبل أن يشرب منه، فآخذه، فأشرب منه، ثم أضعه، فيأخذه، فيشرب منه، ويضع فمه حيث وضعت فمي من القدح).[3]،[4]**

ومن خلال هذا الحديث، يمكن أن نستقي التوجيهات التربوية الآتية:

- قول السيدة عائشة للسائل: **(نعم)**، يفيد التأكيد على أنه لا بأس بمؤاكلة الرجل زوجته أثناء حيضها، كما يشير إلى أنه قد سأل سؤالا ينبئ عن تأثره بالعادات الجاهلية، وعادات اليهود في التقزز من المرأة الحائض، وهذا أمر قد حسمه الإسلام، وكرّم المرأة.
- وقولها – رضوان الله تعالى عنها–: **(يدعوني فآكل معه، وأنا عارك)**، يشير إلى التكريم الذي حظيت به، حيث لم يقتصر الأمر على مؤاكلتها، بل تعداه إلى إكرامها، ودعوتها إلى المؤاكلة، وذلك – بلا ريب–، فيه من العناية ما يسعدها ويطيب قلبها، وفيه من الدعوة للرجال ما يدفعهم إلى تحري هذه الضرورة، والعمل بها.
- وقولها: **(كان يأخذ العرق، فيقسم عليّ فيه، فأعترقه ثم أضعه)**، يشير إلى كرامتها، وعظم قدرها، أن أقسم عليها بالبدء في أكل اللحم، قبله، على الرغم من كون اللحم المتبقي في العظم قليل.

---

١) عارك: أي حائض. انظر لسان العرب، ج١٠، ص٤٦٧

٢) العرق: بسكون الراء، هو العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم. انظر لسان العرب، ج١٠، ص٢٤٤

٣) القدح: بفتح القاف والدال، وجمعه أقداح، إناء يُشرب فيه الماء ونحوه. انظر معجم لغة الفقهاء، ص٣٥٨

٤) سنن النسائي، كتاب الطهارة، باب (١٥٧)، رقم الحديث: ٢٧٢، صحيح الإسناد. انظر صحيح سنن النسائي، للألباني، ج١ ص٥٧

- وقولها: (فيأخذه، فيعترق منه، ويضع فمه حيث وضعت فمي من العرق)، تتجلى فيه مظاهر المحبة الصادقة التي يعيها قلب المرأة، ويسعد بها، فينعكس ذلك على عواطفها ومشاعرها تجاهه، فتستشعر تلك المحبة، فتطمئن نفسها، وتزيد مودتها.
- وفي إعادة فعله – عليه الصلاة والسلام–، في الشراب، كما فعل في الطعام، تأكيد على حرصه الشديد على إكرام المرأة، والاعتناء بها، وإبراز المكانة التي تستحقها؛ فهي ذاتٌ بشرية لها أهميتها، ولها دورها في الحياة. وإهمال العناية بمتطلبات الجانب العاطفي لديها، يقلل من قدرتها على العطاء، ويدعوها إلى التحلل من مسئوليتها. وفي ذلك من الخطر العظيم ما لا يخفى؛ لا سيما وقد أصبحت المرأة مستهدفة في الحرب الداعية إلى التحلل، ونبذ كل ما هو أصيل من الدين والعرف.

وختاما؛ قد يجلب الحديث عن العلاقة الزوجية، ومهام المرأة تجاه زوجها،– والتي سبق ذكرها– سخط بعض النساء، واعتراضهن؛ لذا فلابد من التنويه إلى أن العلاقة الزوجية الطيبة التي نرمي إليها، لا يمكن أن تقتصر على احترام الزوجة زوجها، ومعونته، وطاعته، ومراعاة جميع ما سبق ذكره من أمور، دون أن يكون للزوج أيضا دور في تعزيز تلك السمات، وبناء تلك العلاقة بناء يؤكد للمرأة صحة ما تقوم به من دور مثالي، ترغب فيه بالاقتداء بأمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، ومن هذا المنطلق يتحتم على الرجل أن يأخذ ذلك الحرص بعين الاعتبار، ويتخذ هو أيضا رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، قدوة له في تعامله مع زوجته، وفي حمايته لها، والحفاظ عليها.

لذا يمكن القول أن الرجل الذي ينتظر المثالية في التعامل من قبل زوجته، ويتهرب هو منها، يكون قد تمنى أمرا مستحيلا غالبا؛ فما دامت القوامة للرجل، وما دام هو القدوة في بيته؛ فامتثاله هو مبدئيا له أثره الكبير في توعية المرأة إلى ضرورة امتثالها هي أيضا تلك المهام.

وكلما كانت المبادرة الحسنة من قبل الرجل أولا، وكلما كان صبره على تربيتها، بالتوجيه والعناية، والإرشاد؛ كان لذلك أثره في صلاحها، وكلما صبر على ما قد يصدر منها من تصرفات سيئة؛ كلما كان ذلك خيرا له في عاقبة أمره، فمن المهم جدا أن لا تكون كراهيته لها هي الحكم الأخير في العلاقة بينهما؛ فالخالق – سبحانه وتعالى– يقول: ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.[1]

---

١) سورة النساء، الآية: ١٩

المطلب الرابع: توجيهات أخلاقية وسلوكية، تتعلق بالعلاقات الاجتماعية

الانسان اجتماعي بطبعه؛ فطره الخالق – جل وعلا- على حب الاستئناس، وشاء أن تتحقق المصالح الاجتماعية والفردية فيما بين العباد عن طريق التكامل الاجتماعي، بكل صوره ومعانيه.

وقد أرسل – سبحانه وتعالى- الرسل، وأنزل الكتب، للدعوة للحق أولا، وللإصلاح الاجتماعي – وما ينطوي عليه من ضروريات أخلاقية- ثانيا.

وقد نال الإصلاح الاجتماعي أهمية بالغة؛ لما يترتب عليه من تكافل اجتماعي، وأخلاقي، واقتصادي، وسياسي، وثقافي؛ حيث إن له أثرا كبيرا في بناء هذه الأمور، وغيرها من الأمور التي تتطلبها حياة البشر.

لذا نالت العلاقات الاجتماعية نصيبا من العناية الشرعية، والدينية؛ ففي شأن التعارف والتكامل، يقول – سبحانه-: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.[1] وفي شأن التكليف الاجتماعي بالتربية والتعليم، يقول سبحانه: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.[2]

كما وجّه الرسول – صلى الله عليه وسلم- المسلمين إلى ضرورة التكافل والتعاون والترابط الاجتماعي؛ ومن ذلك ثناؤه – عليه الصلاة والسلام- على المجتمع المتوادد المتراحم: (**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**).[3]

وقد نال جانب العلاقات الاجتماعية نصيبا من عناية أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- وتوجيههن.

وفي هذا المبحث تم إيضاح بعض ما أثر عنهن، مما يتعلق بذلك؛ كالعناية بالجار، ورحمة الصغير، وتقديم العون، والمعروف إلى الأرحام، وعيادة المريض، وتفقد الآخرين، والإصلاح بين الناس، وغيرها.

---

١) سورة الحجرات، الآية: ١٣

٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤

٣) فتح الباري، كتاب الأدب، باب (٢٧)، رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث: ٦٠١١ ج١٢ ص٥٠

ففيما يتعلق بالإحسان إلى الجار؛ تهتم السيدة عائشة – رضوان الله تعالى عنها-، بالهدية، وتستشير الرسول – صلى الله عليه وسلم- قائلة: **(إن لي جارين، فإلى أيهما أُهدي؟ قال: إلى أقربهما منك بابا)**.[1] وهذه العناية تشير إلى ضرورة أن يبني المسلم مع جاره علاقة اجتماعية طيبة، تقوم على المحبة والمودة، وفي الهدية أثر فاعل في ذلك؛ حيث تغرس في قلوب المتهادين المحبة، وتدفعهم إلى التكافل والتعاون، وتُذهب من نفوسهم الشحناء؛ وفي ذلك يقول – عليه الصلاة والسلام-: **(تصافحوا يذهب الغلّ وتهادوا تحابوا، وتذهب الشحناء)**.[2]

وبما أن للهدية هذا الأثر؛ فمن الضرورة بمكان أن يعتني المسلم بها، ويحرص على إهداء جاره وقريبه وصديقه، قدر إمكانه، وليس شرطا أن تكون الهدية ذات سعر عال، ففاعلية الهدية تتأكد كلما تكرر الإهداء، لا كلما علا سعرها. كما أن الهدية التي يقتصر تقديمها للآخرين، في المناسبات لا تؤدي الغرض المطلوب بقدر أدائها ذلك لو اعتنى المسلم بتقديمها بين فترات، تطول أحيانا وتقصر أحيانا أخرى؛ فالمهم أن يعهد الآخرون في الشخص المُهدي حبه للإهداء، فتُغرَسُ حينئذ محبته في قلوبهم، فلا يترددون عن صلته والارتباط به، ومساندته؛ وحينها يتحقق الهدف السامي من الهدية، ويتحقق التوجيه التربوي الذي اعتنى به الإسلام.

ومن سيرة السيدة أم سلمة – رضي الله تعالى عنها- يتجلى مظهر من مظاهر رحمة الصغير؛ وذلك فيما ورد عن **(أبي جعفر يزيد بن القعقاع القاري،[3] – رضي الله تعالى عنه-، وقد أتي به إليها، وهو صغير، فمسحت رأسه ودعت له بالبركة)**.[4] وفي هذا الفعل يتجلى مظهر من مظاهر رحمة الصغير؛ فقد فُطر الطفل على الشعور بالحاجة إلى عناية الآخرين، واهتمامهم به، وحبهم له. وفي فعل السيدة أم سلمة ما يغذي بعض تلك الحاجة الكامنة في نفس الطفل؛ فالمسح على رأس الطفل فعل ظاهري، تستقبله حواسّه، فتترجمه إلى آثار، عن طريق الناصية؛ التي ثبت علميا أنها مركز التحكم بتصرفات الإنسان،[5] فهي ترسل هذا الشعور إلى القلب (ملك الجوارح)؛ فيغير بدوره نفسية الطفل من الخوف إلى الطمأنينة والراحة والهدوء، مما يجعله يثق في الآخرين، ويتقبلهم، ويرضى عنهم.

---

١) فتح الباري، كتاب الأدب، باب (٣٢)، حق الجوار في قرب الأبواب، رقم الحديث ٦٠٢٠ ج١٢ ص٦١

٢) موطأ مالك، كتاب حسن الخلق، باب (٤) رقم الحديث: ١٦، رواه مالك عن عطاء بن أبي مسلم، عبد الله الخراساني، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: . .، فهو حديث مرسل، وقال ابن عبد البر في حاشية كتاب الموطأ: هذا يتصل من وجوه شتى حسان كلها.

٣)هو أبو جعفر القاري المدني، مولى عبد الله بن عياش ابن أبي ربيعة المخزومي، اسمه يزيد بن القعقاع، دخل على أم سلمة وهو صغير، فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة، ذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وقال أبو حاتم: صالح الحديث. تهذيب الكمال، ج٣٣، ص٢٠٠

٤) المرجع نفسه، للمزي، ج٣٣ ، ص٢٠٠

٥) القرار المكين، مأمون شقفة، ص١٧ ، بتصرف.(ذكر الدكتور مأمون شقفة لفتة الشيخ الزنداني إلى قوله تعالى: (ناصية كاذبة خاطئة)، وذكربحثه في هذه الحقيقة؛ وهي كون الناصية توسم بالكذب والخطأ، ومن ثم توصله إلى أنها هي مركز التحكم بتصرفات الإنسان).

وهذه الأمور كلها عوامل فاعلة في قلب الطفل؛ بحيث تعكس له حقيقة حب الكبار له، وفي ذلك من الأثر النفسي الطيب ما يبني شخصيته على التوازن والاستقامة.

كما أن الدعاء للطفل بالبركة، يشير إلى ضرورة استعانة الأهل بالدعاء لأبنائهم، فالدعاء وسؤال الخالق – عز وجل– له كبير الأثر في صلاحهم، وتوفيقهم؛ فتربية الأبناء أمر شاق، يحسن بالمرء أن يستعين بربه عليه، فيسأله لهم الهداية، والرشاد، والتوفيق، والسداد، ويستعينه في طلب القوة على تحمل مسؤولية التربية، والتعليم، والتوجيه، والمعيشة.

وليحذر المرء من الدعاء على الإبن – كما يفعل البعض–. وكم من هذا النوع من الدعاء قد استجيب، فأودى بالصغير إلى الهلاك، فكانت النتيجة الندم والنواح عليه.

ومما اعتنت به أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، في توجيهاتهن السلوكية الداعية إلى بناء العلاقات الاجتماعية الطيبة؛ عيادتهن المرضى، وتفقدهن لأحوالهم؛ وذلك ما روي عن السيدة عائشة، عندما أصيب أبوها ومولاه عامر بن فهيرة بالحمى، فذهبت لعيادتهم. وهناك اقتربت من أبيها، وسألته: **(كيف تجدك يا أبت؟) فقال: (كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله[1])، قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول. ثم اقتربت من عامر بن فهيرة فقالت: (كيف تجدك ياعامر؟) قال: (لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه).**[2]

وهنا تتضح العناية التي تكفلت بها –رضي الله تعالى عنها– حيث ذهبت إليهما، لتعودهما، ولتطمئن عليهما؛ وذلك في سؤالها لهما: (**كيف تجدك؟**)، وهذه الصيغة؛ تشعر المريض بحرص السائل على التعرف على أحواله، ومشاركته له في آلامه، مما يدفعه إلى الإدلاء بما يجد من مشقة المرض، فيهون عليه شيء منه. وهذا ما تشير إليه إجابتهما؛ فقد أجاب أبو بكر الصديق، بما يعكس معاناته شدة الحمى، مما جعله يرى الموت أقرب إليه من شراك نعله، أما عامر بن فهيرة، فقد أجاب بما يفيد استشعاره لشدة الموت، من شدة ما كان يجد من الحمى.

ومما يستحسن في عيادة المريض؛ عدم التذمر من شكواه، ومعذرته فيما يقول؛ ويتجلى ذلك في قول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–: **(والله ما يدري أبي ما يقول)**، كما يتجلى في انصرافها عنه، لتفقد حال المريض الآخر.

ومن هذا المنطلق؛ يحسن بعائد المريض أن يتحلى بالصبر، وإحسان المعاملة، وتحمل ما يصدر عنه من ألفاظ أو أفعال قد لا يعيها ولا يدرك إن كان يصح له التفوه بها أو فعلها أم لا. وذلك من شأنه أن يغرس العرفان في نفس المريض لذلك العائد، مما يبني بينهما علاقة طيبة.

---

١) شراك النعل: الشراك هو أحد سيور النعل التي تكون على وجهها. انظر لسان العرب، ج١٠، ص٤٥١.
٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣ ص٥٨٨، ٥٨٩

ومن عوامل بناء العلاقات الاجتماعية الطيبة، ضرورة تمحيص الخاطب، وامتحان دينه، وأخلاقه؛ فمن يتحلى بالدين والخلق، يعاشر زوجه بما يمليه عليه دينه، وخلقه، فيعرف قدرها، ويكرمها، ويبتعد عن كل أسباب الاستهانة بها، وذلك مما يجعل علاقته بها وبأسرتها علاقة طيبة خالية مما يعكرها من مشكلات قد تنشأ بسبب سوء عشرته لها؛ ولتأكيد هذه الضرورة تقول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-: **(النكاح رقّ، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته)**.[1] وفي هذه الكلمات الموجزة تتضح البلاغة التي تستنبط منها معاني كثيرة، وفوائد جمة؛ فقولها: **(النكاح رق[2])**، يشير إلى المنزلة التي تصير المرأة إليها بعد الزواج، والمسؤليات الكثيرة التي تُلقى على عاتقها، والواجبات المتعددة التي ينبغي لها أن تتحملها، وفي هاتين الكلمتين إثارة دافعة للسامع إلى أن يحترز في اختيار الخاطب. ثم يأتي التأكيد على ضرورة الاختيار، والتمحيص، بقولها: **(فلينظر)**، وهذه الكلمة أيضا، تتضمن عدة معان؛ فالدعوة إلى النظر، تعني الدعوة إلى التحري الجيد، والدعوة إلى العناية التامة بالتعرف على شخصية الخاطب، والدعوة إلى التعرف الدقيق على دينه وخلقه. ثم تقول: **(فلينظر أحدكم أين يضع كريمته)**، وفي لفظ **(أين يضع)**، ولفظ **(كريمته)**، يتضح أسلوب الحفز، الذي يدفع الولي إلى التحري الشديد؛ فالولي الواعي، لا يقبل أن تكون كريمته مسترقة عند إنسان لا يحسن عشرتها، ولا يخاف الله فيها.

لذا فإنه من الضرورة بمكان التنويه إلى أن بعضهم قد أصبح لا يبالي بهذه الضرورة، فيندفع إلى تزويج ابنته لمن يملك مالا أكثر، غير معتن بدينه أوخلقه. وفي ذلك يكمن السبب في كثير من المشاكل الأسرية، التي تنتهي بالطلاق. وذلك ما لا يحبه الخالق – جل وعلا- ، ويُنَفِّرُ منه.

ومن العوامل الفاعلة في بناء العلاقات الاجتماعية الطيبة، التعاون مع الآخرين، والتكرم عليهم بإعارتهم ما يحتاجونه من متاع؛ ويبرز ذلك في فعل السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها. وتقول عن ذلك : **(كان لي منهن درع على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فما كانت امرأة تُقَيِّن[3] بالمدينة، إلا أرسلت إليّ تستعيره)**.[4] وفي هذه الاستعارة، والإعارة، ما يدل على صفاء القلوب ونقائها، فلا تتردد المستعيرة في طلب المتاع، ليقينها بحسن حال المجتمع، وتمتع أفراده بالإيمان الذي يشعرهم بحاجة الآخرين، فيدفعهم إلى بذل كل ما يحتاجونه دون تردد، ودون شح. وفي نفس الوقت لا تتردد صاحبة المال من بذل مالها، لتنفع به غيرها، وتنال أجر ذلك،

---

١) المغني عن حمل الأسفار، للعراقي، ج٢، ص٤١

٢) الرق هنا ليس هو الرق المتعارف عليه، إنما تم تشبيه صيرورة المرأة إلى زوجها بالرق، لما يترتب على الزواج من مسئوليات وخدمة بيت الزوجية.

٣) تقين : أي تُزيّن لزفافها، و التقيين: أي التزيين، انظر لسان العرب، ج١٣، ص ٣٥١

٤) جزء من حديث في صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب (٣٤)، الاستعارة للعروس عند البناء، رقم الحديث: ٢٦٢٨ ج ٥ ص٥٦٥

فالمؤمن يحب لغيره ما يحبه لنفسه. وفي هذه الشخصيات ما يثير الإعجاب، ويدعو إلى الاقتداء، وينفر من حالة الاستغناء التي يعيشها المجتمع المعاصر، – وإن زاد المال وكثر الخير–، فالإنسان الفطن يشعر أن تلك السلوكات لها أثرها الفاعل في تمتين الروابط الاجتماعية. وذلك ما تدعو إليه السيدة عائشة ، من خلال إبراز شخصها القدوة لغيرها، لا للفخر، والاعتزاز بذلك.

المطلب الخامس: توجيهات سلوكية تحض على الاعتناء بالهيئة

إن الاعتناء بالهيئة من الأمور التي حث الإسلام عليها، ودعا لها. وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، قدوة للمسلمين في ذلك؛ حيث كان يعتني بهيئته اعتناء يدعو إلى تلمس تلك الضرورة، والاقبال عليها، وقد عهدت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن– ذلك، مما دفعهن إلى دعوة المسلمين وحثهم على التحلي به.

وقد دخلت امرأة عثمان بن مظعون على عائشة، وهي باذّة[1] الهيئة، فسألتها: ما شأنك؟ فقالت: زوجي يقوم الليل، ويصوم النهار، فدخل النبي – صلى الله عليه وسلم– فذكرت عائشة له ذلك، فلقي رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، عثمان، فقال: (يا عثمان، إن الرهبانية لم تكتب علينا، أفما لك فيّ أسوة؟ فوالله إني لأخشاكم لله، وأحفظكم لحدود)[2]

وفي هذا الموقف يتجلى حرص السيدة عائشة – رضوان الله تعالى عنها–، في التعرف على السبب الذي جعل تلك السيدة تهمل حسن هيئتها، وتدخل عليها بذلك الشكل؛ فسألتها: **(ما شأنك؟)**، وفي هذا السؤال إشعار لها بأن الهيئة التي هي عليها، تدعو للتعجب والسؤال، وتدعو لإبداء السبب الذي جعلها كذلك، وتدعو أخيرا إلى تغييرها. ففهمت ذلك زوجة عثمان بن مظعون – رضي الله تعالى عنهما–، فصرّحت بالحال الواقع؛ فهي لا تشعر بتلك الضرورة لما تراه من حال زوجها، فهو في الليل قائم، وفي النهار صائم؛ وهنا تكشف حقيقة أخرى، وهي مبالغة عثمان بن مظعون في العبادة، مبالغة جعلته يهمل بعض شئون نفسه وأهله. ومن هنا استحق الأمر أن يواجه عثمان بإيضاح تلك الحقيقة، ليعالج من خلالها أمرين: **أولهما:** أن الرهبانية، والابتعاد عن الزوجة، ليس من تكاليف الإسلام، وعليه بالاقتداء برسول الله – صلى الله عليه وسلم–، الذي يصوم ويفطر، وينام ويقوم، ويتزوج النساء. **وثانيهما:** أن الإسلام يطالبه بممارسة حياته، وعبادته بشكل طبيعي، وبالتالي فإن عليه أن يعطي زوجه حقها، لتشعر بالحافز الذي يدعوها إلى تحسين هيئتها، ونبذ التبذل.

وفي ذلك ما يشير إلى أن الإسلام دين العدل والوسطية، بدليل قوله – تعالى–: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾.[3]

---

١) باذة: رثة الهيئة، و سيئة الحال. انظر لسان العرب، ج٣ ، ص ٤٧٧

٢) مسند أحمد، ج٦، ص٢٢٦، وإسناده صحيح، انظر المسند للإمام أحمد بشرح حمزة الزين، ج١٨ ص٨٣.

٣) سورة القصص، الآية: ٧٧

وتلك الوسطية تدعو المسلم إلى ضبط النفس والاعتدال، وعدم المبالغة في أموره كلها، بما فيها الثياب، فقد تدعوه المبالغة إلى الإعجاب بنفسه، مما يغرس في نفسه الغرور، وذلك من خطوات الشيطان التي يقود الإنسان من خلالها إلى خطوات أكبر.

وقد أصبح العجب بكل جديد، لدى الكثير من الناس أمرا معتادا، حيث لم يعودوا يتورعوا عنه، وذلك – مما لا شك فيه- نابع مما تدعو وسائل الإعلام إليه من خلال عرض مشاهد العجب بالنفس. وما يتضمنه ذلك من أثر مباشر ينعكس على نفس المشاهد، فيدعوه إلى التقليد دون الشعور بخطورته.

المطلب السادس: حث المرأة على الخضاب بالحناء

إن الحناء – كما قالت السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-: **(شجرة طيبة وماء طهور)**.[1] وهو من العلامات التي تهب المرأة سمة الأنوثة، فتميزها، وتضفي عليها شعورا طيبا لما جبلت عليه من حب الزينة، وحب التمتع بها.

لذا عنيت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، بحث النساء على تلك الزينة، وكُنّ قدوة لهن فيها، وذكّرْنَهن بحث رسول الله – صلى الله عليه وسلم- على ذلك.

ومن ذلك ما روي عنهن: **(كانت السيدة عائشة، وأزواج النبي – صلى الله عليه وسلم- يختضبن بالحناء، وهن حرم، وذلك بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم-. .)**.[2]

وفي هذا الحديث ما يشير إلى ضرورة أخرى للخضاب بالحناء؛ فهو ليس لزينة المرأة لنفسها ومجتمعها وأسرتها فحسب، ولكنه – ومن باب أولى- من الزينة المستحبة للحج والعمرة أيضا؛ وحرص أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- يشير إلى ذلك الاستحباب.

وتؤكد السيدة عائشة ذلك، بالتذكير بكراهية الرسول – صلى الله عليه وسلم-، لإهمال المرأة الحناء والخضاب، فتقول: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يكره أن يرى المرأة ليس بيدها أثر الحناء أوأثر خضاب)**.[3] وهذه الحقيقة قد تأكدت بفعله – عليه الصلاة والسلام-؛ فقد ورد عن السيدة عائشة قولها: **(أوْمَتِ امرأة من وراء ستر بيدها كتاب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- فقبض النبي – صلى الله عليه وسلم- يده، فقال: ما أدري أيد رجل أم يد امرأة، قالت: بل امرأة، قال: لو كنت امرأة لغيّرت أظفارك- يعني بالحناء-)** .[4]

وكل ذلك يشير إلى الأهمية التي ينبغي للمرأة أن توليها الخضاب؛ فهي مما كره الرسول – صلى الله عليه وسلم- خلافه، وهي من الأمور الطيبة الداعية إلى الاتباع بما يلائم الفطرة، ويلبي حاجتها.

ومن نافلة القول؛ أن الزينة التي حثت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- لم تقتصر على الحث على الخضاب والحناء؛ بل شملت الحث على أمور أخرى؛ ومن ذلك خطاب السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- للمرأة، بقولها: **(أميطي عنك الأذى، وتصنعي لزوجك**

---

١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣ ص٤٦٥ ، وابن سعد : الطبقات ج ٨ ص٧٠، ٧١

٢) ابن سعد: الطبقات، ج٨ ص٧٢

٣) البيهقي: السنن الكبرى، كتاب القسم والنشوز، باب ما جاء في خضاب النساء، ج٧، ص٣١١

٤) سنن أبي داوود، كتاب الترجل، باب الخضاب للنساء، رقم الحديث: ٤١٦٦، وسنن النسائي، كتاب الزينة، باب الخضاب للنساء، رقم الحديث: ٩٣٦٤، وقال الألباني حديث حسن، انظر صحيح أبي داوود، ج٢ ص٧٨٥.

ماتصنعين للزيارة، وإذا أمرك، فلتطيعيه، وإذا أقسم عليك، فأبرّيه، ولا تأذني في بيته لمن يكره).[1]

وفي هذه الوصايا ما يغني عن اتباع تعاليم – حمالة الحطب– التي انحرفت بالنساء عن الجادة؛ فظنّ أن الزينة تكمن فيما يدعو إليه الغرب من الانحلال الخلقي والتبرج، والاتباع لكل جديد يأتي منه، شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى دخلن جُحْرَ الضَّبِّ معهم، وهن في غفلة عن هـذا – ولا حول ولا قوة إلا بالله–.

والمتأمل في حض السيدة عائشة، يلمس كل ما تهواه المرأة من حب الزينة؛ فقولها: **(أميطي عنك الأذى)** يشمل الحث على العناية الشاملة لجميع أعضاء الجسد، كما يشمل الحث على ضرورة متابعة العناية بالنظافة الخارجية للجسد، وتحري الأسباب التي قد تُلحق به ما يسيئه، أو ما يدعو إلى نفور الزوج منه. وقولها: **(تصنعي لزوجك ما تصنعين للزيارة)**، لفت للانتباه إلى أن الأولوية في الزينة لابد وأن تكون من نصيب الزوج، ففي ذلك من العمل على مايسهم في ترسيخ العلاقة المتنية بين الزوجين. وفيه من الحث مايدعو إلى العناية بالمظهر الخارجي العام أمام الزوج خاصة. وتلك عناية شاملة للمظهر الخارجي، ويبقى الجانب الآخر؛ لذا عقّبت – رضوان الله تعالى عنها–، بالدعوة إلى العناية بالعوامل الدافعة إلى تكميل مهمة المرأة تجاه زوجها، وفي ذلك تقول: **(وإذا أمرك فلتطيعيه)**، لما في الطاعة من فاعلية إيجابية في نفس الزوج، حيث يبرز من خلال ذلك الخضوع الذي يحب الرجل أن يلمسه في زوجه، لما ألقي على عاتقه من القوامة عليها. ثم تقول: **(وإذا أقسم عليك فأبرّيه)**، لما في ذلك من تطييب لنفسه، وعناية باهتماماته، وموافقة لما رآه ضروريا، فأقسم عليه. وأخيرا تقول: **(ولا تأذني في بيته لمن يكره)**، لما تتسبب المخالفة فيه من كراهية داعية إلى عمل الشيطان، ومثيرة لوساوسه وكيده.

---

١) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف، باب إذا كانت المرأة أقرأ من الرجال، ج٣ ص١٤٦، الحديث٥١٠٤

المطلب السابع: حث المرأة على تحمل التعدد، والإحسان إلى الضرة

جُبلت المرأة على الغيرة، وحب التفرد بالزوج، لذا تشعر بعض النساء بصعوبة تحمل التعدد، إلا أنه أمر من الأمور التي وُعدت المرأة عليها بالثواب الجزيل، والأجر الكبير.

فإذا صبرت واتقت كان لها بذلك خيرا كثيرا. وإن نتج عنه ظلم بها وحيف، فالصبر هو المفتاح الذي تستعين به. لتنتقل إلى عدالة رب العالمين بعد ذلك.

وقد تقبلت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- التعدد، لأسباب متعددة أهمها؛ إيمانهن بمشيئة الخالق – سبحانه-، وحبه لرسوله، وإكرامه له بإباحة عدد من النساء يفوق العدد المشرع للمسلمين، ورضاهن بقضاء الله – تعالى-، وانقيادهن له. إضافة إلى حبهن للرسول – صلى الله عليه وسلم- وتشرفهن بالظفر بالزواج منه، وفي ذلك ما يغني عن الشعور بالغيرة الدافعة إلى سلوكات غير لا ئقة.

وقد كان الإيمان المتين الذي تمتعن به، عاملا هاما في الرضا والتسليم، بل والقبول لذلك التعدد، مما يشير إلى أن المرأة التي تبحث عن السلاح الذي يعينها على تقبل الضرة؛ هو تقوية الإيمان، والتمسك بحبل الله المتين. وتمثل سلوكات أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، تجاه بعضهن بعضا.

ومن ذلك؛ التسامح الذي كان بينهن، ولا سيما حين يقترب الأجل؛ فقد ورد عن السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- قالت: (**دعتني أم حبيبة، زوج النبي – صلى الله عليه وسلم- عند موتها، فقالت: قد كان يكون بيننا ما بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقلت: غفر الله لك ذلك كله، وتجاوز عنك، وحللك من ذلك، فقالت: سررتني سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة، فقالت لها مثل ذلك.** .).[1] وإن دلّ هذا الموقف على شيء فإنما يدل على طهارتهن، وعلى ابتغائهن مرضاة الله – عز وجل-، وما يدعوهن إليه ذلك من نبذ دوافع الغيرة، وتجاهلها؛ وفي دعوة السيدة أم حبيبة، السيدة عائشة والسيدة أم سلمة – رضوان الله تعالى عنهن جميعا- يتضح نقاء سريرتها، وما تكنه لهما من حسن منزلة، وحب في الله، ولا تقتصر هذه السمات عليها فحسب، بل تمتعت الأخريات بها أيضا؛ وذلك ما يؤكده دعاؤهن لبعضهن، وسؤالهن الخالق – سبحانه المغفرة والتوبة، لكل ما من شأنه أن يجلب الإثم، مما قد وقع بينهن. وفي وصف السيدة عائشة، السيدة أم حبيبة بقولها: (**أم حبيبة زوج النبي – صلى الله عليه وسلم-**)، ما يشير إلى الاحترام الذي تكنه لها في كونها زوجة أخرى لزوجها، بخلاف ماقد تصف به المرأة المعاصرة ضرتها.

---

١) ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص ١٠٠

ومما يشير -أيضا-، إلى الاحترام المتبادل بينهن – رضوان الله تعالى عنهن-، عرفان السيدة عائشة للسيدة زينب بنت جحش بالفضل والسابقة؛ وفي ذلك تقول: **(يرحم الله زينب بنت جحش، لقد نالت في هذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف؛ إن الله زوجها نبيه – صلى الله عليه وسلم-، في الدنيا، ونطق به القرآن، وإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، قال لنا ونحن حوله: أسرعكن بي لحوقا، أطولكن باعا، فبشرها رسول الله بسرعة لحوقها به، وهي زوجته في الجنة)**.[1]وفي هذا الحديث تبدأ السيدة عائشة بالدعاء للسيدة زينب، فتقول: **(يرحم الله زينب بنت جحش)**؛ والدعاء بالرحمة دليل على محبة المدعو له، وتمني الخير له. ثم تسترسل في ذكر مناقبها، لتبرز بذلك المنزلة الطيبة التي اختصها الخالق – جل وعلا بها، وتنصفها في الحكم الذي تستحقه؛ مما يشير إلى خلو قلبها، مما تمليه الغيرة على النساء، من غلّ وحسد، وحب إساءة؛ وهذه السمات، من سمات اللواتي قصر بهن إيمانهن عن بلوغ درجة تحري الحق، وامتثاله. أما أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، فقد ترفّعن عن ذلك، وسمون بأخلاقهن، ليكن قدوة لمن ترغب في الاقتداء.

ومما يشير إلى ذلك أيضا، قولها عن السيدة زينب: **(. . ولم أر امرأة قط، خيرا في الدين وأتقى لله – عز وجل-، وأصدق حديثا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالا لنفسها، في العمل الذي تصدق به، وتقرب إلى الله – عز وجل-. .)**[2]

ولم يكن ذلك التسامح، والخلق الكريم، متمثلا في سلوك السيدة عائشة وأم حبيبة وزينب فحسب؛ ولكن كان هو الخلق الذي تمثلته جميع أمهات المؤمنين؛ ومما يؤكد ذلك ما كان منهن يوم زواج النبي – صلى الله عليه وسلم- بالسيدة زينب بنت جحش – رضي الله تعالى عنها-؛ ورد عن أنس – رضي الله عنه- قال: **(بُني على النبي – صلى الله عليه وسلم- على زينب بنت جحش بخبز ولحم، فأُرسلتُ على الطعام داعيا، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعو، فقلت: يا نبي الله ما أجد أحدا أدعوه، فقال: فارفعوا طعامكم. وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، فخرج النبي – صلى الله عليه وسلم-، فانطلق إلى حجرة عائشة، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف**

---

١) ابن سعد: الطبقات، ج٨ ص١٠٨

٢) الأصفهاني: حلية الأولياء، المجلد الثاني، ص٦٤

وجدت أهلك، بارك الله لك؟، فتقرّى[1] حُجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة،. . .).[2]

وختاما؛ فمن نافلة القول أن أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن– قد قمن بتربية المسلمين والمسلمات على الأخلاق الفاضلة، والسلوكات الحميدة، خير قيام، بعد أن تمثلن تلك الأخلاق والسلوكات، وعنين بالتجمل بها، وإهدائها للمؤمنين كافة. متمثلات في ذلك قول الرسول – صلى الله عليه وسلم–: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه)**.[3] فجزاهن الله خيرا كثيرا على ما قدمن من نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

---

١) فتقرّى: بفتح القاف وتشديد الراء، بصيغة الفعل الماضي، أي تتبع الحجرات، واحدة واحدة، يقال منه قريت الأرض إذا تتبعتها أرضا بعد أرض، وناسا بعد ناس. فتح الباري، كتاب التفسير ، الحديث رقم ٤٧٩٣ ، ج٨ ، ص٣٩٠

٢) جزء من حديث في صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: (٨) قوله لا تدخلوا بيوت النبي، رقم الحديث: ٤٧٩٣ ج٩ ص٤٨٢

٣) فتح الباري، كتاب الإيمان، باب (٧)، من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم الحديث: ١٣ ج١ ص٨٢

المبحث الثالث
الجانب التربوي العلمي

المطلب الأول: المكانة العلمية لأمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن

المطلب الثاني: مواقف ترشد إلى الوعي وحسن السلوك الذي تمتعت به أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن

المطلب الثالث: مرويات ومآثر علمية قيمة تتجلى فيها توجيهات تربوية مختلفة

أولا: فيما يتعلق بنقل أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم

ثانيا: فيما يتعلق بنقل السلوكات التعليمية

ثالثا: فيما يتعلق بالاستفسارات المختلفة

رابعا: فيما يتعلق بالتوجيهات والتوعية العلمية

بذلت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، جهودا تربوية كبيرة؛ تُعد هديا تربويا علميا، أهدينه للأمة الإسلامية، وبذلنه في سبيل الإسهام في تبليغ دعوة الرسول – صلى الله عليه وسلم–؛ الذي بُعث معلما، ومرشدا، وهاديا.

وقد أسهمت أمهات المؤمنين– رضوان الله تعالى عنهن–، في تلك المهمة إسهاما فاعلا، برز من خلال ما أثر عنهن من ثروة حديثية ضخمة، تجلت فيما روينه من أقوال وأفعال للرسول – صلى الله عليه و سلم–، وفيما ذكرنه من تساؤلات مختلفة وجهنها للرسول – عليه الصلاة والسلام–، ليتعلمن منه، ويعلمن غيرهن، وفيما صدر عنهن من إرشادات وتوجيهات تربوية، تتعلق بموضوعات مختلفة، وفيما أسهمن في إيضاحه مما خفي علمه على صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، أو مما قصر فهمهم عنه.

وفي هذا المبحث تمت الإشارة إلى مكانتهن العلمية، وبعض المواقف التي ترشد إلى حسن السلوك والوعي الذي تمتعن به. كما تمت الإفادة من بعض مروياتهن، ومآثرهن؛ عن طريق عرض الموضوعات التي شملتها تلك المرويات والمآثر.

المطلب الأول: المكانة العلمية لأمهات المؤمنين –رضي الله عنهن–

تفاوتت مكانة أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن– من الناحية العلمية؛ حيث تفوّق بعضهن على بعض في ذلك، وظهر التفاوت بينهن في شكل درجات في العلم، والرواية.

وفي ذلك قيل: **(كان أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم–، يحفظن من حديث النبي – صلى الله عليه وسلم–، كثيرا، ولا مثلا لعائشة، وأم سلمة، وكانت عائشة تفتي في عهد عمر وعثمان، إلى أن ماتت يرحمها الله، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– عمر وعثمان ومن بعدهما يرسلان إليها، فيسألانها عن السنن).**[1]

وفي هذا القول ما يشير، إلى أن السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، قد حازت المرتبة الأولى، وقد شهد لها بذلك عدد من التابعين، والمؤرخين، الذين حصروا مآثرها العلمية، والعملية.

ومن ذلك ما قاله الزهري عنها: **(لو جمع علم عائشة إلى جميع علم أزواج رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل).**[2]

ومن ذلك أيضا، ما شهد به مسروق[3]، قال: **(رأيت مشيخة أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، الأكابر يسألونها عن الفرائض).**[4] وقال عطاء بن أبي رباح[5]: **(كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيا في العامة).**[6]

ذلك إلى جانب الكم الكبير الذي ورد عنها من الأحاديث الشريفة؛ فقد بلغ ألفين ومئتي حديث، وعشرة.[7]ورد منها في صحيحي البخاري ومسلم، مائتان وسبعة وتسعون حديثا، اتفقا منها على مئة وأربعة وسبعين حديثا، وانفرد البخاري برواية أربع وخمسين حديثا، ومسلم برواية تسعة وستين حديثا.[8]

ولا غرابة في ذلك كله؛ فقد "عاشت السيدة عائشة في كنف زوجها الرسول الأعظم – صلى الله عليه وسلم–، تسع سنين، وبضعة أشهر، شهدت خلالها مولد الأمة، وإقامة الدولة، وتنزل الوحي، وكمال الدين، وتمام النعمة، وشهدت أحداث الغزوات والسرايا، وما اقتضاه ذلك من جهاد

---

١) ابن سعد: الطبقات، ج٢ ص٣٧٥

٢) العسقلاني: الإصابة ، ج٤ ص٣٦٠

٣) مسروق بن الأجدع: كوفي تابعي ثقة، من أهل اليمن، سُرق وهو صغير، فسمي مسروقا، لقي عمر بن الخطاب، فقال له: ما اسمك؟ قال: مسروق بن الأجدع، فقال عمر: إن الأجدع شيطان، أنت مسروق ابن عبد الرحمن. وكان عالما بالفتيا، توفي سنة ٦٣ هجرية، روى عنه الستة. تهذيب التهذيب ج١٠ ، ص١٠٠

٤) ابن سعد: الطبقات ، ج٢ ، ص٣٧٥

٥) عطاء بن أبي رباح: تابعي من أجلاء الفقهاء، من مولدي الجند، سنة ٢٧ هجرية، ونشأ بمكة، فكان مفتيهم، ومحدثهم، توفي فيها سنة ١١٤ هجرية. تهذيب التهذيب ج٧ ، ص١٨٠

٦) العسقلاني: الإصابة، ج٤ ، ص٣٦٠

٧) ابن العماد: شذرات الذهب، ج١ ، ص٦٣

٨) عمر رضا كحالة: أعلام النساء، ج٣ ص١٠٧

مرير، وعزم ماض حتى النصر؛ عاشت انتصار بدر الكبرى ودرس أحد، وأزمة الخندق، وعظمة الفتح المبين، وعاشت أحداثا تتصل بالدعوة، كما تمس شخصها، وعايشت ما أنزل الله من قرآن بشأنها".[1]

ولعل تلك الظروف، وما نتج عنها من تحصيل علمي كبير، فازت به السيدة عائشة – رضوان الله تعالى عنها–، وما عاد به ذلك من أثر عظيم في فقه الأمة الإسلامية، وصلاحها، يوضح الحكمة في المشيئة الإلهية في زواج الرسول – صلى الله عليه وسلم– بها، وهي بنت تسع سنين، مما يخرس أفواها ناعقة بالباطل، تثير التعجب من زواج شيخ كبير بطفلة صغيرة في مقتبل العمر. وذلك – بالطبع– مما لا عجب فيه في زمانهم، ومما لا بأس فيه مطلقا.

وتأتي في المرتبة الثانية، في العلم والرواية؛ السيدة أم سلمة – رضوان الله تعالى عنها–، التي روت من الأحاديث ما يبلغ ثلاثمائة وثمان وسبعون حديثا.[2] أخرج البخاري ومسلم منها تسعة وعشرين حديثا، واتفقا على ثلاثة عشر حديثا.[3]

والسيدة ميمونة – رضي الله تعالى عنها–، روت ستة وسبعين حديثا،[4] أخرج لها البخاري ومسلم في الصحيحين ثلاثة عشر حديثا، واتفقا على سبعة أحاديث[5]

أما السيدة أم حبيبة – رضي الله تعالى عنها– فقد روت خمسة وستين حديثا،[6] أخرج لها البخاري ومسلم أربعة أحاديث؛ اتفقا على حديثين، وانفرد مسلم بحديثين.[7]

وكذلك السيدة حفصة – رضي الله تعالى عنها– التي ورد لها ستون حديثا.[8]وأخرج لها البخاري ومسلم، عشرة أحاديث، اتفقا منها على أربعة، ولمسلم ستة أحاديث.[9]

وروي عن السيدة زينب بنت جحش – رضوان الله تعالى عنها– أحد عشر حديثا،[10] اتفق البخاري ومسلم في رواية حديثين منها.[11]

وروي – كذلك– عن السيدة جويرية – رضي الله تعالى عنها– سبعة أحاديث،[12] أخرج لها البخاري حديثا، وأخرج لها مسلم حديثين.[13]

---

١) عبد الصبور شاهين وإصلاح عبد السلام: موسوعة أمهات المؤمنين، ص١٠١
٢) ابن العماد: شذرات الذهب ج١ ص٦٣
٣) ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر، ص٤٠٣
٤) المرجع نفسه ، ص٣٦٥
٥) المرجع، ص٤٠٣
٦) المرجع نفسه، ص٣٦٥
٧) المرجع نفسه، ص٤٠٣
٨) المرجع نفسه، ص٣٦٥
٩) المرجع نفسه، ص٤٠٣
١٠) المرجع نفسه، ص٣٦٩
١١) المرجع نفسه، ص٤٠٤
١٢) المرجع نفسه، ص٣٧٠
١٣) المرجع نفسه، ص٤٠٤

كما اتفق البخاري ومسلم في رواية حديث واحد للسيدة صفية بنت حيي – رضي الله تعالى عنها–.[1]

أما السيدة سودة بنت زمعة – رضي الله تعالى عنها– فقد روي عنها خمسة أحاديث،[2] ورد منها حديث واحد في صحيح البخاري.[3]

---

١) المرجع نفسه
٢) المرجع نفسه، ص٣٧٢
٣) المرجع نفسه، ص٤٠٤

المطلب الثاني

مواقف ترشد إلى الوعي وحسن السلوك الذي تمتعت به أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-

يتضح من خلال المواقف المختلفة التي كانت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- ، يتخذنها في بعض الأحيان؛ أنهن قد تمتعن بعقلية علمية عالية، جعلت منهن أمثلة سامية لكل من سواهن من البشر؛ مما يدعو إلى ضرورة التعرف إليها، وأخذ العظة والعبرة منها؛ حيث تبرز من خلالها دروس عملية تطبيقية، ترشد إلى السلوك الأمثل الذي يحتاجه المرء في المواقف المختلفة التي يتعرض لها في حياته.

ففي موقف السيدة خديجة – رضي الله تعالى عنها-، عندما اختارت الرسول – صلى الله عليه وسلم- ليتولى مهمة التجارة في مالها؛ ما يشير إلى الوعي الذي تمتعت به في إدراك ضرورة حسن اختيار الشخص المراد تكليفه بمهمة؛ فمن الضرورة بمكان، أن يتمتع ذلك الشخص بالإيجابية، والأمانة، والذكاء، والنشاط، والقدرة البدنية التي تؤهله للقيام بما أوكل إليه من عمل.

كما أنه من الضرورة بمكان، أن يتم الاصطفاء من بين من تمثلت فيهم هذه الصفات، مَنْ هو بحاجة إلى العمل والكسب، أكثر من غيره. ففي ذلك تمييز يفصل بين الأولويات، ويؤدي إلى التعرف إلى من لهم الأولوية في الإيعاز إليهم بالعمل، مما يؤدي إلى النهوض بمستوى الأفراد في المجتمع، حيث أن ذلك الاختيار يعمل على رفع مستوى الفرد إلى حال أفضل من الحال الذي يعيشه، مما يشعره بالمساواة بغيره من أفراد المجتمع.

وفي موقفها – رضوان الله تعالى عنها-، عندما ذهبت إلى ورقة بن نوفل، لتستفهمه عما حدث لرسول الله – صلى الله عليه وسلم- في بدء الوحي؛ ما يشير إلى مراقبتها الأحوال العامة التي مرت به – عليه الصلاة والسلام-، مما علمته عن رحلته في التجارة، – كما أخبرها غلامها ميسرة-. ومما تلمسه فيه من حب الانفراد في الغار، ولما تمتع به من أخلاق كريمة، انفرد بها من بين جميع أهل زمانه؛ كل ذلك دعاها، للبحث عن أسباب وقوع تلك الظاهرة، والتحري عن أبعادها، لتكون بذلك يقظة لما يدور حولها من مجريات، فتتمكن من اتخاذ الموقف المناسب لها.

وهذه اليقظة تدفع بالإنسان إلى التمتع بالوعي الدائم الذي يعينه على تحري النعمة الإلهية، والتمتع بها. كما يعينه على تفادي الأسباب التي من شأنها أن تأتيه بالمشاكل الحياتية، فيتجنب بذلك الوقوع فيها.

أما موقفها – رضوان الله تعالى عنها–، الذي اتخذته تجاه الرسول – صلى الله عليه وسلم– عند بدء الوحي، والحديث الطيب الذي أسمعته إياه؛ وهو قولها: **(أبشر يا ابن عم، واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة).**[1] فهو موقف عززه الموقف السابق؛ حيث أن تحريها الظروف المحيطة، وتوصلها إلى توقع حدوث أمر سار، كنتيجة للإرهاصات التي حدثت، والتي تابعتها بالملاحظة، كل ذلك أرشدها إلى التفاؤل، وتمني الخير له – عليه الصلاة والسلام–، مما دفعها إلى القول: **(إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة).**

وفي هذا الموقف، يتضح سبب من أسباب النجاح الذي يحظى به المرء إذا ما خوطب بأسلوب ينهض به، فيعزز ثقته بنفسه، ويرتقي بفكره، فيدعوه إلى الإقدام، وعدم التردد.

كما أن في الصيغة الأخرى التي أجابته بها؛ وهي قولها: **(أبشر يا ابن العم، والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)**، ما يشير إلى العلم والمعرفة، اللغوية، والاجتماعية، والأخلاقية؛ فعلمها في اللغة، يبرز في اختيار الألفاظ التي استخدمتها في الخطاب؛ حيث الدعوة إلى الهدوء النفسي والسرور، من خلال كلمة **(أبشر)**، ثم تسميته **(يا ابن العم)**، لما في العمومة من قرابة متينة، لا تعادلها في متانتها قرابة الخؤولة وغيرها، ثم القسم باسم الله، وهو الاسم الذي يستحق التعظيم، والذي تؤكد من خلال القسم به الحقائق. كما أن استخدام الفعل المضارع في تعداد السمات الطيبة، **(تصل، تصدق، تحمل، تقري، تعين)** يشير إلى استمرارية توافر تلك السمات فيه، لتثبت كونها ملازمة له، لا تنفك عنه، فهو أهل لها.

أما علمها في العلاقات الاجتماعية؛ فيتضح فيما ذكرته من سمات، وفيما أثنت عليه من صلة الرحم، وصدق الحديث، وتقديم العون، والاستضافة. . وذلك يشير إلى اطلاعها وعلمها بالأعمال الاجتماعية التي كان يمارسها عليه الصلاة والسلام–. وفي ذلك ما يدعو إلى مراقبة الأحوال الإيجابية لدى الآخرين، والعمل على تنمية الأعمال الاجتماعية المختلفة، عن طريق التشجيع، والتعزيز.

أما علمها بالأخلاق الكريمة فيتضح في تحليها بالأدب الجم في مخاطبته؛ فالبشارة عمل خلقي كريم، يتحلى بالنطق به من يثق في صدق تحقق البشارة، وفيمن يعي ضرورة إدخال السرور إلى قلوب الآخرين، ويحرص عليه. والنداء بابن العم يشير إلى الاحترام؛ لما في ذلك من إشعار بالقرابة التي تحتم على المرء أن يكون مؤدبا مع من يتحدث معه.

تلك هي بعض المواقف التي أثرت عن السيدة خديجة – رضوان الله تعالى عنها–، إلى جانب غيرها من المآثر التي ورد بعضها، وخفي الكثير منها.

---

١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١ ص٢٥٤

وكذلك السيدة سودة – رضوان الله تعالى عنها–، التي تحلت بالعقلية العلمية الرفيعة، وتكفلت بجانب تربوي عملي، أهدته لبنات جنسها، وهو أسلوب المحافظة على العهد، والعناية بالعلاقة الزوجية، والسمو بها إلى مستوى الرضا، والقبول النفسي، والتفاهم العملي والأخلاقي؛ واتضح ذلك عندما تخوفت من مفارقة الرسول – صلى الله عليه وسلم– لها، (. . **فقالت له: لا تطلقني وأنت في حل من شأني، فإنما أريد أن أجتبر في أزواجك، وإني قد وهبت يومي لعائشة، وإني لا أريد ما تريد النساء، فأمسكها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– حتى توفي عنها مع سائر من توفي عنهن من أزواجه، وفي سودة نزلت الآية**[1]: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾.[2]

وفي هذا الموقف تتجلى مظاهر الرقي العقلي والعلمي؛ حيث تتتبع المرأة القضية بوعيها، وتعنى بمعرفة أسبابها ودواعيها، وتقدر ضرورتها، وتتمتع بالمرونة في مواجهة حقيقة تلك القضية، مما يسهل عليها التوصل إلى وضع حل سلمي يعود عليها بالنفع والفائدة، وذلك ما يتجلى في حظوة السيدة سودة بالاحترام والتقدير والعرفان من قبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وأزواجه، لا سيما السيدة عائشة – رضوان الله تعالى عنهما–. وفي حظوتها بكرامة صحبة الرسول – صلى الله عليه وسلم– في الدنيا والآخرة.

ومما يشير إلى وعيها أيضا؛ استئذانها الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الحج، لكي تدفع قبل الناس، ليلة المزدلفة، لعلمها بما قد يعود عليها من تأخر في الدفع لضخامة جسدها – رضوان الله تعالى عنها–، وما قد يسببه ذلك من تأخير لغيرها، ممن تسير معهم. فقد روي عن السيدة عائشة أنها قالت: (**نزلنا المزدلفة فاستأذنت النبي – صلى الله عليه وسلم– سودةُ، أن تدفع قبل حُطمة الناس، وكانت امرأة بطيئة، فأذن لها، فدفعت قبل حُطمة الناس. .**)،[3] وفي ذلك ما يشير إلى ضرورة وعي الإنسان لأحواله، وظروفه، ومراعاته لجميع شئونه المرتبطة بشئون الآخرين، و الحذر من التسبب في إيذائهم بما يرتبط به وإياهم، فحرية الفرد مقيدة بحرية الآخرين، وهو ما وعته السيدة سودة – رضي الله تعالى عنها–.

---

١) المزي: تهذيب الكمال في أسماء الر جال، ج٣٥ ، ص٢٠٠

٢) سورة النساء، الآية: ١٢٨

٣) فتح الباري، كتاب الحج، باب ٩٨، من قدم ضعيفة أهله بليل، رقم الحديث: ١٦٨١، ج٤ ص٣٤١ ، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحج، باب ٤٩، رقم الحديث: ١٢٩٠ ، ج٩ ص٣٢

ومن سيرة السيدة أم سلمة – رضوان الله تعالى عنها-، تتضح العقلية الواعية الرفيعة؛ فعندما أرسل رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يخطبها، قالت: **(مرحبا برسول الله وبرسوله؛ أخبر رسول الله أني امرأة غَيْرَى، وأني مُصْبِيَة[1]، وأنه ليس أحد من أوليائي شاهدا).**[2]

وبهذا القول، تحلل السيدة أم سلمة، الإشكال القائم لديها إلى ثلاث نقاط، لتوضح من خلالها؛ اجتماع تلك النقاط في حالها، والعذر الذي قد يفرضه هذا الإشكال. وهو أسلوب طيب، يشير إلى القدرة التي يتمكن الإنسان من خلالها، إيصال ما يرغب إيضاحه للآخرين، بأسلوب منظم، وواضح المقصد والمرمى؛ لذا لم تحتج إلى الاعتذار لشخصها هي لما تعانيه من شعور بالإعاقة النابعة من هذه العقبات، والتي من شأنها أن تعرقل سبيل نجاحها في بيت الزوجية المقبل. ولكنها اعتذرت بذكر الأعذار مستقلة عنها، لتفوض لرسول الله – صلى الله عليه وسلم-، الأمر، فيعنى بذلك الإشكال، ويقدم لها الحل الأمثل، الذي يرضى به هو، فتقبله حينئذ سمعا وطاعة له – عليه الصلاة والسلام-. وبالفعل استيقن الرسول – صلى الله عليه وسلم- من تلك الصيغة مرادها، فأرشدها إلى الأمان مما تخشاه.

وفي إشارتها – رضوان الله تعالى عنها- على الرسول – صلى الله عليه وسلم-، يوم الحديبية، ما يدل على علمها بالأساليب التربوية الفاعلة في الآخرين؛ وذلك عندما ذهل المسلمون عن الاستجابة لأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، حين دعاهم إلى الحلق، والتحلل من الإحرام قبل العمرة؛ مما دفع بالرسول – صلى الله عليه وسلم- إلى أن يشكو أمرهم إليها،؛ فقالت: **(يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم، كلمة، حتى تنحر بدنتك، وتدعو حالقك، فيحلقك، فخرج، فلم يكلم أحدا منهم كلمة، حتى فعل ذلك، ونحر بُدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما).**[3]

وبهذه الإشارة توجه – رضوان الله تعالى عنها-، إلى أهمية أسلوب القدوة في العمل التعليمي، والإرشادي، والدعوي، لما يتضمنه هذا الأسلوب من تأثير مباشر، ووقع متين على النفوس؛ فهو أسلوب عملي تتجسد فيه الرغبة المستهدفة، من خلال السلوك، فتقع حيثما أراد الداعي لها.

ومن المواقف التي تشير إلى العقل الواعي لدى السيدة أم حبيبة – رضوان الله تعالى عنها- موقفها عندما دخل عليها أبوها – أبو سفيان- وأراد الجلوس على الفراش؛ وفي ذلك يقول ابن هشام: **(فلما ذهب ليجلس على فراش النبي – صلى الله عليه وسلم-، طوته عنه، فقال يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله – صلى الله**

---

١) مصبية أي ذات صبي ، انظر القاموس المحيط، ص١٦٧٩

٢) مسند أحمد، ج٦ ص٣١٣،

٣) فتح الباري، كتاب الشروط، باب ١٥، الشروط في الجهاد ، رقم الحديث٢٧٣٢ ج٥ ص٦٧٥

عليه وسلم-، وأنت رجل مشرك، نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، قال: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر، ثم خرج).[1]

وفي هذا الموقف قيل: أنه "موقف تختلط فيه جملة اعتبارات، أهمها مباينة الإيمان للشرك، فمما لا شك فيه أن السيدة أم حبيبة – رضوان الله تعالى عنها- كانت تحفظ قوله – تعالى-: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾.[2]هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، قد كانت أم المؤمنين تدرك أن أباها هو الذي يتزعم معسكر العداوة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم-، ولكننا مع ذلك لا نتصور أن تصرفها على هذا النحو، كان رغبة في إهانة أبيها، بقدر ما كانت تستهدف إشعاره بوضعه الذي لا يليق بمثله، لا سيما بعد أن صاهره رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فأناله من الشرف مالم يكن يتصوره، ولذلك نعتقد أن حديثها معه على هذا النحو القاسي، كان له من التأثير ما زلزل الشرك في أعماقه، ومهد الطريق بعد ذلك لإيمانه قبل أن تدخل جيوش المسلمين مكة إبان الفتح العظيم".[3]

وهذا التعليل يشير إلى النظرة البعيدة التي أولتها السيدة أم حبيبة – رضوان الله تعالى عنها- اهتمامها؛ حيث شعرت بما سيترتب على فعلها ذلك، من مراجعة نفسية داخلية، وتزاحم أفكار، يأخذ بيده إلى تحري الحق، ثم قبوله، وذلك ما حدث في نفس أبي سفيان – رضي الله تعالى عنه- عند فتح مكة.

فقد ورد في سيرة ابن هشام أن الرسول – صلى الله عليه وسلم- قال له: **(ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله) فقال: (بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك، وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد)، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: (ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله)، قال: (بأبي أنت وأمي ما أحلمك، وأكرمك، وأوصلك، أما هذه، والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئا)، فقال له العباس: (ويحك أسلم، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قبل أن تضرب عنقك)، قال: فشهد شهادة الحق، فأسلم.**[4]

وهذه هي النتيجة الحتمية التي يتوصل لها من هو في مثل شخصية أبي سفيان، بعد أن يتعرض للدوافع التي تهز النفس، وتثير كوامن الخير فيها؛ فمعرفته الحق لم تكن لتزعزع ذلك

---

١) سيرة ابن هشام، ج٤ ص٣٨

٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢

٣) عبد الصبور شاهين، إصلاح عبد السلام الرفاعي: موسوعة أمهات المؤمنين، ص ١٦٠ .

٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤ ص٤٦

الكبرياء والتعنت، لذا تطلب الأمر أن يواجه بالأسلوب الذي يكشف له عن الحقيقة التي لا مرية فيها.

المطلب الثالث

مرويات ومآثر علمية قيمة تتجلى فيها توجيهات تربوية مختلفة

ورد عن أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي نقلنها عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فأوضحن من خلالها الهدي النبوي باللفظ الذي تم تلقيه منه عليه الصلاة والسلام– كما ذكره.

وورد عنهن نقل السلوك التعليمي الذي كان الرسول – عليه الصلاة والسلام– يسلكه معهن أو مع غيرهن من المسلمين، بحيث يتضح من خلاله الدروس التربوية العملية.

وورد أيضا، استفساراتهن الموجهة للرسول – صلى الله عليه وسلم– والتي انتفع المسلمون بها.

وذلك إلى جانب المواعظ التعليمية التي كن يوجهنها لغيرهن، بذكر موقف من المواقف التعليمية التي سمعن توجيه الرسول – صلى الله عليه وسلم–، فيها، أو بتوجيه منهن خاصة، بمحض علمهن بما سئلن عنه من أمور مختلفة.

وفيما يلي التفصيل:

أولا: فيما يتعلق بنقل أقوال الرسول – صلى الله عليه وسلم–:

أولا: في الوضوء:

كقول السيدة أم حبيبة – رضي الله تعالى عنها–، قال النبي – صلى الله عليه وسلم–: **(مامن عبد مسلم توضأ، فأسبغ الوضوء، ثم صلى لله كل يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة، تطوعا غير فريضة، إلا بنى الله له بيتا في الجنة، أوبني له بيت في الجنة).**[1]

ثانيا: في صلاة الجمعة:

كقول السيدة حفصة – رضي الله تعالى عنها– قال النبي – صلى الله عليه وسلم–: **(على كل محتلم رواح الجمعة، وعلى كل رواح الجمعة الغسل).**[2]

---

١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ١٥، فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن ، رقم الحديث: ٧٢٨ ، ج٦ ص٨

٢) سنن أبي داوود ، كتاب الطهارة، باب ١٢٩، في الغسل يوم الجمعة، الحديث: ٣٤٢، ج١ ص١٤٧، وقال الألباني، حديث صحيح، انظر صحيح أبي داوود، ج١ ص٧٠

ثالثا: في الصلاة في المسجد النبوي:

كقول السيدة ميمونة – رضي الله تعالى عنها-: (**سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يقول: (الصلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الكعبة).**[1]

رابعا: في الحداد وعدة المتوفي عنها زوجها:

كقول السيدة زينب بنت جحش – رضي الله تعالى عنها-، قال النبي – صلى الله عليه وسلم-: **(لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحدّ فوق ثلاث ليال، إلا على زوج، أربعة أشهر وعشرا).**[2]

خامسا: في الحديث عن الأرض وثمارها:

كقول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، قال النبي – صلى الله عليه وسلم-: **(لا تبيعوا ثماركم حتى يبدو صلاحها، وتنجو من العاهة).**[3]

وهذه الأمثلة، إشارات سريعة، تشير إلى عنايتهن – رضوان الله تعالى عنهن-، بنقل أقوال الرسول – صلى الله عليه وسلم-، حرصا منهن على تعليم الأمة الإسلامية، اللفظ النبوي الشريف، ونقل هديه، وبيان ضرورة التزام أمره – عليه الصلاة والسلام-، في المحافظة والدقة، في نقل الكلمات النبوية الشريفة.

ثانيا: فيما يتعلق بنقل السلوكات التعليمية:

أولا: في آداب النوم:

كقول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، إذا أراد أن ينام توضأ وضوءه للصلاة).**[4]

ثانيا: في الصور والتصاليب:

كقول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- **أن النبي – صلى الله عليه وسلم-، (لم يكن يترك شيئا في بيته فيه تصاليب إلا نقضه).**[5]

---

١) مسند أحمد، ج٦، ص٣٣٤، إسناده صحيح، انظر المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين، ج١٨ ص٣٤٠

٢) فتح الباري، كتاب الطلاق، باب ٤٦، تحد المتوفى عنها أربعة أشهر وعشرة، رقم الحديث: ٥٣٣٥ ، ج١٠ ص ٦٠٧، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الطلاق، باب ٩، وجوب الإحداد في عدة الوفاة، رقم الحديث: ١٤٨٧ ج ١٠ ص٩٢

٣) مسند أحمد ج٦ ، ص ٧٠، إسناده صحيح. انظر المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين، ج١٧ ص٣٢٢

٤) المرجع نفسه ج٦ ص٣٦،٨٥، وإسناده صحيح، انظر المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين، ج١٧ ص٢٢٦

٥) فتح الباري، كتاب اللباس، باب٩٠، نقض الصور، رقم الحديث٥٩٥٢، ج١١ ص٥٨٣

ثالثا: في صفة قراءة القرآن:

كقول السيدة حفصة – رضي الله تعالى عنها-، عندما سئلت عن قراءة رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فقالت: (إنكم لا تطيقونها. قالت: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم. . . تعني الترتيل).[1]

رابعا: في الصلاة:

كقول السيدة حفصة – رضي الله تعالى عنها-: (أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، كان إذا سكت المؤذن من الأذان بالصبح، وبدأ الصبح، صلى ركعتين خفيفتين قبل أن تقام الصلاة).[2]

خامسا: في صيام يوم الجمعة:

كقول السيدة جويرية – رضي الله تعالى عنها-: (أن النبي – صلى الله عليه وسلم-، دخل عليها يوم الجمعة، وهي صائمة، فقال لها: (أصمت أمس؟) قالت: لا، قال: (تريدين أن تصومين غدا؟)، قالت: لا، قال: (فأفطري).[3]

وهذه الأمثلة غيض من فيض، تم سوقها للإشارة إلى المهمة التعليمية التي تولتها أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- في الجانب العملي السلوكي، الصادر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-.

ثالثا: فيما يتعلق بالاستفسارات المختلفة:

وردت استفساراتهن المختلفة – رضوان الله تعالى عنهن- التي وجهنها للرسول – صلى الله عليه وسلم- للإستيضاح؛ فكانت تلك الاستفسارات مواعظ للمسلمين ودروسا طيبة، نتج عنها توافر ذخيرة علمية، تكررت الحاجة إليها بمرور الزمان.

---

١) مسند أحمد، ج٦ ، ص٢٨٦، وإسناده صحيح، انظر المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين، ج١٨ ص٢٢٧
٢) المرجع نفسه، ج٦، ص٢٨٤، إسناده صحيح، المرجع نفسه، ج١٨، ص٢٢٢
٣) فتح الباري، كتاب الصوم، باب٦٣، صوم يوم الجمعة ، الحديث١٩٨٦ ، ج٤ ص٧٥٥

ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

أولا: الاستفسار عما يتعلق بالحج والعمرة:

كقول السيدة حفصة – رضي الله تعالى عنها-: (أن النبي – صلى الله عليه وسلم- أمر أزواجه أن يحللن عام حجة الوداع، فقالت له فلانه: فما يمنعك أن تحل؟ فقال: إني لبّدتُ رأسي، وقلّدت هديي، فلست أحل حتى أنحر هديي).[1]

ثانيا: الاستفسار عما يعين على الصبر:

كقول السيدة أم سلمة – رضي الله تعالى عنها-: (لما مات أبو سلمة أتيت النبي – صلى الله عليه وسلم-، فقلت: يا رسول الله، إن أبا سلمة قد مات، فقال قولي: (اللهم اغفر لي وله، وأعقبني منه عقبى حسنة)، قالت أم سلمة: فأعقبني الله – عز وجل- من هو خير لي منه محمدا – صلى الله عليه وسلم-).[2]

ثالثا:الاستفسار عن الالتفات في الصلاة:

كقول السيدة عائشة: (سألت النبي – صلى الله عليه وسلم- عن الالتفات في الصلاة، فقال: (هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد)[3]

رابعا: الاستفسار عن الهبة:

كقول السيدة ميمونة – رضي الله تعالى عنها-، للرسول – صلى الله عليه وسلم-، بعد أن أعتقت وليدة، ولم تستأذن النبي – صلى الله عليه وسلم-، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه، قالت: (أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي؟ قال: أو فعلتِ؟ قالت: نعم، قال: أما إنك لو أعطيتها أخوالك، كان أعظم لأجرك).[4]

وفي تلك الاستفسارات، إشارات توضح عنايتهن – رضوان الله تعالى عنهن- بالتعرف إلى كثير من الأمور المتعلقة بالدين والحياة. مما كان له الأثر الطيب في إيضاحها والتوجيه إليها.

---

١) مسند أحمد، ج٦ ص٢٨٥، وإسناده صحيح، انظر المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين، ج١٨ ص٢٢٣

٢) المرجع نفسه، ج٦، ص٢٩١، وإسناده صحيح، المرجع نفسه، ج١٨، ص٢٤١

٣) فتح الباري، كتاب الأذان، باب (٩٣)، الإلتفات في الصلاة، رقم الحديث ٧٥١ ، رقم الحديث ٣٢٩١ ج٢ ص ٤٧٦

٤) فتح الباري، كتاب الهبة وفضلها، باب ١٥، هبة المرأة لغير زوجها، رقم الحديث ٢٥٩٢ ج٥ ص٥٣٥

رابعا: فيما يتعلق بالتوجيهات والتوعية العلمية:

عملت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن على التوجيه والتوعية العلمية، من خلال المواعظ التي أهدينها المسلمين مما سمعنه من رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فذكّرن به، أو مما حواه علمهن، فدعون إليه. سواء في ذلك، التوعية التي كنّ – رضوان الله تعالى عنهن- يبدأن بها، أو التوعية التي كان يستدعيها سؤال المسلمين لهن، واستفسارهم منهن. وفيما يلي بعض الأمثلة:

أولا: الحث على المداومة على العمل:

كقول السيدة أم سلمة – رضي الله تعالى عنها-: (ما مات النبي – صلى الله عليه وسلم- حتى كان أكثر صلاته قاعدا غير الفريضة، وكان أحب العمل إليه أدومه، وإن قلّ).[1]

ثانيا: الحث على التمهل في تناول الطعام الحار:

كقول السيدة جويرية – رضي الله تعالى عنها-: (كان النبي – صلى الله عليه وسلم-، يكره أن يؤكل اللحم حتى يذهب فورة دخانه).[2]

ثالثا: الحث على الدعاء قبل النوم:

كقول السيدة حفصة – رضي الله تعالى عنها-: (كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، إذا أوى إلى فراشه، وضع يده اليمنى تحت خده، وقال: اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك، – ثلاثا-).[3]

رابعا: الحث على استخدام السواك:

كقول السيدة أم حبيبة – رضي الله تعالى عنها-: (سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، يقول: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة كما يتوضؤون).[4]

---

١) مسند أحمد، ج٦ ص٣٢٢، إسناده صحيح، انظر المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين، ج١٨ ص٣٠٤

٢) الطبراني: المعجم الكبير، ج٢٤ ص٦٦، الحديث١٧٢، وفيه راو لم يسم، وبقية إسناده حسن.

٣) مسند أحمد، ج٦، ص٢٨٧، إسناده صحيح، انظر المسند للإمام أحمد شرح حمزة الزين، ج١٨ ص٢٣٠

٤) مسند أحمد،ج ٦، ص ٣٢٥، إسناده صحيح، المرجع نفسه، ج١٨، ص٣١٩

خامسا: الحث على المحافظة على الصلاة:

كقول السيدة أم سلمة – رضي الله تعالى عنها-: **(كان من آخر وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، : الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم، حتى جعل نبي الله – صلى الله عليه وسلم-، يلجلجها في صدره وما يغيض بها لسانه).**[1]

سادسا: التوعية إلى طريقة اغتسال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-:

كقول السيدة ميمونة – رضي الله تعالى عنها-: **(صببت للنبي – صلى الله عليه وسلم- غسلا، فأفرغ بيمينه على يساره، ثم غسل فرجه، ثم قال بيده الأرض فمسحها بالتراب، ثم غسلها ثم تمضمض واستنشق، ثم غسل وجهه وأفاض على رأسه، ثم تنحى فغسل قدميه، ثم أتي بمنديل فلم ينفض بها).**[2]

وكل ما سبق؛ إنما هو إشارات ترشد إلى المهمة التعليمية التي عنيت بها أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، تجاه أمة محمد – صلى الله عليه وسلم-. وكان ذلك بالتبليغ، والوعظ، والشرح، والإرشاد، بالإيجاز تارة، وبالتفصيل تارة أخرى.

ولم تقتصر تلك المهمة على ما سبق ذكره من أساليب؛ حيث تعدين ذلك إلى استدراك ما كان يقع الصحابة فيه من سوء فهم، أو ما كان يلتبس عليهم أمره في الإفتاء في بعض الأمور.

وقد تولت جلّ ذلك، السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-؛ فقد جمع لها الزركشي استدراكاتها على بعض الصحابة.

وقال في مقدمته: **(هذا كتاب أجمع فيه ما تفردت به الصديقة – رضي الله عنها- أو خالفت فيه سواها برأي منها، أو كان عندها فيه سنة بينة، أو زيادة علم متقنة، أو أنكرت فيه على علماء زمانها، أو رجع فيه إليها أجلّة من أعيان أوانها، أو حررته من فتوى، أو اجتهدت فيه من رأي رأته أقوى).**[3]

ومن تلك الاستدراكات؛ ما كان منها تجاه قول ابن عمر – رضي الله تعالى عنهما-، فقد ورد في الصحيحين أن ابن عمر قال: **(ما أحب أن أصبح محرما، أنضخ[4] طيبا، لأن أطلى بقطران، أحب إلي من أن أفعل ذلك)**، فلما أخبرت – رضي الله تعالى عنها- بذلك؛ قالت: **(أنا طيبت رسول**

---

١) مسند أحمد، ٦/٢٩٠، وإسناده صحيح، المسند بشرح حمزة الزين ج١٨ ص٢٣٦

٢) فتح الباري، كتاب الغسل، باب ٧، المضمضة والاستنشاق في الجنابة، رقم الحديث ٢٥٩، ج١ ص٤٩٥، وورد عند مسلم بلفظ آخر في كتاب الحيض، باب ١٠، القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، رقم٣١٩، ج٤ ص٤

٣) بدر الدين الزركشي: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، ص٣٥

٤) أنضخ: النضخ؛ كاللطخ مما يبقى له أثر، ونضخ ثوبه بالطيب. وقيل: النضخ: الأثر يبقى في الثوب وغيره. انظر لسان العرب، ج٣، ص٦٢

الله – صلى الله عليه وسلم- عند إحرامه، ثم طاف في نسائه، ثم أصبح محرما)، وفي لفظ البخاري: (يرحم الله أبا عبد الرحمن، كنت أطيب رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فيطوف على نسائه، ثم يصبح محرما ينضخ طيبا).[1]، [2]

وكذلك استدراكها على عروة بن الزبير – رضي الله تعالى عنهما-؛ عندما قال لها: (ما أرى على أحد لم يطف بين الصفا والمروة شيئا، وما أبالي ألا أطوف بينهما)، قالت: (بئس ما قلت يا ابن أختي، طاف رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وطاف المسلمون، فكانت سنة، وإنما كان من أهَلّ لمناة الطاغية التي بالمشلّل،[3] لا يطوفون بين الصفا والمروة، فلما كان الإسلام سألنا النبي – صلى الله عليه وسلم- عن ذلك، فأنزل الله – عز وجل- : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾،[4] ولو كانت كما تقول لكانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما).[5]، [6]

كما جمع لها باحث فاضل[7] تفسير مجموعة من الآيات القرآنية، وذكر في كتابه الأسس التي قام تفسير السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، عليها، وأشار إلى الأساليب التربوية التي اتبعتها في تعليمها؛ فذكر أسلوب الإقناع العقلي، والأسلوب العملي، والحوار الهادئ الجاد، وأسلوب الاستفهام الإنكاري. مما يشير إلى أنها – رضي الله تعالى عنها-، قد تمتعت بعلم طيب مبارك فيه.

ومن الشواهد التي ساقها في تفسير السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، في قوله – تعالى-: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾.[8]

---

١) فتح الباري، كتاب الغسل، باب (١٢)، إذا جامع ثم عاد، رقم الحديث: ٢٦٧، ج١ ص ٥٠١، وصحيح مسلم، بشرح النووي، كتاب الحج، باب (٧)، الطيب للمحرم عند الإحرام ، رقم الحديث: ١١٩٢ ج٨ ص٨٣

٢) المرجع نفسه، ص١١٣

٣) المشلل: جبل يُهبط منه إلى قديد من ناحية البحر. انظر معجم البلدان للحموي: ج٥ ، ص١٣٦

٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٨

٥) فتح الباري، كتاب العمرة، باب (١٠)، يفعل في العمرة ما يفعل في الحج، رقم الحديث: ١٧٩٠، ج٤ ص٤٥٣، وصحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الحج، باب (٤٣)، بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن، رقم الحديث: ١٢٧٧، ج٩ ص١٨

٦) بدر الدين الزركشي: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، ص١٥٣

٧) هو الدكتور عبد الله أبو السعود بدر، وكتابه بعنوان تفسير أم المؤمنين عائشة – رضي الله تعالى عنها-، كلية التربية بالفيوم، جامعة القاهرة.

٨) سورة المؤمنون، الآيات: ٥-٧

أن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة[1] قال: (سألت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: عن متعة النساء، فقالت: "بيني وبينكم كتاب الله" قال: وقرأت هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[2،3]

وكل ذلك يرشد إلى العلم الذي تمتعت به – رضوان الله تعالى عنها –؛ وصدق عروة ابن الزبير عندما قال: (ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن، ولا بفرائضه، ولا بحلال ولا بحرام، ولا بشعر، ولا بحديث العرب، ولا بنسب من عائشة – رضي الله تعالى عنها).[4]

---

١) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، واسمه زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي. كان قاضيا لعبد الله بن الزبير، ومؤذنا له. قال عنه أبو زرعة وأبو حاتم في الجرح والتعديل: (٥، الترجمة: ٤٦١): أنه ثقة. روى له الجماعة. تهذيب الكمال، ج١٥ ، ص٢٥٦ .

٢) الحاكم: المستدرك، ج٢، ص ٣٩٣ ، قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

٣) عبد الله أبو السعود بدر: تفسير أم المؤمنين ، عائشة – رضي الله عنها –، ص٢٠٢

٤) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٢، ص٣٢

المبحث الرابع
الجانب التربوي الوقائي

المطلب الأول: تمثل التقوى في خلق أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن

المطلب الثاني: تحري التقوى في خلق المسلمين وحثهم عليه

تطلق كلمة الوقاية؛ ويراد بها الصيانة من الأذى وطلب الحماية،[1] ويقال توقيت الشيء: أي حذرته، ويقال: رجل تقي: أي موقّ نفسه من العذاب والمعاصي، بالعمل الصالح.[2]

وعليه يتضح أن الوقاية والتوقي؛ أسلوب يبتغي الإنسان به الحذر من كل ما من شأنه أن يُلحق به الأذى، وذلك يعني أن أساليب الوقاية تتنوع بتنوع ما يتم الحذر منه؛ فالتوقي من المحرمات والذنوب والمعاصي؛ يتطلب أسلوب الاجتناب، والابتعاد عنها، والتوقي من المرض؛ يتطلب استمرار العناية الصحية، وتوخي أسبابها، والتوقي من الظلم؛ يتطلب اتباع الحق والعدل، واجتناب الاعتداء والبغي.

ومن ذلك تقوى الله – عز جل–، وهي ما يدفع المسلم إلى أن يضع بينه وبين معصية الله – تعالى– حجابا وحاجزا، يحمله على طاعة الخالق – جل وعلا–، واتباع هديه.

وقد اتضح مفهومها من خلال القرآن الكريم؛ حيث وردت الإشارة إلى تعريف التقوى ببيان حال المتقين؛ وذلك في عدة مواطن؛ منها قوله – تعالى–: ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[3]

وهذا التعريف يوضح " أن التقوى، إيمان، يدخل فيه التصديق بالغيوب والصلاة والإنفاق، ثم اتباع كتاب. وأن الإنسان لا يكون من المتقين إلا بجمع هذين الجانبين".[4]

كما يوضح أن التقوى تعني الاستسلام لله – عز وجل–؛ والاستسلام له – سبحانه– يحقق الاسلام الذي يطالب الخالق – سبحانه– به عباده.

وذلك ما يفسر سبب قيام الدولة الإسلامية على أساس متين في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم–؛ حيث كان تقوى الله – عز وجل–، هو الضوء الذي ساروا في هديه، واسترشدوا به في طريق تأسيس الإسلام في النفوس، فكان ذلك العمل هو المنطلق الذي تأسس الإسلام عليه في شتى مجالات حياتهم.

وقد كان ذلك البناء – بفضل من الله تعالى، ثم بجهد عظيم من رسوله – عليه الصلاة والسلام–؛ فقد عمل – صلى الله عليه وسلم–، على غرس التقوى في النفوس، وداوم على تعزيزها، والنهوض بها.

---

١) المعجم الوسيط ، ص ١٠٥٢ ، بتصرف يسير.
٢) ابن منظور: لسان العرب، ج١٥ ، ص ٣٧٨
٣) سورة البقرة، الآيات: ١– ٥
٤) سعيد حوى: جند الله ثقافة وأخلاقا، ص ٢٦٧

وقد نالت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- نصيبا كبيرا من تلك العناية، مما غرس التقوى في نفوسهن، ودفعهن إلى التحلي بها، وإرشاد المسلمين إليها، إلى أن توفاهن الخالق – جل وعلا-.

وبذلك كن – رضوان الله تعالى عنهن-، قدوة للمسلمين والمسلمات في تقوى الله – عز وجل-، ومراقبته في جميع الأقوال والأفعال؛ لما شرح الخالق – سبحانه-، به صدورهن من اليقين التام باطلاعه على أحوال عباده في جميع الأوقات، ولما تحلين به من خشية لله – سبحانه-، وابتغاء مرضاته؛ لذا كنّ يحرصن على ذلك، ويذكّرن الآخرين به، ويبذلن جهدهن في الحض عليه.

وفي هذا المبحث تم إيراد بعض المواقف التي تشير إلى ذلك التحلي والإرشاد، وما يمكن استخلاصه منه، من دروس تربوية فاعلة، يمكن الاسترشاد بها، والارتواء من هديها.

المطلب الأول: تمثّل التقوى في خلق أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن–

كانت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن– أسوة حسنة في تقوى الله – عز وجل– وقد برز بعض ذلك في المواقف الآتية:

أولا:

موقف السيدة عائشة، فيما ذكرته عن حادثة الإفك؛ ففي طريق العودة من غزوة بني المصطلق، نزلت – رضي الله تعالى عنها–، من هودجها لقضاء حاجتها، فانسلت قلادتها، فأخذت تبحث عنها، مما جعلها تتأخر في العودة، وفي تلك الأثناء أذن مؤذن الرسول – صلى الله عليه وسلم– بالرحيل؛ فحُمل هودجها، دون الشعور بعدم وجودها بداخله، فرحل القوم، وبقيت السيدة عائشة، ولم تشعر برحيلهم إلا بعد عودتها إلى المكان الذي كانت فيه، فعلمت أنهم سيفتقدونها، ويعودون، ولكن لم يشعر بها أحد، إلى أن مرّ عليها أحد الصحابة – وهو صفوان بن المعطل، رضوان الله تعالى عنه–.

وفي ذلك تقول: (**وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه**[1] **حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه. .**).[2]

هذه الرواية تشير إلى **تطبيقين عمليين تربويين، صدر أحدهما من السيدة عائشة، وصدر الآخر من صفوان بن المعطل – رضوان الله تعالى عنهما–.**

نستشف الأول من قولها –: (فخمرت وجهي بجلبابي)، وهو تطبيق يبرز الإيمان الدافع إلى الالتزام، وذلك الالتزام يشير إلى التقوى النابعة من الإيمان؛ فإيمانها – رضي الله تعالى عنها–؛ أوقظ في نفسها قوله – تعالى–: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[3]. فاتخذت على وجه السرعة الإجراء اللازم، الذي تفرضه تلك الآية. مما يدل على أن الإيمان، واليقظة الإيمانية؛ دفعتها إلى اتباع السلوك الوقائي، وهو تغطية وجهها بجلبابها. وفي هذا الفعل تتجلى طاعة الله – تعالى–، فيما أمر به، ويتجلى الحذر والوقاية من سخطه وعقابه، وذلك باجتناب ما نهى عنه.

---

١) أي قوله : إنا لله وإنا إليه راجعون.

٢) فتح الباري: كتاب التفسير، باب ٦، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون. . ، رقم الحديث: ٤٧٥٠، ج٩ ص ٣٨٥ وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب التوبة، باب ١٠، في حديث الإفك، رقم الحديث: ٢٧٧٠ ج١٧ ص٨٧

٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩

وهنا تبرز التربية الوقائية؛ حيث تدعو، - بذلك- بنات جنسها إلى اتخاذ ذلك الموقف عندما تتعرض إحداهن لمثل ما تعرضت هي له؛ فتواجد غير المحرم في المكان الذي توجد فيه المرأة، يدفعها إلى إسدال الغطاء على وجهها، لما في هذا السلوك من صيانة تتحراه كل من ترغب في ذلك.

وعلى الرغم من كون تغطية الوجه أمر اختُصت به أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، أثناء خروجهن لحاجتهن، إلا أن فيه من الحشمة ما يشبع حاجة المرأة إلى الشعور باحترام وتوقير الآخرين.

أما التطبيق الوقائي الثاني؛ فيتضح من قولها: **(والله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه)**، وفي هذا السلوك، ما يشير إلى ضرورة توقي ما من شأنه أن يكون سببا في الوقوع فيما نهى عنه الخالق – جل وعلا-، وهو اختراق الحرمة الضابطة لعلاقة الرجل بالأنثى، وما يدعو إليه ذلك من أعمال فاحشة قد يهوّنها ذلك الاختراق. ولم يكن هذا الأمر مما يتخوف منه في سلوك السيدة عائشة أو صفوان بن المعطل – رضوان الله تعالى عنهما-، فقد كانا في مستوى من الإيمان والخلق ما يجلهما عن ذلك إجلالا كبيرا؛ ولكن ذلك الإيمان والخلق نفسه، كان هو الدافع الذي دفع بصفوان إلى تحري التقوى، واجتناب الحديث معها – رضي الله تعالى عنهما-.

وفي هذا الموقف ما يرشد إلى ضرورة اجتناب ما لا يلزم من الحديث، بين الرجل والمرأة، والاقتصار على ما تدعو إليه الضرورة.

إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة أن يجتنب المسلم والمسلمة تبادل الحديث، فيما قد يعود بالفائدة عليهما؛ فعلى الرغم من وجود " قدر من الميل والأنس والاستراحة للحديث والكلام؛ يحدث عادة بصورة عفوية نتيجة لقاء الرجل المرأة، أي أنه يحدث دون قصد، لأنه أمر فطري ابتلى الله به بني الإنسان، فإذا لم يسترسل كل منهما في مشاعر الميل والأنس، وشغلهما الأمر الجاد الذي التقيا من أجله، عندئذ فلا حرج على المؤمن والمؤمنة، ولكن عليهما ضبط مشاعرهما، وتوجيه اهتمامهما إلى تحقيق الهدف من المشاركة واللقاء"[1]

ومن تلك الحادثة – أيضا- برز تطبيق وقائي آخر، تمثلته السيدة زينب بنت جحش – رضي الله تعالى عنها-؛ وهو ما ترويه السيدة عائشة عنها، قائلة: **(وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، يسأل زينب ابنة جحش عن أمري، فقال: (يا زينب، ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يارسول الله، أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيرا)، قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك)**،[2] وهذه الرواية دليل ساطع على أن تقوى أمهات المؤمنين، قد فاق جميع الاهتمامات

---

١) عبد الحليم أبو شقة: تحرير المرأة في عصر الرسالة، ج٣ ص٥٤

٢) فتح الباري، كتاب التفسير، باب ٦، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون . . رقم الحديث: ٤٧٥٠ ج٩ ص ٣٨٥

عندهن، وتشهد بذلك السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-؛ فقد حظيت السيدة زينب بمنزلة طيبة عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وعلمت السيدة عائشة بتلك المنزلة، فشهدت بها، ولكن لم تكن تلك المنزلة لتدفعها إلى استغلال مكانتها، والتقليل من شأن ضرتها، واتهامها بما لا يليق؛ فقد كانت – رضوان الله تعالى عنها-، تقية ورعة، تحذر عقاب الله – تعالى- وتخشى عذابه؛ وذلك واضح في قولها: **(أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيرا)**. وتلك هي التقوى الواقية مما ما يحذره الإنسان ويخافه، وهي الستر والحجاب الذي يأخذ بيد الإنسان إلى النجاة. وهي الحقيقة التي تدعو أم المؤمنين، السيدة زينب بنت جحش – رضوان الله تعالى عنها-، إليها؛ فهي ضرورة بالغة، تُوَقّ الإنسان كل ما من شأنه أن يكون سببا في العذاب والشقاء.

فاللسان هو بريد السمع والبصر، فتارة يوفّي لهما، وتارة يخونهما؛ حيث يسترسل الإنسان – أحيانا- في الحديث؛ فيذكر الآخرين؛ وقد يطغى فيتهمهم بالباطل، فيقع في المحذور؛ فالحمد لله الذي حرّم الغيبة؛ فقال: ﴿ وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ﴾، وحرّم القذف، فقال: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.[1]

إذن فليتق المؤمن ربه، وليتجنب قذف الآخرين؛ ليحذر الجلد، ورد الشهادة، والوسم بالفسق.

وفي الحقيقة "أن في إجابة السيدة زينب لرسول الله – صلى الله عليه وسلم-، درسا بليغا، ينبغي أن تعيه المسلمات اليوم في حياتهن الاجتماعية، ففي بيوتاتنا حيف كبير وخلل عظيم تمارسه كثير من النسوة، وقد أحست السيدة عائشة بأن في موقف حمنة – أخت السيدة زينب-، متابعة لهذا الحيف والخلل؛ عبرت عنه بقولها[2]: **(وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك)، أي حدثت فيمن حدث أو أثمت مع من أثم، وجعلت تجادل لها، وتتعصب، وتحكي ما قال أهل الإفك، لتنخفض منزلة عائشة، وتعلو منزلة أختها زينب)**."[3]

فكل من السيدة زينب وحمنة – رضي الله عنهما- تمثل واقعا نشهده اليوم في سير حياتنا الاجتماعية المعاصرة؛ ففي الكفة الأولى موقف النساء غير الملتزمات المتربيات على الورع والالتزام، ومحاربة النفس الأمارة بالسوء، اللواتي قد يشهد بما لم يرين، ويُقررن بما لم يعرفن، فتكون الفوضى في حساب الأمور، فيظلم فريق كبير من جراء شهوة الكلام، وشهادة الزور، فتحدث الشحناء، والبغضاء، وقد يقع طلاق بين الرجل وزوجته، أو الهجران الطويل، وتلوح بالأفق الأحقاد والأقاويل.

---

1) سورة الحجرات، جزء من الآية ١٢

٢) سورة النور، الآية: ٤

٣) أمينة عمر الخراط: أم المؤمنين زينب، الصالحة العابدة أم المساكين، ص٤٦

٤) فتح الباري، ج ٨ ، ص٣٣٦

وفي الكفة الثانية يبرز موقف النساء العاقلات اللواتي استوعبن النصوص الشرعية، ونقلنها من دائرة الاستماع إلى دائرة الفعل والتطبيق، فهؤلاء لا يشهدن إلا بما عرفن، ولا يظهرن بمظهر ذات الوجهين، ولا يحكمن إلا على مارأينه، ولا يتتبعن الأعراض.[1]

وفي ضرورة تلك العدالة يقول الخالق – سبحانه- : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.[2]

ويقول الرسول – صلى الله عليه وسلم-: **(لا تؤذوا عباد الله، ولا تُعَيّروهم ولا تطلبوا عوراتهم، فإنه من تطلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته، حتى يفضحه في بيته)**.[3]

<u>ثانيا:</u>

موقف السيدة صفية، في محاولتها إعانة سيدنا عثمان بن عفان – رضي الله تعالى عنه- في محنته.

حاولت – رضوان الله تعالى عنها- أن تعمل على إخماد الفتنة عندما حوصر عثمان بن عفان، وظنت أنها لو خرجت للناس، وعرفوا من هي لتذكروا أمومتها لهم، وانصرفوا عن الحصار.[4]

يقول مولاها كنانة: **(كنت أقود بصفية لترد عن عثمان، فلقيها الأشتر،[5] فضرب وجه بغلتها، حتى مالت، فقالت: ردوني لا يفضحني هذا)**.[6]

وفي هذا الموقف ما يشير إلى السماحة التي تحلت السيدة صفية بها، مما دفعها إلى تحري الحق، ومحاولة الإسهام في إثباته، ولكن سعيها، لتحقيق ذلك لم يكن لينسيها أنها امرأة، وأنها زوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وما يفرضه ذلك عليها من توخي الستر، ولزوم الحياء؛ لذا سارعت بعد السلوك الذي صدر من الأشتر إلى طلب العودة، والانتهاء عما سعت إليه، لا للتراجع عن الحق؛ ولكن لإيضاح الموقف الصحيح، واللازم اتخاذه في مثل تلك الظروف.

فإسهام المرأة في عمل الخير؛ لا يعني التطاول، ونسيان الحقيقة، وتجاوز القدرات الأنثوية؛ لبلوغ ما فوقها من قدرات ليست من طبعها. وتقوى الله – تعالى- حينئذ، هو الفاصل في القضية؛ حيث ينبغي

---

١) أمينة عمر الخراط: أم المؤمنين زينب، ص ٤٦، بتصرف يسير.
٢) سورة المائدة، الآية: ٨
٣) رواه أحمد، ج ٥، ص٢٧٩ ، وإسناده صحيح. انظر المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين، ج١٦ ص ٢٩٧.
٤) عبد الصبور شاهين: موسوعة أمهات المؤمنين، ص١٧١ ، بتصرف.
٥) الأشتر: هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي الكوفي، روى عن عمر بن الخطاب، وعن علي بن أبي طالب وغيره، أدرك الجاهلية، كان من أصحاب علي ، شهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها، روي أنه لما مات، نعاه علي إلى قومه وأثنى عليه ثناء حسنا، مات بعد سنة ٣٧ هجرية، انظر تهذيب الكمال، ج٢٧، ص١٢٦
٦) ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص١٢٨

للمرأة أن تعمل على إثبات الحق، على قدر استطاعتها، فإن تجاوز الأمر تلك القدرة والاستطاعة، وتطلب الخروج عن الحد المسموح به لها؛ فعليها حينئذ أن تتراجع لئلا تعرض نفسها لما لا يرضاه لها دينها، وقيمها، وهنا تتحقق الوقاية والأمان.

ثالثا: ماورد عن موقف السيدة أم سلمة – رضي الله تعالى عنها–، عندما خرجت هي وصفية بنت حيي ابن أخطب مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، في سفر له. **(فأقبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إلى هودج صفية وهو يظن أنه هودج أم سلمة، وكان ذلك اليوم يوم أم سلمة، فجعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يتحدث مع صفية، فغارت أم سلمة، وعلم رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، بعدُ أنها صفية، فجاء إلى أم سلمة، فقالت: تتحدث مع ابنة اليهودي في يومي وأنت رسول الله؟ . . قالت: ثم ندمت على تلك المقالة. . فكانت تستغفر منها. قالت: يارسول الله، استغفر لي، فإني حملني على هذا الغيرة).**[1]

وهذه الصورة توضح أن تقوى الله – عز وجل–، ومراقبته – جل شأنه– في جميع الأحوال والظروف، أمر من الأمور التي تنقي علاقة الإنسان بخالقه، وتصفيها مما يشوبها من الذنوب والآثام؛ فيرتقي حينها إلى إستشعار كل ما قد يعتريه في حياته من تقصير، أو إساءة للغير، أو ارتكاب خطأ. فيلجأ حينئذ إلى الندم، والاستغفار، وطلب التوبة.

وهي ميزة العبد الصالح التقي الذي يحبه الخالق – جل وعلا–، لقوله – سبحانه–: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2]، ولقول الرسول – صلى الله عليه وسلم–: **(والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله، فيغفر لهم)**[3]

ولم تكن تلك الميزة بمنأى عن أمهات المؤمنين، اللواتي طهرهن الخالق – جل وعلا–، وجعلهن قدوة للناس في أقوالهن وأفعالهن، ولم يكن ذلك الخطأ نقصا مشينا، ولكنه درس وتربية، للنهوض بالنفوس البشرية التي جعلها الخالق – سبحانه–، بين مد وجزر في السمو إلى الكمال تارة، وفي الجنوح إلى النقص تارة أخرى.

وليس الخطأ هو آخر المطاف؛ ولكن هناك محل رفيع، يحظى به الكيِّس الفطن، الذي يعلم أنه بلجوئه إلى خالقه، وتضرعه في طلب التوبة والمغفرة، يرتقي إلى منازل طيبة من الرضوان والتوفيق، والهداية.

ولعل الحال الذي أصبح المسلمون عليه في العصر الحاضر، من تقصير، وعدم مبالاة في ارتكاب الذنوب، بل والتمادي فيها دون استشعار لخطورتها، ودون إحساس بضرورة الرجوع والتوبة،

---

١) ابن سعد: الطبقات ج٨ ، ص٩٥

٢) سورة البقرة، جزء من الآية:٢٢٢

٣) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب التوبة، باب ٢، سقوط الذنوب بالاستغفار، رقم الحديث: ٢٧٤٩ ، ج ١٧ ص٥٨

يوضح التقصير الحاصل في تنمية علاقة الإنسان بخالقه، وضعف الاستشعار بضرورة الدوام على الاستغفار.

لذا فإنه من الضرورة بمكان، التنويه إلى أهمية الاستغفار في حياة البشر؛ فالاستغفار سبيل الرقي بالروح، وسبيل النجاح في الحياة، وإن طغى الإنسان، وعصى واستكبر؛ فكل ذلك داء يعالج بالدوام على الاستغفار؛ فقد جعله الخالق – جل وعلا–، سلاحا، يتسلح به المسلم في حياته، ويتزود به في حربه مع أشد أعدائه وهو إبليس، – نعوذ بالله منه–.

رابعا:

موقف السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، الذي ترويه قائلة: **كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، إذا خرج، أقرع بين نسائه، فطارت القرعة على عائشة وحفصة، فخرجنا معه جميعا، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم–إذا كان بالليل، سار مع عائشة يتحدث معها، فقالت حفصة لعائشة، ألا تركبين الليلة بعيري، وأركب بعيرك، تنظرين وأنظر؟ قالت: بلى، فركبت عائشة على بعير حفصة، فجاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلم، ثم سارمعها حتى نزلوا، فافتقدته عائشة، فغارت، فلما نزلوا جعلت تجعل رجليها بين الإذخر، وتقول: يا رب سلط عليّ عقربا، أو حية، تلدغني؛ رسولك، ولا أستطيع أن أقول له شيئا).**[1]

وهنا تلتقي مشاعر المحبة والغيرة، وتكاد تأخذ باللب والبصيرة، إلا أن تقوى الله – عز وجل–، تتصدى لها فتحكمها وتضبط سيرها. وهو ما تعلنه السيدة عائشة – رضوان الله تعالى عنها–، بعجزها عن مواجهة الرسول – صلى الله عليه وسلم– بتلك الغيرة، لعلمها بعدم أحقيتها في الاعتراض عليه، لذا اندفعت إلى الحل الذي تراه هو الأسلم؛ فجريان سم العقرب أو الحية في الجسد أهون من عقـــاب الله – تعالى–. وفي هذا الموقف ما يشير إلى أثر التقوى في التوجيه الداخلي الذي يأخذ بيد الإنسان، ويسمو بسلوكه إلى التعقل ومداراة الآخرين، وما لذلك من أثر في العلاقة الزوجية، حيث يسود الاحترام، والتجاوز عما يصدر من أحد الزوجين، مما يؤدي إلى أن تستقيم الحياة، وتصفو من المنغصات والمكدرات.

وكل ما سبق، يوضح ما تمتعت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن– به من خلق التقوى، وكيف كان أثره في استقامتهن، وحسن خلقهن، وما عاد به ذلك عليهن وعلى غيرهن من المسلمين من خير ورضوان.

---

١) صحيح مسلم بشرح النووي، فضائل الصحابة، باب ١٣، في فضل عائشة ، رقم الحديث: ٢٤٤٥ ج١٥ ص١٧٥

المطلب الثاني: تحري التقوى في خلق المسلمين، وحثهم عليه

لم يقتصر تقوى أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- والتزامهن على أنفسهن؛ فقد كانت تلك التقوى دافعا لتحري ذلك الخلق لدى المسلمين، وحثهم عليه؛ وفي المواقف التربوية التالية يتضح ذلك:

أولا: أن السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، **دخل عليها نسوة، فقالت لهن: ممن أنتن؟ قلن: من أهل الشام؟ قالت: لعلكنّ من الكورة[1] التي تدخل نساؤها الحمامات؟ قلن نعم، قالت: أما إني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يقول: (مامن امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها، إلا هتكت ما بينها وبين الله – تعالى-).**[2]

وفي هذا الحديث الشريف يتضح حرص السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، على توعية النساء وتعليمهن أمرا مهما، يجب أن يتقين الله – عز وجل- فيه؛ وهو العناية بالستر والحجاب خارج البيت؛ فحرص المرأة على عدم خلع ثيابها خارج بيتها، أمر عائد إلى تقواها وإقبالها على طاعة الله – تعالى- وطاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم-. وفي ذلك يقول – سبحانه-: ﴿لاجُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.[3]

وهذه الآية تحدد الأصناف الذين يجوز للمرأة أن تبدي زينتها أمامهم، ومنهم النساء؛ ولكن لسن أي نساء، فهن النساء اللواتي يشتركن معهن في الإيمان، ويمكثن معهن للخدمة والصحبة[4].

أما غيرهن من غير المسلمات؛ كالكافرات، واليهوديات، والنصرانيات؛ فلا يجوز للمسلمة إبداء زينتها أثناء حضورهن.

وعلى المرأة أن تتوقى ما من شأنه أن يؤدي بها إلى الكشف أمامهن، ولما كان الحمام يجمع المسلمات، وغيرهن من النصرانيات واليهوديات، نهيت المرأة المسلمة عن ذلك.

---

١) الكورة : أي البلدة أو الناحية. وفي رواية لابن ماجه (من أهل حمص). عون المعبود شرح سنن أبي داود، كتاب الحمام، رقم الحديث: ٣٩٩١ ،ج١١، ص ٤٦

٢) رواه أبو داوود في كتاب (الحمام) ، رقم الحديث: ٤٠١٠، حديث صحيح: انظر صحيح سنن أبي داوود، الألباني، المجلد الثاني، ص٣٢٨.

٣) سورة الأحزاب، الآية : ٥٥

٤) محمد صديق حسن خان القنوجي:حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، ص١٥٤ ، بتصرف يسير.

لذا حذرت السيدة عائشة، تلكم النساء، ليكن قدوة لغيرهن في ضرورة تقوى الله – تعالى–، وعدم التسبب في هتك الستر الذي حمى الخالق – سبحانه وتعالى– به كل امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.

وإن في قول الرسول – صلى الله عليه وسلم–: **(مامن امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها، إلا هتكت ما بينها وبين الله – تعالى–)**، لموعظة وعبرة، وكفى بها موعظة.

ثانيا: ما ورد عن السيدة عائشة، عندما أرسلت إلى معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما–، فقالت: **(أما بعد، فإن العبد إذا عمل بمعصية الله – عز وجل– عاد حامده من الناس ذاما)**[1].

وهذه الموعظة الوجيزة، تضم في ثناياها خيرا كثيرا، حيث تحدد الضابط في علاقة الإنسان بربه، والضابط في علاقته بغيره من بني البشر.

فالإنسان الذي أنعم الخالق – سبحانه وتعالى– عليه، بنعمة الخلق والإيجاد، وأمره بالسمع والطاعة؛ قد جعل له عقلا مفكرا، يستطيع أن يميز به بين الأولويات، فيقدم الأهم ثم المهم منها. وبه يقدم الحق، ويجتنب الباطل. وبذلك تتحقق فيه التقوى، وتتحقق لديه مراقبة الله – سبحانه وتعالى–، في كل الأحوال والظروف.

وبالطبع فإن تجاهل رضا الناس، في سبيل طاعة الله – عز وجل– وابتغاء مرضاته، هو السبيل الأمثل في كسب رضاهم ومودتهم لاحقا. أما معصيته – سبحانه– في سبيل مراعاة مشاعر الآخرين، فإن ذلك هو سبيل سخطهم وذمهم له فيما بعد، وإن تحقق له في العاجل الرضا والقبول منهم.

وفي توجيه السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، ما يؤكد ذلك؛ حيث توضح أن الحمد والثناء الذي يجنيه الإنسان من الناس؛ لمسايرتهم فيما يحبون من القول أو العمل، متجاهلا في تلك المسايرة، رضا ربه أو سخطه عليه؛ يؤدي به إلى سرعان تلاشي ذلك الحمد والثناء. وليس ذلك فحسب؛ حيث يعقبه الذم والسخط؛ وذلك يتجلى في قولها: **(عاد حامده من الناس ذاما)**.

ولكن متى يكون ذلك؟ لقد حددت، ذلك بأمر يتوجب على المسلم مراعاة اجتنابه دائما، وهو المعصية، كما في قولها: **(فإن العبد إذا عمل بمعصية الله – عز وجل–)**؛ فمعصية الخالق – جل شأنه–؛ سبب من الأسباب التي تؤدي إلى دخول الإنسان في دائرة من يبغضهم الله – تعالى–، وكل من يبغضه الخالق – سبحانه–، يصبح مبغوضا بين خلقه، بينما يسعد من يرضى عنه ربه، بالرضا والاحترام والقبول.

ومما يؤكد ذلك قول الرسول – صلى الله عليه وسلم–: **(إن الله – تبارك وتعالى– إذا أحب عبدا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانا، فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل**

---

1) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٢، ص٣٢

في السماء: إن الله قد أحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض)[1].

ومن هنا تتضح خطورة التمادي في مسايرة الآخرين في معصية الله – تعالى–، ولقد بات هذا الأمر من الأمور التي لا يعيرها بعض الناس اهتمامهم، حيث أصبحوا كالببغاء التي تعيد ما تسمعه بالحرف الواحد لتبرز بذلك شخصياتهم، وليستميلوا بذلك اهتمام غيرهم، ولفت أنظارهم، مما يشعرهم بأهميتهم.

وفي الحقيقة، أن تلك الأهمية التي يفتقدها هؤلاء، تكمن في ثبات المرء على الحق، مهما كانت الظروف، ومهما واجه من المصاعب والمشاق، حيث أن صبر الإنسان وتحمله لجهل غيره من الناس، الذين لا يبالون بمعصية الله – عز وجل–، وتفرده بالثبات على اجتناب تلك المعصية، ومخالفتهم؛ كل ذلك هو السبيل الذي يجني به رضاهم واحترامهم ومودتهم لاحقا.

ثالثا: ما ورد عن السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها– في الحث على التقليل من الذنوب؛ وذلك في قولها: **(إنكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب، فمن سرّه أن يسبق الدائب المجتهد، فليكفّ نفسه عن كثرة الذنوب)**.[2]

إن الحرص على التقليل من الذنوب، أمر عائد إلى خوف الإنسان من ربه – عز جل–، وشدة تقواه، وحبه في التطهر الدائم منها. وهذه الميزة تشير إلى الإيمان الصادق الذي يسكن في قلب المرء، فيسمو به وينقيه.

وإن في توجيه السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، بقولها: **(إنكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب)**؛ ما يلتقي وذلك القلب في توجهه، فيسير معه في طريق الطموح إلى لقاء الله – عز وجل– على أحسن حال.

أما القلب الغافل عن ضرورة التقليل من الذنوب؛ ففي توجيه السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها– ما يغذيه، ويوعيه إلى تلك الضرورة؛ حيث يتضمن أسلوبها – رضوان الله تعالى عنها– التشجيع والدفع إلى ذلك؛ ويتضح ذلك في قولها: **(لن تلقوا الله بشيء خير لكم)**؛ فهذه الكلمات تنفي الخير في اللقاء عن كل شيء من شأنه أن يلقى الإنسان به ربه وهو راض عنه، لا للنفي نفسه، ولكن لتوجيه الإنسان إلى الخير الكثير الذي سيجنيه إن قلل من ذنوبه. إذن فالتشجيع يبرز في تسليط الضوء على الخير الكثير، لعلمها أن الإنسان يتوجه بطبعه إلى حب كل شيء يجد فيه خيرا كثيرا.

---

[1]) فتح الباري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة، رقم الحديث: ٧٤٨٥ ، ج١٥ ، ص٤٢٨

٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٢، ص٣٢

لذا تضيف – رضي الله عنها- إلى ذلك الحث المزيد منه؛ لتوجه إلى أن التقليل من الذنوب؛ بالفعل فيه خير كثير، ودليل ذلك غرسها المنافسة عن طريق الإشعار بالتفوق والأسبقية، على الإنسان الدائب في عمل الخير، المجد والمجتهد فيه. وفي ذلك تقول: (فمن سره أن يسبق الدائب المجتهد، فليكف نفسه عن كثرة الذنوب).

وهي – رضوان الله تعالى عنها-، تتبع في توجيهها هدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ، الذي استقته من قوله: (. . . **فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**)[1].

فتوجيهها – رضوان الله تعالى عنها- ينصب على الانتهاء عما نهى عنه رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، من الذنوب والمعاصي، سواء أكانت مما نهى الخالق –عز وجل- عنه، فنهى عنه الرسول، أم مما كان من نهيه هو – عليه الصلاة والسلام-، فكلا النهيين يقودان مخالفهما إلى الذنوب التي أكدت – رضوان الله تعالى عنها- على ضرورة التقليل منها قدر المستطاع، أوالكف عنها؛ لقوله – صلى الله عليه وسلم- : (**فاجتنبوه**)، لذا كان الحث على الاجتناب أشد تأكيدا عن الحث على إتيان الأوامر، لقوله – صلى الله عليه وسلم- في شأن الأمر: (**فأتوا منه ما استطعتم**)، ولم يقل فأتوا ما أمرتكم به كله.

وتتأكد ضرورة توجيهه – صلى الله عليه وسلم-، وضرورة توجيه السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، بقوله سبحانه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.[2]

وبهذه الكلمات القرآنية نصل إلى مسك الختام؛ حيث نختم هذا المبحث بأمره – سبحانه-: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، لنتذكر ضرورة التقوى، وليتجلى لنا الدافع الحقيقي الذي دفع بأمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- إلى العمل على إيجاد الأثر الفعلي للتقوى في نفوسهن، وفي نفوس المسلمين، مما أبرز في سيرتهن جانبا هاما، أمكن تسميته بالجانب التربوي الوقائي.

---

١) جزء من حديث في فتح الباري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (٣٣) الاقتداء بسنن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ، رقم الحديث:٧٨٢٢، ج١٥ ، ص١٧٦

٢) سورة الحشر، الآية: ٧

المبحث الخامس
الجانب التربوى الجسمانى

أولا: الحث على النظافة

ثانيا: التذكير بمساوئ الإكثار من تناول الطعام

ثالثا: بيان إيجابية الرياضة والحركة

رابعا: التوجيه إلى الطريقة المثلى في شرب الماء

خامسا: الثناء على بعض الأطعمة ذات الفائدة الغذائية والصحية

سادسا: الحث على اللجوء إلى الله تعالى وسؤاله العفو والعافية

يحض الإسلام على العناية بالجسم، والمحافظة على الصحة الجسمية، ويبين الرسول – صلى الله عليه وسلم–، أن الصحة نعمة يتمتع بها الإنسان، فيقول: **(نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ).**[1]

ويعد اهتمام الإسلام بهذه الناحية اهتماما فريدا من نوعه؛ "فقد اهتمت الدوائر والمؤسسات الصحية العالمية، بصحة الإنسان وعافيته، وأقامت من أجل ذلك الدراسات والمؤتمرات والبحوث من أجل الوصول بالإنسان إلى صحة أفضل، وحياة أسعد. ورغم النجاح الذي أحرزته في بعض اهتماماتها، إلا أنها لا زالت قاصرة في تحقيق مرادها وعاجزة عن تحقيق المستوى الصحي المناسب لكرامة الإنسان.

غير أن اهتمام الإسلام بصحة الإنسان يفوق تلك المؤسسات ويتميز عن بقية المناهج والدوائر المهتمة بالرعاية الصحية، ذلك لأن صحة الأبدان ووقايتها من الآفات والأمراض، جزء من رسالة الإسلام، وأمر دعت إليه الشريعة الإسلامية. وقد جعل الرسول – صلى الله عليه وسلم–، العافية والصحة مطلبا شرعيا، يحرص عليه المسلم في دعائه"[2]: **(اللهم إني أسألك المعافاة، في الدنيا والآخرة).**[3]

ومن حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم–، على هذا الجانب، انطلق حرص أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، لعلمهن أن "المسلم الذي تلزمه واجبات كثيرة، في ليله ونهاره، كالعبادات، والفروض، وأداء مهام الدعوة والجهاد، لا يمكن أن يفي بإنجاز هذه التكاليف، إلا بالجسم السليم الصحيح"،[4] فتوجهن للإرشاد والتوعية إلى ما يدعو إلى العناية بالتربية الجسمية، وما يستلزمه ذلك من حث على النظافة، وتنكير بمساوئ الإكثار من الطعام، وتوجيه إلى إيجابية الرياضة والحركة، واعتناء بالمرضى، وتوجيه إلى الطريقة المثلى في الشرب، وتجنب للجلوس غير اللائق بتناول الطعام، وثناء على بعض الأطعمة ذات الفائدة الغذائية، والصحية، وبيان ضرورة اللجوء إلى الله – تعالى– وسؤاله العفو والعافية.

---

١) فتح الباري، كتاب الرقاق، باب(١)، ما جاء في الرقاق، رقم الحديث: ٦٤١٢ ج١٣ ص٣

٢) حمد حسن رقيط: الرعاية الصحية والرياضية في الإسلام، ص١٣ ، بتصرف يسير.

٣) رواه ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب (٥)، رقم الحديث: ٣٨٥١، حديث صحيح. انظر صحيح ابن ماجة، الألباني، ج٢ ص٣٢٨

٤) حمد حسن رقيط: الرعاية الصحية والرياضية في الإسلام، ص ٢١

وتتجلى تلك الإرشادات فيما يلي:

أولا: الحث على النظافة:

ومن ذلك إشارتهن – رضوان الله تعالى عنهن–، إلى حرص رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، على السواك؛ تقول السيدة عائشة عنه – صلى الله عليه وسلم–: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إذا دخل بيته، بدأ بالسواك. .)**[1]

وبهذه الصفة تشير إلى الأهمية البالغة للعناية بالفم والأسنان، وتدعو إليها، مبينة حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم–، على أدائها؛ ذلك الحرص الذي يتجلى في البدء بالتسوك قبل كل شيء. لما لذلك من أثر طيب في طهارة الفم، وفي ذلك يقول – عليه الصلاة والسلام–: **(السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب).**[2]

"وقد ثبت أن الغسل بالماء مع استعمال السواك، يفوق أي مطهر للفم لما يحتويه من مادة مانعة للتسوس، علاوة على أن به مادة قابضة تساعد على تقوية اللثة".[3]

وهذه الحقيقة تثبت السبق التربوي الإسلامي في العناية بالفم وطهارته؛ حيث كان ذلك من سنة الرسول – عليه الصلاة والسلام–، وسنة أصحابه وأزواجه، والمسلمين من بعده.

ولم يقتصر ذلك السبق على فعله – عليه الصلاة والسلام–، فحسب؛ حيث برز ذلك فيمن اتخذن الرسول – صلى الله عليه وسلم– قدوة لهن في استقامتهن وعلو همتهن؛ وذلك ما يشير إليه حرص السيدة ميمونة – رضي الله تعالى عنها– على العناية بالتسوك في كل وقت تتفرغ فيه؛ فقد روي أنه: **(كان مسواك ميمونة بنت الحارث – زوج النبي – صلى الله عليه وسلم–، كان منقعا في ماء، فإن شغلها عمل أو صلاة، وإلا أخذته، فاستاكت به)**[4]، وهنا تتجلى العناية بسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وشدة الحرص على اقتفائها، وفي ذلك توجيه الدعوة للمسلمين إلى إدراك أهمية ذلك، والعمل على اتباع هدي الرسول – صلى الله عليه وسلم–.

هذا، ويشمل الحث على النظافة أيضا، إيضاح السلوك الصحيح، والطريقة الأصوب في الاغتسال؛ وذلك ما بيّنته السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، عندما سُئلت عن غسل النبي – صلى الله عليه وسلم– عن الجنابة؛ فقد ورد عنها أنها لما سئلت عن ذلك **(دعت بإناء نحوا من**

---

١) جزء من حديث لها – رضوان الله تعالى عنها– وارد في مسند أحمد، ج٦، ص١٨٢، وإسناده صحيح، المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين، ج١٧ ص٦٢٥

٢) فتح الباي، كتاب الصوم، باب ٢٧ السواك الرطب واليابس للصائم، رقم الحديث ١٩٣٣ ج٤ ص٦٦٢.

٣) حمد حسن رقيط: الرعاية الصحية، والرياضية في الإسلام، ص٨٧

٤) ابن سعد: الطبقات، ج٨ ص ١٣٩

صاع، فاغتسلت، وأفاضت على رأسها)[1]. وبهذا الفعل تبرز – رضوان الله تعالى- بالتطبيق العملي، الأسلوب الأمثل في تطهير الجسد واتخاذ أسباب نظافته، والعمل على تنظيف الرأس؛ وهي بذلك تقتفي فعل الرسول – صلى الله عليه وسلم-، في الاغتسال، ولم يكن اتخاذه -صلى الله عليه وسلم- ذلك السلوك في الغسل عبثا، فإفاضة الماء على الرأس تشير إلى ما للرأس من أهمية، وأولوية في العناية والتنظيف.

ومما يشير إلى ضرورة العناية بنظافة الرأس، ما أرشدت إليه السيدة عائشة، من حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم-، وحرصها على ذلك؛ حيث تقول: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يعتكف، فيخرج إليّ رأسه من المسجد، فأغسله. .).**[2]

وهذه الصورة تبين العناية التي كان – عليه الصلاة والسلام- مداوما عليها في تحري نظافة الرأس، وذلك في أيام اعتكافه؛ حيث لم يكن الاعتكاف لينسيه تلك الضرورة، مما كان يدفعه إلى إيعازها للسيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، لتتكفل بتحقيقها له. وبذلك تدرك السيدة عائشة تلك الأهمية، وترويها، لتوضح للسامع ما ينبغي منه في تحري النظافة، وعدم التشاغل عنها، وإن كان مشتغلا بالعبادة، والطاعة.

ثانيا: التذكير بمساوئ الإكثار من تناول الطعام:

إن الإكثار من تناول الطعام؛ أمر قد تنزه عنه الرسول – صلى الله عليه وسلم-، وأزواجه الطاهرات، وآل بيته الأخيار. وقد نهى عنه – صلى الله عليه وسلم-، قولا وعملا؛ ففي ذلك يقول – عليه الصلاة والسلام-: **(ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه).**[3]

وتؤكد السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- اكتفاء آل محمد باليسير من الطعام؛ فتقول للسائل: **(لقد كان يأتي على آل محمد الشهر ما يرى في بيت من بيوته الدخان، قلت: يا أماه: ما كان طعامهم؟ قالت: الأسودان: الماء والتمر. .).**[4]

وعلى الرغم من كون ذلك مما تميز به الرسول – صلى الله عليه وسلم-، وآل بيته. إلا أن المسلم مأمور بالاعتدال في طعامه وشرابه، لقوله – تعالى-: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا

---

١) فتح الباري، كتاب الغسل، باب (٣)، الغسل بالصاع ونحوه، رقم الحديث: ٢٥١ ، ج١ ص٤٨٥، وفي رواية لمسلم: فدعت بإناء قدر الصاع، واغتسلت، وبيننا وبينها ستر، وأفرغت على رأسها ثلاثا)، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحيض ، باب (١٠)، القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، رقم الحديث: ٣٢٠ ج٤ ص٤

٢) مسند أحمد، ج٦ ، ص٣٢، وإسناده صحيح. انظر المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين، ج١٧ ص٢١٤

٣) رواه الترمذي ، كتاب الزهد ، باب (٤٧) رقم الحديث: ٢٣٨٠، ج٤، ص٥١٠، وقال حديث حسن صحيح

٤) جزء من حديث في مسند أحمد ، ج٦، ص ١٨٢

تُسْرِفُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾،[1] ومدعو إلى اجتناب ما يَصِمُ بسمة الكفار الذين: ﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ ﴾.[2]

وذلك يشير إلى حقيقة هامة، ينبغي تحريها، والبحث عن عواقبها، وإدراك ما يكمن في تلك العواقب من سلبيات، يمكن للمسلم تجنبها، والحذر منها.

تلك الحقيقة هي ما أرشدت إليها السيدة عائشة – رضوان الله تعالى عنها- بقولها: (**إن أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها، الشبع، فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبداتهم، فضعفت قلوبهم، وجمحت[3] شهواتهم**).[4]

وفي هذا القول تتضح تلك السلبيات، وما يكمن فيها من خطورة تهدد سلامة المؤمن في دنياه وآخرته؛ وتبدأ تلك السلبيات من الشبع؛ وهو مما لا يلتفت إليه الكثير من الناس، إلا أن ما يجنونه منه، عواقب وخيمة، تظهر لهم أولا في سمنة أبدانهم، ثم في ضعف قلوبهم، ثم في جموح شهواتهم.

وهنا يكمن الخطر؛ حيث يجني الإنسان من كل من هذه السلبيات خسرانا كبيرا؛ فالسمنة، سبب لكثير من الأمراض، كاضطراب الجهاز الهضمي، وعسر الهضم، وداء الملوك الذي يصيب المفاصل بالآلام، والتهاب البنكرياس الحاد، والمرارة، ومرض السكر، وغيرها من الأمراض.[5]

وذلك مما ينبغي أن يتفاداه المسلم الواعي، والمدرك لضرورة المحافظة علىَ صحته، مما يتيح له التمتع بالعافية في حياته، وما يجلبه ذلك له من قدرة على أداء مهام الدين والدنيا.

وضعف القلب من الأمراض الناتجة عن السمنة، ويتضمن ضعف الإرادة المودعة في النفس البشرية، والتي يتمكن من خلالها على مواجهة النفس الأمارة بالسوء؛ مما يدفع إلى جموح شهواته، وطغيانها، فيندفع إلى تحقيقها، والعمل لإرضائها، وذلك يطمس على إمكانيات التأثر لديه، فيطغى على دوافع الترغيب والترهيب، ويتجنب الانقياد للحق، فيصبح من الهالكين.

ويشير إلى ذلك ابن القيم – رحمه الله –، فيقول: (**القلب خلق لمعرفة فاطره ومحبته وتوحيده والسرور به، والابتهاج بحبه والرضا عنه والتوكل عليه، والحب فيه والبغض فيه والموالاة فيه، والمعاداة فيه، ودوام ذكره، وأن يكون أحب إليه من كل ما سواه، وأرجى عنده من كل ما سواه، وأجلّ في قلبه من كل ما سواه، ولا نعيم له، ولا سرور، ولا لذة، بل ولا حياة،**

---

١) سورة الأعراف، الآية: ٣١

٢) سورة محمد، جزء من الآية: ١٢

٣) جمحت: الجموح هو الذي يركب هواه فلا يمكن رده. انظر لسان العرب، ج٢، ص٤٢٦. والمراد أن شهواتهم طغت، واتبعت الهوى.

٤) المنذري: الترغيب والترهيب، ج٣، ص١٣٧

٥) حمد حسن رقيط: الرعاية الصحية والرياضية في الإسلام، ص٤٣ ، بتصرف.

إلا بذلك، وهذا له بمنزلة الغذاء، والصحة والحياة، فإذا فقد غذاءه، وصحته وحياته، فالهموم، والغموم والأحزان مسارعة من كل صوب إليه).[1]

ثالثا: بيان إيجابية الرياضة والحركة:

تسهم الرياضة والحركة في إمداد الجسم بالنشاط والقوة، وبالقدرة على تحمل المهام المختلفة، وما يواجه الإنسان من مشاق ومتاعب حياتية. كما تسهم في إمداده بالعافية والسلامة؛ حيث تشكل " قيمة وقائية وعلاجية، مما يثمره النشاط الرياضي؛ فقلما تهاجم الأمراض بدنا رياضيا، وقلما يتعرض الرياضيون للضعف أو الهزال".[2]

وفي الرياضة " إظهار مواهب الإبداع والصفات العالية؛ كالشجاعة، والنجدة، والفتوّة. والمغامرة، وسرعة العدو، والقدرة على ابتكار الأساليب الجديدة."[3]

وقد حث الإسلام على الاعتناء بالرياضة، وتقوية الجسم؛ وفي ذلك يقول – عليه الصلاة والسلام: **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف).**[4]

ومن ذلك إشارة السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها-، إلى حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم- على ذلك، لتوجه إلى أن اعتناءه – صلى الله عليه وسلم- بالرياضة، مما ينبغي أن يدفع بالمسلم إلى تحري ضرورتها، والاقتداء به- عليه الصلاة والسلام-.

ومن ذلك قولها: **(أنها كانت مع النبي – صلى الله عليه وسلم- في سفر؛ قالت: فسابقته، فسبقته، على رجلي، فلما حملت اللحم، سابقته، فسبقني، فقال: هذه بتلك السبقة).**[5]

وبهذا القول تثني – رضوان الله تعالى عنها- على هذا النوع من الرياضة؛ من خلال ما تجليه من حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم-، على مسابقتها، وتبين حالها في ذلك التسابق، مع النبي – صلى الله عليه وسلم-؛ ففي المرة الأولى؛ سبقته، لنحافتها، وصغر سنها، وصغر جسمها أيضا. وفي المرة الثانية كبرت؛ وكَبُرَ جسدها، فسبقها – عليه الصلاة والسلام-.

وفي إبراز هذه الحقيقة، ما يشير إلى أن التغير الذي يطرأ على جسد الإنسان نتيجة كبر سنه، يؤثر على نشاطه، وفعاليته؛ مما يدعو إلى تحري أسباب المحافظة على القوة والنشاط. وذلك – مما لا ريب فيه- يكمن في الاستمرار على أداء الأعمال الرياضية، والحركة اليومية؛ كالمشي، والجري، وتحريك أعضاء الجسد. و" المشي من خيرة الممارسات الرياضية لجميع الأعمار، لأنه

---

١) ابن القيم: الطب النبوي، ص ١٥٦

٢) حمد حسن رقيط: الرعاية الصحية والرياضية في الإسلام، ص١٢٨

٣) المرجع نفسه

٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر، باب (٨)، الأمر بالقوة وترك العجز، رقم الحديث: ٢٦٦٤ ج١٦ ص ١٨٤

٥) رواه أبو داوود، كتاب الجهاد، باب (٦٨) ، رقم الحديث: ٢٥٧٨، حديث صحيح، الألباني، ج٢ ص٧٥٨

يزيد سرعة القلب والتنفس، دون أن يجهدهما، ويزيد من الدم الوارد إلى الساقين، وفي الحديث: (**إن أعظم الناس أجرا في الصلاة، أبعدهم إليها ممشى، فأبعدهم**)،[1] وكذلك كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- (**إذا مشى، مشى مشيا مجتمعا ليس فيه كسل**).[2]

بالإضافة إلى ما شجعه الرسول – عليه الصلاة والسلام-، من المصارعة السلمية؛ واتضح ذلك في عدم ممانعته – صلى الله عليه وسلم-، لدفاع السيدة عائشة عن نفسها، عندما دخلت السيدة زينب بنت جحش واستطالت عليها بالقول؛ ورسول الله – صلى الله عليه وسلم-، جالس. وفي ذلك تقول – رضوان الله تعالى عنها-: (. . **وأنا أرقب رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وأرقب طَرْفه هل يأذن لي فيها؟ قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، لا يكره أن أنتصر، قالت: فلما وقعتُ لم أنشبها،[3] حين أنْحَيْتُ[4] عليها، فتبسم رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، فقال: إنها ابنة أبي بكر**)،[5] وفي رواية أخرى لمسلم: (**فلما وقعتُ بها لم أنشبها أن أثخنتها غلبةً**).[6]

وفي هذا الموقف يتجلى التشجيع على استخدام القوة في الظروف الداعية لها، فقد يتعرض الإنسان إلى موقف يدعوه إلى الدفاع عن نفسه للمحافظة على سلامته، فيضطر إلى استخدام أعضائه.

وعلى الرغم من كون الموقف الذي حدث للسيدتين الفاضلتين، ليس من المواقف التي تستلزم حماية السلامة الشخصية؛ فهو موقف أقرب إلى الدعابة والمرح أكثر منه إلى الصراع والعنف، إلا أنه يدل على إرشاد الرسول – صلى الله عليه وسلم- إلى إمكانية تمتع الإنسان بأخذ الحق من خصمه. وما يستدعيه ذلك من حاجة الجسم إلى المران والقوة

ومن أوجه المران التي دعا الإسلام إليها أيضا؛ ما ربطه بالعبادة المقدسة؛ وهي الصلاة؛ فقد جاءت أفعال الصلاة، وصفة صلاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، في هيئات تخدم حاجة الجسم إلى الحركة السليمة، التي تحتاجها الأعضاء، لتبقى سوية معتدلة. ويوضح ذلك حديث السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها- قالت: (**كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، يفتتح الصلاة بالتكبير، والقراءة بـ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وكان إذا ركع لم يرفع رأسه، ولم**

---

١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب (٥٠)، فضل كثرة الخطى إلى المساجد، رقم الحديث: ٦٦٢ ج٥ ص١٣٧

٢) الأصبهاني: أخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم- وآدابه، ج٢ ص٣٤، وقال المحقق إسناده صحيح.

٣) لم أنشبها: نشب الشيء في الشيء بكسر الشين، وينشب بفتحها نشوبا، أي علق فيه، تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، القسم الثاني من الجزء الثالث، ص١٦٧

٤) أنحيت عليها : أي عرضت لها واعتمدت عليها، لسان العرب، ج ١٥، ص ٣١٠، بتصرف

٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب (١٣) ، فضائل عائشة، رقم الحديث: ٢٤٤٢ ج١٥ ص١٧٠

٦) المرجع نفسه

يصوبه، ولكن بين ذلك، وكان إذا رفع رأسه من الركوع لم يسجد حتى يستوي قائما، وإذا رفع رأسه من السجود لم يسجد حتى يستوي جالسا، قالت: وكان يقول في كل ركعتين التحية، وكان ينهى عن عقب الشيطان، وكان يفرش رجله اليسرى، وينصب رجله اليمنى، وكان ينهى أن يفترش أحدنا ذراعه كالكلب، وكان يختم الصلاة بالتسليم).[1]

وفي هذا الوصف تتضح صورة الأعمال التعبدية المطلوبة في الصلاة؛ والتي ينبغي مراعاة أدائها على الشكل الذي كان الرسول – صلى الله عليه وسلم–، يحرص عليه؛ فقد كان– عليه الصلاة والسلام–، يؤديها على نحو معين، ومحدد، تحدد بمداومته – عليه الصلاة والسلام–، على ذلك النحو، فأصبح من التعاليم التي يطالب بها المسلم في عبادته؛ ولم يتم التأكيد على هذه التعاليم، إلا لما تنطوي عليه من صلاح وفلاح للإنسان.

وإذا تتبعنا وصف السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–، لاتضحت حقيقة هذا الأمر؛ حيث تصف، تلك الأعمال، بإيضاح الهيئات الصحيحة لها؛ مما يرشد إلى أن الصلاة من أرقى التمرينات الرياضية الحركية، التي تؤدي إلى تقوية عضلات الجسم، وليونة المفاصل بشكل عام، وتقوي عضلات العمود الفقري، وتقوي عضلات البطن. كما أن المداومة على أداء الصلاة في وقتها، ينظم حياة المسلم، ويعوّده الهمّة والنشاط.[2]

رابعا: التوجيه إلى الطريقة المثلى في شرب الماء:

اعتنى الرسول – صلى الله عليه وسلم–، بالطريقة المثلى في شرب الماء، ووجه إليها، لما لها من أثر فاعل في صحة الإنسان، وسلامته.

وقد ذكرت السيدة أم سلمة – رضوان الله تعالى عنها–، طريقته – عليه الصلاة والسلام–، في تناول الشراب، قائلة: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يبدأ بالشراب إذا كان صائما، وكان لا يَعُبّ،[3] يشرب مرتين أو ثلاثا).**[4]

وبهذا الوصف تشير – رضوان الله تعالى عنها– إلى ميزة البدء بالشراب بعد الصيام، ويوضح تلك الميزة؛ قوله – صلى الله عليه وسلم–: **(ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله).**[5]

---

١) مسند أحمد، ٣٢/٦، وإسناده صحيح، انظر المسند، للإمام أحمد شرح أحمد الزين، ج١٧ ص٢١٠

٢) رشاقتك أختي المسلمة، محمد ماهر حمامي و محمد مأمون البيلي، ص٨٠ بتصرف.

٣) العَبُّ: أن يشرب الماء ولا يتنفس، وقيل: العب أن يشرب الماء دعرقة، بلا عبث، والدعرقة أن يصب الماء مرة واحدة، والعبث أن يقطع الجرع. انظر تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، القسم الثاني من الجزء الثالث، ص٢

٤) الهيثمي: مجمع الزوائد، ج٥ ص٨٣، وقال رجاله ثقات.

٥) سنن أبي داوود، كتاب الصيام، باب (٢٢) ، رقم الحديث: ٢٣٥٧، حديث حسن، الألباني، ج٢ ص٤٤٩.

كما تشير إلى أن شرب الماء دفعة واحدة، يؤثر تأثيرا سلبيا على صحة الإنسان؛ لذا فإن الشرب على مراحل هو الأسلوب الذي حرص عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم-، وقد وعت تلك الضرورة، فذكرت الفعل الخطأ بصيغة النفي، فقالت: **(وكان لا يعب)**؛ لتبرز من خلال ذلك أن تناول الماء دفعة واحدة، فعل قد تجنبه الرسول – صلى الله عليه وسلم-. وينبغي للمسلم أيضا، أن يتجنبه، حفاظا على سلامته، واقتداء برسول الله – صلى الله عليه وسلم-.

ولتبين الفعل الصحيح؛ ذكرت – رضوان الله تعالى عنها-، طريقته – عليه الصلاة والسلام- في الشرب، بقولها: **(يشرب مرتين أو ثلاثا)**. وبذلك توضح أن تناول الماء على مراحل؛ يتيح للشارب، إمكانية التنفس بشكل طبيعي، ويجنبه الاضطرار إلى التنفس في الماء، وهو أمر منهي عنه.

" ويبين العلم الحديث أن في حالة الشرب دفعة واحدة يحتبس هواء الزفير داخل الرئتين محدثا مضايقة محسوسة، الأمر الذي يضطر الإنسان إلى أن يزفر بقوة في إناء الشرب ليذيب أكبر كمية ممكنة من السموم في الماء لتعود إلى الدم مرة أخرى.

وهناك أمر مهم حول خطورة شرب الماء دفعة واحدة هو أن الإنسان عندما يتناول إناء الماء ويشربه دفعة واحدة فإنه لا يحس بتركيب الماء إحساسا كاملا إلا بعد الانتهاء من شرب الإناء حيث لا يستطيع أن يتذوق طعم الماء بصورة كاملة، ومدى صلاحيته من الوجهة الصحية، فقد يشرب ماء نتنا فيه عفونة خطيرة على سلامة الجسم، فلا يحس بطعم الماء حتى يدخل شيء من الماء إلى جوفه.

أما الشرب على دفعات متقطعة وجرعات قليلة كما هي السنة، فقد أكد الطب الحديث على فائدة ذلك، وأنه يؤدي إلى تنبيه شبكة الأعصاب برفق وهدوء وبصورة تدريجية بعيدا عن القسوة والعنف، ودون إحداث ضرر يذكر".[1]

خامسا: الثناء على بعض الأطعمة ذات الفائدة الغذائية والصحية:

لاشك أن الأغذية – بكثرتها وتنوعها-، تحتوي على ما يحتاجه الإنسان من مواد غذائية فاعلة في بناء جسده، وتزويده بالصحة والعافية؛ فقد تفضل الخالق – جل شأنه-، بالنعم الوفيرة، وأمده بالأصناف، والأشكال والألوان المختلفة من الطعام. فلله الفضل والمنة، والحمد لله رب العالمين.

وقد حرصت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- على إيضاح بعضها، من باب الحرص على الإرشاد إلى الغذاء المفيد، وتحديد فائدته.

---

١) حمد حسن رقيط: الرعاية الصحية والرياضية في الإسلام، ص٥١-٥٢

ومن ذلك ما ذكرته السيدة عائشة، مما سمعته عن الرسول – صلى الله عليه وسلم–، في الثناء على التمر، والخبز، والعنب؛ قالت – رضي الله عنها–: **(قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (بيت لا تمر فيه جياع أهله يا عائشة، بيت لا تمر فيه جياع أهله، –أوجاع أهله–، – قالها مرتين أو ثلاثا)**،[1] وقالت: **(قال النبي – صلى الله عليه وسلم–: خير طعامكم الخبز، وخير فاكهتكم العنب)**.[2]

وفي هاتين الروايتين تحدد – رضوان الله تعالى عنها– الأطعمة ذات الفائدة الغذائية، وترشد إلى تلك الحقيقة من خلال ذكر ثناء الرسول – عليه الصلاة والسلام– عليها؛ فالحديث الأول؛ يشير إلى الأهمية البالغة للتمر، وتتمثل تلك الأهمية فيما صوّره – صلى الله عليه وسلم–، عندما وصف من لا يملك تمرا في بيته، بالجائع الذي لا يملك الطعام مطلقا، وإن كان لديه أصنافا أخرى من الطعام. وفي ذلك الوصف ما يشير إلى القيمة الغذائية العالية للتمر؛ فقد أثبت العلم أن التمر يحتوي على "عشرات العناصر الغذائية الهامة لدوام الجسم حيا نشيطا؛ فهو يحتوي على نسبة عالية جدا من السكر السهل الهضم، السريع الامتصاص، الذي يمد الأعضاء الجسمية بالطاقة والحركة والحرارة، كما يحتوي على المعادن الهامة ومجموعة الفيتامينات الرئيسية والزلال، وقد عدّ الطب الحديث هذه الثمرة غذاء رئيسيا يستطيع أن يعيش الإنسان عليه ليستمد منه كافة ما يحتاج من عناصر الحياة".[3] كما ثبت أن الذين يتناولون التمر أقل إصابة بالسرطان. وذلك إلى جانب الأثر الجليل الذي يحدثه التمر، وقل من ينتبه إليه؛ فتناول التمر يضفي السكينة والدعة على النفوس القلقة المضطربة.[4]

كما يحظى الخبز والعنب بالوصف بالأفضلية على سائر أنواع الطعام، لا لأفضليته، ولكن لما يحتويه من مواد ذات فوائد غذائية طيبة، فالخبز الأسمر – وهو النوع الذي أشار إليه الرسول – صلى الله عليه وسلم–،[5] هو الخبز "الذي يصنع من حبوب القمح، ذي النخالة، وهو يعد من أغنى الأغذية، وخير منظم لعمليات الأكسدة والتمثيل الغذائي والنمو بالجسم، ويفيد الحركة الدورية للقناة الهضمية، وذلك لوجود الألياف التي تسهل مرور الكتل الغذائية في الجزء الأخير من الأمعاء، وبالتالي تمنع الإصابة من الإمساك".[6]

---

١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الأشربة، باب (٢٦)، إدخار التمر ونحوه من الأقوات للعيال، رقم الحديث: ٢٠٤٦، ج١٣ ص١٩٠

٢) الديلمي: الفردوس، الحديث ٢٨٨٣، ج٢ ص١٧٧٦

٣) حمد حسن رقيط: الرعاية الصحية والرياضية في الإسلام، ص٦٩

٤) المرجع نفسه، ص١٥٥ ، بتصرف.

٥) ومما يدل على أن الخبز الذي يثني عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم– هو الخبز غير المنخول: (عن أبي حازم؛ أنه سأل سهلا: هل رأيتم في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم–، النقي؟ قال: لا، قال: فهل كنتم تنخلون الشعير؟ قال: لا، ولكن كنا ننفخه)، فتح الباري، كتاب الأطعمة، باب (٢٢)، النفخ في الشعير، رقم الحديث: ٥٤١٠ ج١٠ ص٦٨٧

٦) حمد حسن رقيط: الرعاية الصحية والرياضية في الإسلام، ص ١٦٣

و" العنب يحتوي على نسبة عالية من السكر الأحادي المسمى (جلوكوز) وهو لا يحتاج إلى هضم بل يُمتص من المعدة والأمعاء مباشرة إلى الدم الذي ينقله إلى أنسجة الجسم المختلفة لتستفيد منه في توليد الحرارة والطاقة على العمل ، كما أثبتت الدراسات أن العنب وما فيه من فيتامينات؛ يساعد في تكوين العظام، ويقي من العشي الليلي، ويقاوم نزلات البرد، والأنفلونزا، وعلاوة على ذلك فإن العنب يفيد في علاج الإمساك لأنه ملين طبيعي، وتفيد الأحماض العضوية الموجودة به في معادلة الأحماض الضارة المتخلفة عن هضم بعض الأطعمة في الجسم مثل اللحوم والدهنيات والبيض وما شابه ذلك من مصادر كامنة للحموضة".[1]

هذا وقد بينت – رضوان الله تعالى عنها–، الأطعمة ذات الفائدة الصحية؛ وذلك في قولها: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم–،إذا أخذ أهله الوعك، أمر بالحساء فصنع، ثم أمرهم فحسوا منه، ثم يقول: إنه ليرتو[2] فؤاد الحزين، ويسرو[3] عن فؤاد السقيم، كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها).**[4]

ومن ذلك أيضا، قولها – رضوان الله تعالى عنها–: **(قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: التلبينة[5] مُجمّة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن).**[6]

ومن الأغذية ذات الفائدة الصحية أيضا الخل، وفي ذلك تروي السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قوله – عليه الصلاة والسلام–: **(قال النبي – صلى الله عليه وسلم–: نعم الإدام الخل)**[7]. وفي ذلك ما يشير إلى فائدته الصحية؛ فهو من الأغذية " المفيدة في عسر الهضم، وخاصة خل التفاح".[8]

فسبحان من قال عن خير خلقه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾.[9]

---

١) المرجع نفسه، ص ١٥٥
٢) يرتو: أي يشده ويقويه. انظر لسان العرب، ج١٤ ، ص٣٠٧
٣) يسرو: أي يكشف عن فؤاده الألم ويزيله. انظر لسان العرب، ج١٤ ، ص٣٨٢
٤) مسند أحمد، ج٦، ص٣٢، وإسناده صحيح، انظر المسند للإمام أحمد، شرح حمزة الزين، ج١٧ ص٢٢١٢
٥) التلبينة: حساء يعمل من دقيق أو نخالة ويجعل فيها عسل، سميت تلبينة تشبيها باللبن لبياضها، ورقتها. انظر لسان العرب، ج١٣ ، ص٣٧٦
٦) فتح الباري، كتاب الأطعمة، باب (٢٤) ، التلبينة، رقم الحديث: ٥٤١٧، ج١٠، ص٦٩٠
٧) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الأشربة، باب ٣٠ فضيلة الخل والتأدم به، رقم الحديث: ٢٠٥١، ج١٤ ص٦
٨) حمد حسن رقيط: الرعاية الصحية والرياضية في الإسلام، ص١٤٣
٩) سورة النجم، الآية: ١

سادسا: الحث على اللجوء إلى الله تعالى وسؤاله العفو والعافية:

أدركت أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، أهمية الاستعانة بالله – تعالى– وسؤاله – سبحانه– الإمداد بالعون والقوة، والصحة والمعافاة، والخير كله، وأيقنّ ضرورة اللجوء إليه في كل الأحوال والظروف؛ فالإنسان – مهما بلغت عنايته بنفسه– لا يزال محتاجا إلى عون ربه، وحمايته.

وذلك ما استقينه من فعل الرسول – صلى الله عليه وسلم–، فداومن عليه، ورغبّن غيرهن من المسلمين إليه؛ ليكون الزاد الذي يتزود به المسلم طيلة حياته.

وذلك ما اتضح فيما روته السيدة عائشة – رضي الله عنها–، عن الرسول – صلى الله عليه وسلم– في ذلك كله؛ فقد ذكرت سؤال الرسول – صلى الله عليه وسلم– ربه المعافاة في الجسد، والسمع والبصر، وذلك في قولها: **(كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول: اللهم عافني في جسدي، وعافني في سمعي وبصري، واجعلهما الوارث مني، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين).**[1]

كما ذكرت فائدة الدعاء في رد البلاء، وذلك مما سمعته من الرسول – صلى الله عليه وسلم–، عندما قال: **(لا ينفع حذر من قدر، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن الدعاء ليصادف البلاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة)**[2]

وذكرت ، سؤال الرسول – صلى الله عليه وسلم–، ربه، الخير كله العاجل منه، والآجل؛ وذلك في قولها: **(قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله)**،[3] وفي رواية أنه – صلى الله عليه وسلم– قال لها قولي: **(اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني).**[4]

وعلمها – صلى الله عليه وسلم– سؤال الخالق – سبحانه– تحسين الخُلُق؛ وذلك فيما روته من دعائه: **(اللهم أحسنت خلقي فحسن خلقي).**[5]

كما ذكرت – رضوان الله تعالى عنها– ضرورة سؤال الله – تعالى– كل شيء واللجوء إليه في كل حال، وذلك فيما روته عن الرسول – صلى الله عليه وسلم–: **(سلوا الله كل شيء حتى الشسع[1]، فإن الله إن لم ييسره لم يتيسر).**[2]

---

١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب (٦٧)، رقم الحديث: ٣٤٨٠، ج٥، ص٤٨٤، وقال حديث حسن غريب.
٢) الهيثمي: مجمع الزوائد، ج١٠، ١٤٩، وقال فيه زكريا بن منظور، وثقه أحمد بن صالح المصري، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات.
٣) جزء من حديث في مسند أحمد ج٦ ص١٤٧، وسنن ابن ماجة، كتاب الدعاء، باب ٤ الجوامع من الدعاء، الحديث٣٨٤٥، ج٢ ص١٢٦٤
٤) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب (٨٥) ، رقم الحديث: ٣٥١٣، ج٥، ص٤٩٩، وقال حديث حسن صحيح.
٥) مسند أحمد ج٦ ص٦٠ ، وإسناده حسن، انظر المسند للإمام أحمد، شرح، حمزة الزين، ج١٨، ص٣٣١

وذكرت أيضا حاجة الإنسان إلى معونة ربه، في الكبر، وضرورة التوقي مما قد يواجهه الإنسان في كبره من الضيق، وعسر المادة، بالمداومة على سؤاله – سبحانه–، توسيع الرزق؛ وذلك مما استقته من دعاء الرسول – صلى الله عليه وسلم– القائل: **(اللهم اجعل أوسع رزقك عليّ عند كبر سني وانقطاع عمري)**.[3]

كما روت السيدة أم سلمة – رضوان الله تعالى عنها– سؤال النبي – صلى الله عليه وسلم– ربه خيري الدنيا والآخرة، وذلك فيما ذكرته من دعائه – عليه الصلاة والسلام–، القائل فيه: **(اللهم أنت الأول لا شيء قبلك، وأنت الآخر فلا شيء بعدك، أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك، وأعوذ بك من الإثم والكسل، ومن عذاب القبر، ومن فتنة الغنى، ومن فتنة القبر، وأعوذ بك من المأثم والمغرم، اللهم نقّ قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، اللهم بعّد بيني وبين خطيئتي كما بعّدت بين المشرق والمغرب)**.[4]

وذلك بالطبع قليل من كثير، مما كان الرسول – صلى الله عليه وسلم– يحرص عليه، ويعلمه أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن–، فيعلمن بدورهن المسلمين، ويرشدنهم إلى ضرورته. مما يشير إلى أن تربية الجسم مطلب ديني ودنيوي. يرشد إليه قول الرسول – صلى الله عليه وسلم–: **(فإن لجسدك عليك حقا)**.[5] ومن هنا نبعت عنايتهن – رضوان الله تعالى عنهن–، بترشيد الآخرين، وتوعيتهم إلى بعض الضرورات التي يتطلبها الجسد.

---

١) شِسْع النعل: هو أحد سيور النعل الذي يدخل بين الإصبعين، ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام، وهو السير الذي يعقد فيه الشسع، تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، القسم الأول من الجزء الثالث، ص ١٦٢

٢) مسند أبي يعلى الموصلي، ج٨ ص٤٤، الحديث ٤٥٦٠، وقال محقق الكتاب: إسناده صحيح.

٣) الحاكم: المستدرك، كتاب الدعاء، ج١، ص٥٤٢، وقال: حديث حسن الإسناد والمتن.

٤) المرجع نفسه، للحاكم، كتاب الدعاء، مجلد ١ ، ص٥٢٤، وقال حديث صحيح الإسناد.

٥) جزء من حديث في فتح الباري، كتاب الصوم، باب (٥٥)، حق الجسم في الصوم، رقم الحديث: ١٩٧٥ ، ج٤، ص٧٣٧ وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الصيام، باب (٣٥)، النهي عن صوم الدهر رقم الحديث: ١١٥٩، ج٨ ص٤٠

الخاتمـــــــــــــة

النتائج

التوصيات

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس المصادر والمراجع

الملخص باللغة الانجليزية

بسم الله الرحمن الرحيم

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعـــــــد:

فقد أنهت الباحثة رحلتها العلمية التربوية في رياض أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن وأرضاهن، وتنسّمت من أريجهن الفوّاح، وتعطرت من شذاهن الطيب، ثم ترى من المناسب والمفيد أن تختم هذه الدراسة ببيان أبرز النتائج التي توصلت إليها.

١) يُعد مصطلح (أمهات المؤمنين) مصطلحا تربويا، له أهميته وأثره في زوجات النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، وفي الأمة الإسلامية عامة؛ علميا وتربويا، مما أهّل الأمة الإسلامية مرتبة القيادة والريادة.

٢) تعد فضائل أمهات المؤمنين، وسماتهنّ، منبعا من منابع الخير والفضيلة، ويمكن أن يُستمد منها ما يعين المرأة على الحفاظ على كرامتها، ويهيئ لها أسباب السعادة.

٣) إن حسن عشرة أمهات المؤمنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يعد أساسا متينا من الأسس الطيبة التي تسهم في بناء الحياة الزوجية الكريمة.

٤) إن تقبل المرأة للتعدد بشروطه وضوابطه الشرعية، يُعد من العوامل الفاعلة في بناء المجتمع بناء سليما يحفظ له الثبات، وعدّه بالبُناة من الأبناء والبنات.

٥) إن تعدد أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم- واختلاف بيئاتهن، وأعمارهن، وأحوالهن الاجتماعية، أساس مهم من الأسس التي اقتضاها تنوع الجوانب التربوية والتعليمية في الإسلام.

٦) إن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم، بالثيبات من النساء، يرشد إلى ضرورة الأخذ بيد الثيب، والعناية بها.

٧) إن التربية في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، هي التربية التي تبني الإنسان بناء تاما؛ يكشف له عن أهمية كيانه، ويعرفه غاية وجوده، وما يتمتع به من إمكانيات تؤهله القيام بالخلافة في الأرض وإعمارها، وتحقيق مراد الخالق - عز وجل – فيها. وذلك ما يفسر حقيقة المكانة الشامخة التي بلغتها أمهات المؤمنين – رضوا ن الله تعالى عنهن-.

٨) إن تعاهد الزوج زوجته بتوجيهها وإرشادها، أمر بالغ الأهمية، لما يترتب عليه من وعي ينعكس أثره على حياتهما، ونظرتهما للإنسان والكون والحياة.

٩) إن ما أثر عن أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن- يعد ذخيرة علمية وتربوية كبيرة؛ تكشف عن القدرات التربوية الطيبة التي يمكن أن تتمتع بها المرأة، إذا ما تم الاعتناء بتعليمها، وتربيتها، وتوجيهها التوجيه السليم.

١٠) تعد الأساليب التربوية المتبعة لدى أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن من الأساليب التي يمكن الاستفادة منها في تربية نساء الأمة.

التوصيات

توصي الباحثة بما يأتي:

١) الاعتناء بمصطلح أمهات المؤمنين، وذلك من خلال ربطه بكل عمل تربوي صدر منهن – رضوان الله تعالى عنهن-. للكشف عن أهميته، والبحث في الحكمة العظيمة التي أهلتهن للحظوة به.

٢) ضرورة تحري القائمين على المناهج التعليمية للمكانة العلمية التي بلغتها أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، والإفادة منها في تربية وتعليم نساء الأمة.

٣) أهمية اعتناء الآباء والأمهات بغرس المفاهيم التربوية الحقة في أذهان النشء، والتمييز بين التربية التي تتناسب وطبيعة المرأة والتربية التي تتناسب وطبيعة الرجل.

٤) أهمية إفادة وزارات التربية والتعليم في الدول الإسلامية، من الجوانب التربوية التي عنيت بها أمهات المؤمنين – رضوان الله تعالى عنهن-، في تعليم الطالبات، وتربيتهن، وتوعيتهن إلى الجانب التربوي الذي تطالب المرأة به في الإسلام.

٥) ضرورة تناول الباحثين للجوانب التربوية في ما أثر عن كل زوجة من زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم-، بحيث تتم الإفادة من المنهج التربوي لدى كل واحدة منهن.

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الرقم	الآيـــــــــة	الصفحة
١	الم ذلك الكتاب لا ريب فيه	٢١٥
٢	إن الصفا والمروة من شعائر الله	٢١٢
٣	إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين	٢٢١
٤	قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله	١٥٢
٥	ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير	١٨٣
٦	فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم	٨٧
٧	وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى	٥٦
٨	فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا	١٨٢
٩	وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم	٦٠
١٠	ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض	٨٩
١١	ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم	١٥٢ ١٥٣
١٢	وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها	١٦٨
١٣	وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا	٢٠٢
١٤	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله	٢٢٠
١٥	وكلوا واشربوا ولا تسرفوا	٢٣١
١٦	فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي	١٥٠
١٧	يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم	١٥٠
١٨	إن النفس لأمارة بالسوء	١٤٢
١٩	وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم	١٣٠ ١٦٤
٢٠	كبرت كلمة تخرج من أفواههم	٦٢
٢١	واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك	١٤٤
٢٢	قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي	١٤٨

٢٣	وإن منكم إلا واردها	١٠٧
٢٤	ثم ننجي الذين اتقوا	١٠٧
٢٥	والذين هم لفروجهم حافظون	٢١٢
٢٦	والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة	١٠٧
٢٧	والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء	٢١٩
٢٨	لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم	٨٦
٢٩	الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات	٣١
٣٠	أولئك يجزون الغرفة بما صبروا	١٣٣
٣١	الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون	٥٤
٣٢	أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا	١٣٣
٣٣	وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة	١٨٨
٣٤	إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر	٧٨
٣٥	ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه	٦١
٣٦	النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم	٢٣ ٧٣
٣٧	يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها	٧٤ ٨٣
٣٨	يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين	٧٥
٣٩	يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن	٣٠ ٦٤ ٧٦
٤٠	وقرن في بيوتكن	١٣٢
٤١	أهل البيت	٣٠
٤٢	واذكرن ما يتلى في بيوتكن	٧٩
٤٣	إن المسلمين والمسلمات	٩٠
٤٤	والذاكرين الله كثيرا والذاكرات	١٢٨
٤٥	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم	٥٣ ٦١ ٨٠
٤٥	وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك	٦١

٤٦	فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها	٤٢ ٦٢
٤٧	وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا	١٤٩
٤٨	يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك	٥٨
٤٩	ترجي من تشاء منهن	٨٢
٥٠	ذلك أدنى أن تقر أعينهن	٨٢
٥١	وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب	٨٣
٥٢	لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن	٢٢٣
٥٣	إن الله وملائكته يصلون على النبي	١٥٠
٥٤	يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن	٢١٧
٥٥	إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة	١٤٤
٥٦	ادعوني أستجب لكم	١٦٢
٥٧	يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم	٢٣١
٥٨	يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي	١٥٠
٥٩	ولا يغتب بعضكم بعضا	٢١٩
٦٠	يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى	١٨٣
٦١	فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم	١٤٩
٦٢	وما ينطق عن الهوى	٤١ ٢٣٧
٦٣	قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها	١٣١
٦٤	لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله	٢٠٤
٦٥	وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا	٢٢٦
٦٦	يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك	٨٤
٦٧	إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما	٨٤
٦٨	هاؤم اقرؤا كتابية	١١٠
٦٩	وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا	١٣٣
٧٠	ورفعنا لك ذكرك	١٥٠

فهرس الأحاديث النبوي الشريفة

الرقم	الحديث	الصفحة
١	أبطأت على عهد رسول الله	١٤٥
٢	أتى جبريل عليه السلام	٣٥
٣	أجنبت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم	١٥٤
٤	الأخوات مؤمنات	٥٤
٥	أذكركم الله في أهل بيتي	٣٠
٦	إذا مشى مشى مشيا مجتمعا	٢٣٣
٧	أريتك في المنام مرتين	٥١
٨	أربع لم يكن يدعهن	١٤٢
٩	أرسل أبي إلى عائشة	١٣٨
١٠	أسرعكن لحاقا بي	٤١ ١٩٣
١١	أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي	٢٠٩
١٢	ألا أبشره يا رسول الله ؟	١١٩
١٣	أما قولك إني مصبية	٦٧
١٤	أنا طيبت رسول الله -صلى الله عليه وسلم	٢١١
١٥	أن أم حبيبة استحيضت	١٤٤
١٦	أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم	٦٤
١٧	أن الحولاء بنت تويت	١٠٨
١٨	أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان إذا أخذ مضجعه	١١٧
١٩	أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرأزواجه	٢٠٩
٢٠	أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج	١٠٨
٢١	أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة	١٠٨ ٢٠٨
٢٢	أن النبي صلى الله عليه و سلم كان له حصير	١١٦
٢٣	أن النجاشي أهدى	١١٦

٢٤	أن اليهود كانوا	٩٤
٢٥	إنها ابنة أبي بكر	٢٣٣
٢٦	أنها ذكرت النار فبكت	١١٠
٢٧	أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم قلادة	٩٨
٢٨	أواهة، الخاشعة المتضرعة	٥٣
٢٩	أولئك قرأوا ولم يقرأوا	١١٤ ١٤٧
٣٠	أومت امرأة	١٩٠
٣١	أي ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك	٣٣
٣٢	أيما امرأة باتت وزوجها راض عنها	١٨٠
٣٣	أين أنا غدا؟	٩٥
٣٤	إن الذي يحنو عليكن	٣١
٣٥	إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا	٢٢٤
٣٦	إن الله لم يبعثني معنتا	٩٥
٣٧	إن أعظم الناس أجرا	٢٣٣
٣٨	إن هذا القرآن	١٤٩
٣٩	إنك لبنت نبي	٤٥
٤٠	إنها كانت تأتينا زمان خديجة	١٠٦
٤١	إني لأعلم إذا كنت عني راضية	١٧٩

٤٢	اجتمع عنده نساؤه	١٠٣
٤٣	احفظ الله يحفظك	١٣٤
٤٤	ارجعي إليه فقولي	٦٣
٤٥	افتقدت النبي صلى الله عليه وسلم	١٢٩
٤٦	اللهم أحسنت خلقي	٢٣٨
٤٧	اللهم أنت الأول	٢٣٩
٤٨	اللهم إنك عفو كريم	٢٣٨
٤٩	اللهم إني أسألك علما نافعا	١٢٨
٥٠	اللهم إني أسألك المعافاة	٢٢٨
٥١	اللهم إني أسألك من الخير كله	٢٣٨
٥٢	اللهم اجعل أوسع رزقك علي	٢٣٩
٥٣	اللهم عافني في جسدي	٢٣٨
٥٤	اللهم هذه قسمتي فيما أملك	٩٩
٥٥	بعثت صفية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٢٠
٥٦	بني على رسول الله	١٩٣
٥٧	بيت لا تمر فيه	٢٣٦
٥٨	بينما هو يقرأ	١٤٦
٥٩	تخيروا لنطفكم	٥٠
٦٠	ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم	١٨٣
٦١	تصافحوا يذهب الغل	١٨٤
٦٢	التلبينة مجمة	٢٣٧
٦٣	جاء جبريل وعنده خديجة	١٦٧
٦٤	جاءت فاطمة بنت أبي حبيش	١٥٥
٦٥	حبب إلي من الدنيا	٥٧
٦٦	حسبك من نساء العالمين	٣٥
٦٧	خديجة سابقة نساء العالمين	٣٥
٦٨	خذ منهن أربعا	٥٦
٦٩	خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم	١٢٢
٧٠	خير طعامكم	٢٣٦

٧١	دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي	٣٧
٧٢	دخل عبد الرحمن بن أبي بكر	١٢٣ ١٧٧
٧٣	دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغني عن حفصة	٩٤
٧٤	دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا رسول الله	١٢٠
٧٥	دخل عليها نسوة	٢٢٣
٧٦	دخلت عليّ امرأة من الأنصار	١١٥
٧٧	دخلت على أم سلمة	١٥٧
٧٨	دونكم يا بني أرفدة	١٢٢
٧٩	ذهب الظمأ وابتلت العروق	٢٣٤
٨٠	رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني	١٠٠
٨١	رأيتك يا رسول الله واضعا يدك	٣٨
٨٢	راجع حفصة فإنها صوامة قوامة	٤٠
٨٣	زينوا القرآن بأصواتكم	١٤٦
٨٤	سألت ربي عز وجل أن لا أزوج	٣١
٨٥	سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة	٢٠٩
٨٦	سلوا الله كل شيء حتى الشسع	٢٣٨
٨٧	سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لولا أن أشق	٢١٠
٨٨	السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله	١٩٣
٨٩	سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من صلى	١٣٦
٩٠	السواك مطهرة للفم	٢٢٩
٩١	المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف	٢٣٢
٩٢	على كل محتلم رواح الجمعة	٢٠٦
٩٣	علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٠٨
٩٤	فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هودج صفية	٢٢١
٩٥	فإذا نهيتكم عن شيء	٢٢٦
٩٦	فإن لجسدك عليك حقا	٢٣٩
٩٧	فبينا نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم	١٠٩
٩٩	فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه	١٥٠

١٠٠	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ	١٣٩
١٠١	قلت يا رسول الله كُلْ جعلني الله فداك	١٠٣
١٠٢	قولي اللهم هذا استقبال ليلك وإدبار نهارك	١٢٨
١٠٣	كان أحب الشراب	١٧٢
١٠٤	كان أسامة بن زيد	١٠٥
١٠٥	كان إذا أراد أن يرقد	١٢٨
١٠٦	كان إذا استيقظ من الليل قال	١٢٩
١٠٧	كان خلقه القرآن	١٦٧
١٠٨	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذ أهله الوعك	٢٣٧
١٠٩	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه	٢١٠
١١٠	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته	٢٢٩
١١١	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلّم	١٢٣
١١٢	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت	١٠٩
١١٣	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نظر	١٠٤
١١٤	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضل بعضنا على بعض	٩٩
١١٥	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني	١٠٧
١١٦	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدأ بالشراب	٢٣٤
١١٧	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه	١٦٣
١١٨	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى	١٣٧
١١٩	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وأنا حذاءه	١٥٤
١٢٠	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم	١٤١
١٢١	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب الطيب في	١٢٣
١٢٢	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف	٢٣٠
١٢٣	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العرق	١٠٢ ١٨١
١٢٤	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة	٢٣٣
١٢٥	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يخرج نفل الريح	١٢٣
١٢٦	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يرى	١٩٠
١٢٧	كان من آخر وصية	٢١١

١٢٨	كان الناس يتحرون بهداياهم	٣٨
١٢٩	كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن	١٧١
١٣٠	كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يؤكل	٢١٠
١٣١	كان يجعل يمينه	١٧١
١٣٢	كانت ليلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانسل	١١٨
١٣٣	كنت ألعب بالبنات عند	١٠٠
١٣٤	كنت صاحبة عائشة	١٠٥
١٣٥	كنا إذا كنا مع	١٦٧
١٣٦	كيف رأيتني أنقذتك من الرجل	١٠١
١٣٧	لقد خشيت على نفسي	٩٦
١٣٨	لقد قرأتها على الجن ليلة الجن	١١٤
١٣٩	لقد قلت كلمة لو مزجت	٩٤
١٤٠	لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد منه	١٣٧
١٤١	لم يكن يترك شيئا في بيته	٢٠٧
١٤٢	لما مات أبو سلمة أتيت النبي صلى الله عليه وسلم	٢٠٩
١٤٣	لما مات أبو سلمة قلت غريب	٩٨
١٤٤	لما ماتت خديجة	٣٧
١٤٥	ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها	١٠٦
١٤٦	المؤمن القوي	٢٣٢
١٤٧	ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله	١٨٠
١٤٨	ما خالط قلب امرئ رهج	١٥٦
١٤٩	ما رأيت رجلا أكثر استشارة	١٧١
١٥٠	ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في سبحته قاعدا	١٤٧
١٥١	ما رأيت من صاحبة أجير	٣٥
١٥٢	ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٠٢
١٥٣	ما ضرك لو مت قبلي	٩٦
١٥٤	ما غرت على امرأة	١٠٦
١٥٥	ما كان أحد أحسن خلقا	٩٥
١٥٦	ما كان يبقى على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٧٢

١٥٧	ما لأحد عندنا يد إلا	٦٧
١٥٨	ما لكم وصلاته	١١٤
١٥٩	ما ملأ ابن آدم	٢٣٠
١٦٠	ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها	٢٢٤
١٦١	ما من عبد مسلم	٢٠٦
١٦٢	ما من يوم يصبح العباد فيه	١٧٠
١٦٣	من دخل دار أبي سفيان فهو آمن	٦٩ ٧٠
١٦٤	من كان له فرطان	١٣٣
١٦٥	نعم الإدام الخل	١٠٥ ٢٣٧
١٦٦	نعم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٢٣
١٦٧	نعمتان مغبون فيهما	٢٢٨
١٦٨	هذه ثم ظهور الحصر	١٣٢
١٦٩	هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٣٥
١٧٠	هل من غداء	١١٧
١٧١	والذي نفسي بيده	٢٢١
١٧٢	والله لا تحركنا دابة	١٣٢
١٧٣	وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب	٢١٨
١٧٤	وكان يصلي بالناس المغرب	١٣٩
١٧٥	وكان يصلي من الليل تسع ركعات	١٤٠
١٧٦	ويحك يا أبا سفيان	٢٠٤
١٧٧	لا تبيعوا ثماركم	٢٠٧
١٧٨	لا تدع قيام الليل	١٣٩
١٧٩	لا تؤذوا عباد الله	٢٢٠
١٨٠	لا يا بنت الصديق	١٠٧
١٨١	لا يحل لامرأة تؤمن بالله	١٧٣ ٢٠٧
١٨٢	لا يدخل النار إن شاء الله	١٠٧

١٨٣	لا ينفع حذر من قدر	٢٣٨
١٨٤	يا رسول الله أرأيت لو نزلت واديا	١٧٨
١٨٥	يا رسول الله أنا جويرية	٧٠
١٨٦	يا رسول الله نرى الجهاد	١٥٧
١٨٧	يا عائشة فإنه بلغني	٩٦
١٨٨	يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا	١٨٨
١٨٩	يا نبي الله أتحب ذلك	٢٠٣

المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم

٢) آبادي: أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم، عون المعبود شرح سنن أبي داوود، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هجرية – ١٩٧٩ .

٣) ابن الأثير: العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، دت.

٤) الأصبهاني: الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، المعروف بأبي الشيخ المتوفى ٣٦٩ هجرية، أخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم- وآدابه، تحقيق الدكتور صالح بن محمد الونيان، الطبعة الأولى، ١٤١٨-١٩٩٨، دار المسلم، الرياض.

٥) الأصفهاني: الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله المتوفى ٤٣٠ هجرية، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر للطباعة والنشر، د ط، د ت.

٦) الألباني: محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، د ط، د ت

=صحيح سنن الترمذي، الطبعة الأولى ١٤٠٨-١٩٨٨، المكتب الإسلامي، بيروت.

= صحيح سنن أبي داوود، الطبعة الأولى، ١٤٠٩-١٩٨٩، المكتب الإسلامي، بيروت.

=صحيح سنن ابن ماجة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧-١٩٨٦، المكتب الإسلامي.

=صحيح سنن النسائي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩-١٩٨٨، المكتب الإسلامي

=ضعيف سنن ابن ماجة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨-١٩٨٨، المكتب الإسلامي

٧) الألوسي: أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، المتوفى: ١٢٧ هجرية، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د ت.

٨) أنس: مالك، كتاب الموطأ، خرج أحاديثه، وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٠-١٩٥١

٩) البخاري: الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن ابراهيم ابن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي، صحيح البخاري، شرح فتح الباري، دار الفكر، ١٤١٦-١٩٩٦

١٠)بدر: عبد الله أبو السعود، تفسير أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها-، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦ – ١٩٩٦

١١)البستاني: بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان، ناشرون، د ط، ١٩٧٩

١٢)البواب: سليمان سليم، مئة أوائل من النساء، دار الحكمة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣-١٩٩٢

١٣)البيلي وحمامي: محمد مأمون و محمد ماهر، رشاقتك أختي المسلمة، دار ابن حزم، بيروت،

١٤)البيهقي: الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفى ٤٥٨ هجرية، السنن الكبرى، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣ – ١٩٩٢ ، د ط.

=شعب الإيمان: تحقيق أبي هاجر: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠-١٩٩٠

١٥)الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، المتوفى ٢٧٩ هجرية، الجامع الصحيح، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت.

١٦)جاد المولى: محمد أحمد جاد، الخلق الكامل، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، د ت.

١٧)الجزولي: الإمام أبي عبد الله محمد بن سليمان، دلائل الخيرات، مكتبة الحضارة، دمشق، د ط، دت.

١٨)ابن جزي: محمد بن أحمد الكلبي، التسهيل في علوم التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣-١٩٨٣

١٩)جمعة: أحمد خليل: نساء الأنبياء، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٩-١٩٩٨

= نساء أهل البيت، دار اليمامة، دمشق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩، ١٩٩٨

=نساء مبشرات بالجنة، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤١٩- ١٩٩٩

٢٠)ابن الجوزي: أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن، تلقيح فهوم أهل الأثر، في عيون التاريخ والسير، مكتبة الآداب، ومطبعتها، د ط، دت.

= صفة الصفوة، (٥١٠ - ٥٩٧)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ - ١٩٨٥

٢١)أبو جيب: سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٢-١٩٨٣

٢٢)ابن حبان: الحافظ محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حبان بترتيب الإحسان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧-١٩٨٧

٢٣)الحصين: أحمد عبد العزيز، لماذا الهجوم على تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الضياء للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٠-١٩٩٠

٢٤)الحموي: الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، ١٣٩٩ - ١٩٧٩

٢٥)الحميدي: الحافظ عبد الله بن الزبير، مسند الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، عالم الكتب، بيروت، د ت، د ط.

٢٦)ابن حنبل: أحمد، مسند أحمد، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣١٣ هجرية، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، د ط.

٢٧)حوى: سعيد، جند الله ثقافة وأخلاقا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩ - ١٩٧٩

٢٨)الخراط: أمينة عمر، أم سلمة العاقلة العالمة، أم المؤمنين، - رضي الله عنها- الطبعة الأولى، ١٤١٥-١٩٧٩

= زينب الصالحة العابدة أم المساكين، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥-١٩٩٥

٢٩)الخن: الدكتور مصطفى سعيد، والدكتور مصطفى البغا، وآخرون، نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، من كلام سيد المرسلين، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٤٠٥ - ١٩٨٥

٣٠)الدارمي: الإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهران، سنن الدارمي، حققه وشرح ألفاظه الدكتور مصطفى ديب البغا، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢ - ١٩٩١

٣١)أبو داوود: الإمام الحافظ المصنف المتقن أبي داوود سليمان ابن الأشعث السجستاني، (٢٠٢-٢٧٥ هجرية)، سنن أبي داوود، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، د ط.
٣٢)الديلمي: أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الهمذاني الملقب (إلكيا)، المتوفى ٥٠٩هجرية، ١١١٥ميلادية، الفردوس بمأثور الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦-١٩٨٦
٣٣)الذهبي: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، المتوفى ٧٤٨ هجرية، ١٣٧٤ ميلادية، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، د ط، د ت.
٣٤)الرازي: محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١ - ١٩٨١
٣٥)رقيط: حمد حسن، الرعاية الصحية والرياضية في الإسلام، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ - ١٩٩٧ ، الموزع مركز الشريط الإسلامي الشارقة
٣٦)الزحيلي: وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١-١٩٩١
٣٧)الزركشي: بدر الدين، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، عني بتحقيقه العلامة سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠- ٢٠٠٠
٣٨)الزركلي: خير الدين، الأعلام، الطبعة الثالثة، د ن ، د ت.
٣٩)الزمخشري: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، د ط، د ت.
٤٠)الزهراني: محمد مسفر حسين، نظرات في تعدد الزوجات، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٤-١٩٩٣
٤١)أبو زهرة: الإمام محمد، خاتم النبيين، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، ١٩٩٣م
٤٢)الزيات: أحمد حسن، وأخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، د ط، د ت.
٤٣)الزين: حمزة أحمد، المسند للإمام أحمد بن حنبل، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦-١٩٩٥
٤٤)السباعي: مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٣٩٨ - ١٩٧٨ ، المكتب الإسلامي، دمشق.
٤٥)ابن سعد: محمد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د ط، د ت
٤٦)ابن السني: أبو بكر، عمل اليوم والليلة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤-١٩٨٤
٤٧)السيوطي: أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، المتوفى ٩١١ هجرية، الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥
=الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣-١٩٨٣
= شرح سنن النسائي، وحاشية الإمام السندي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، د ط

٤٨)الشامي: الإمام محمد بن يوسف الصالحي، المتوفى ٩٤٢ هجرية، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د ط، ١٣٩٤ -١٩٧٤

٤٩)شاهين، عبد الصبور، وإصلاح عبد السلام، موسوعة أمهات المؤمنين، دراسة في سيرهن ومروياتهن، دار الاعتصام، د ط، د ت.

٥٠)الشعراوي: محمد متولي، سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم-، دار القلم، بيروت، دط ، دت.

٥١)أبو شقة: عبد الحليم محمد أبو شقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، دار القلم، الكويت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠- ١٩٩٩

٥٢)شقفة: مأمون، القرار المكين، دار الآداب، الشارقة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٧

٥٣)الشلبي: أبو النصر، نساء حول الرسول – صلى الله عليه وسلم- والرد على مقتريات المستشرقين، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الثامنة، ١٩٩٨م

٥٤)الشيباني: عمر محمد التومي، فلسفة التربية الإسلامية، المنشأة العامة، طرابلس، الجماهيرية الليبية، الطبعة الرابعة، ١٣٩٢ - ١٩٨٣

٥٥)ابن أبي شيبة: الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان، مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، ضبطه وعلق عليه سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ – ١٩٨٩ .

٥٦)شيخاني: محمد، التربية الروحية بين الصوفيين والسلفيين، دار قتيبة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥

٥٧)الصابوني: محمد علي، شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم-، دار القلم، بيروت، ١٣٩١-١٩٧١، د ط.

= صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢-١٩٨١

٥٨)الصنعاني: الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام، المتوفى ٢١١ هجرية، المصنف، حقق نصوصه وخرج أحاديثه المحدث حبيب الرحمن الأعظمي، د ن، د ت، د ط.

٥٩) الطبراني: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد، المتوفى ٢٦٠-٣٦٠، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، المعجم الكبير، الطبعة الثانية، د ت.

٦٠)عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان، عمّان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م

٦١)ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق محمد علي البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، د ت.

٦٢)العراقي: زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم الحسين العراقي، المتوفى ٨٠٦ هجرية، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، بذيل كتاب الغزالي إحياء علوم الدين، دار المعرفة بيروت، د ط، دت.

٦٣)ابن العربي: أبي بكر محمد بن عبد الله (٤٦٨ – ٥٤٣ هجرية)، أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، ، بيروت، د ط، د ت.

٦٤)العزامي: خليل ابراهيم ملا خاطر، محبة النبي – صلى الله عليه وسلم– وطاعته، بين الإنسان والجماد، دار القلم العربي، حلب، الطبعة الأولى، ١٤١٧ – ١٩٩٦

٦٥)ابن عساكر: الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ، (٤٩٩– ٥٧١ هجرية، تاريخ مدينة دمشق، تراجم النساء، تحقيق سكينة الشهابي، د ن، د ط، دت.

٦٦)العسقلاني: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد علي ثم المصرفي الشافعي المعروف بابن حجر، المتوفى ٨٥٢ هجرية ، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، ١٤٠٩ – ١٩٨٩

= تهذيب التهذيب، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤، دار الفكر.

٦٧)علوان: عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، د ت.

=تعدد الزوجات في الإسلام، و الحكمة من تعدد أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم– دار السلم، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٠٩ – ١٩٨٨

٦٨)ابن العماد، أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٩)الغضبان: منير، التربية القيادية، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨–١٩٩٨

٧٠)الفيروز آبادي: العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب، المتوفى ٨١٧هجرية، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦–١٩٨٦

٧١)القرطبي: أبو عبد الله محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، الطبعة الثانية، د ت، د ن. ودار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٧ – ١٩٦٧، د ط.

٧٢)قطب: سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة العاشرة، ١٤٠١ – ١٩٨١

٧٣)قلعه جي، وقنيبي: محمد رواس، وحامد صادق، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ – ١٩٨٨

٧٤)القنوجي: محمد صديق خان، حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة، تحقيق الدكتور مصطفى سعيد الخن، ومحيي الدين مستو، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٨ – ١٩٨٨

٧٥)ابن القيم: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي الشهير بابن القيم الجوزي، (٦٩١ – ٧٥١ هجرية)، الطب النبوي: كتب المقدمة وراجع الأصل وصححه وأشرف على التعليقات: عبد الغني عبد الخالق، وضبط التعاليق الطبية عادل الأزهري، و خرج الأحاديث محمود فرج العقدة، دار الفكر، بيروت، د ط، د ت.

٧٦)ابن كثير: أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، المتوفى: ٧٧٤ هجرية، البداية والنهاية، دقق أصوله وحققه الدكتور أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥

= تفسير ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥ – ١٩٨٤ ، د ط.

Abstract

The study aimed at clarifying the education and instructional application resulting from the task of Ummahat Al-Mu'mineen* (R.A.A.) in calling for Islam. To do so, the research answered the following questions:

1- Who were Ummahat Al-Mu'mineen (R.A.A.) , what was the value of this agnomen , what was the charactteristic that qualified them to be so , and how is education related to the prophetic bondage of marriage?
2- What were the factors that effected the acknowledging of Ummahat Al-Mu'mineen along with rearing them according to knowledge and virtue which qualified them to be the best education?
3- What were the education aspects that Ummahat Al-Mu'mineen dedicated themselves to establish in Moslems , and what were their education means they used to achieve that?

The researcher adopted the inductive historical , and the analytic descriptive methods to achieve that. She investigated their biographies in the appropriate sources of biography and tradition books and any sources related to them, which explain the prophetic traditions and others.

Following these methods. She identified the points to be explain and investigated, which she organized and categorized into units.

This is approached gradually according to the need to clarify the instructional and educational tasks they embarked on.

The questions were answered through three chapters: The first included definition of the Term Ummahat Al Mu'mineen (Mothers of the believers), their lineage, mentioning their virtues and outstanding traits, then illustrating the firm relations and solid connection between the prophetic marriage and education.

The second chapter included an elaboration of the Quranic and Prophetic education surrounded the Mothers of Believers as regard to the quittance, direction and instruction, and polished their personalities and granted them a leading educational status.

While the third chapter included presentation and elaboration of some educational aspects that were concluded and reached to its reality through stating some of the qualities of Ummahat Al Mu'mineen, classifying them , then educationally analyzing them reveals the reality of educational work which is regarded as one of the Islamic Education methods.

Finding of the study:

* The study showed the importance of the term of Ummahat Al-Mu'mineen (R.A.A.) and the necessity to consider it and those who bore it. This necessity aroused from the holiness of the term itself and through the qualifications they enjoyed.

* it also disclosed the various environments Ummahat Al-Mu'mineen lived in and the effect of this variation in bringing tribes closer to each other and obtaining their support.

It clarified the real effect of the prophet (p.b.u.h.) having several wives, and achieving different lessons, which resulted in the efficiency of spreading Islam.

* Finally it showed the value of the term " Ummmahat Al-Mu'mineen " which is product an essential factor in education. This factor appeared when they realized the importance of their position and the task they bore.

* To conclude, the researcher recommends education to make the best use of term, by investigating its meaning, value, and effect in explaining their role in the call for Islam. This should result in loving them and taking them as examples.

* The researcher also shows the necessity of making use of Qurqnic and prophetic education lessons directed particularly to the Prophet's wives and to the Moslem Ummah in general.

* The researcher also calls attention to the abundant education traditions of Ummahat Al-Mu'mineen , which are to be taken to remedy the distortion resulting from the invasion which takes different forms to negatively affect Islam and Moslems.